رواية
وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ
د. عمرو مرزوق
المثقفون العرب للنشر و التوزيع

وما كفر سليمان

عنوان الكتاب: وما كفر سليمان
تصنيف العمل: رواية
التأليف: عمرو مرزوق
تصميم الغلاف: محمد دربالة
التصحيح اللغوي والإخراج الفني: هند محمود
رقم الإيداع: 2021/13458
الترقيم الدولي: 978-977-6899-01-8

المثقفون العرب للنشر والتوزيع
elmothakafon@gmail.com
+201062281356

شيرين القاضي

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المثقفون العرب ©

كل الحقوق محفوظة
ولا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال،
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

رواية

وما كفر سليمان

عمرو مرزوق

فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَـٰنِۖ
إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا
[النساء: 76]

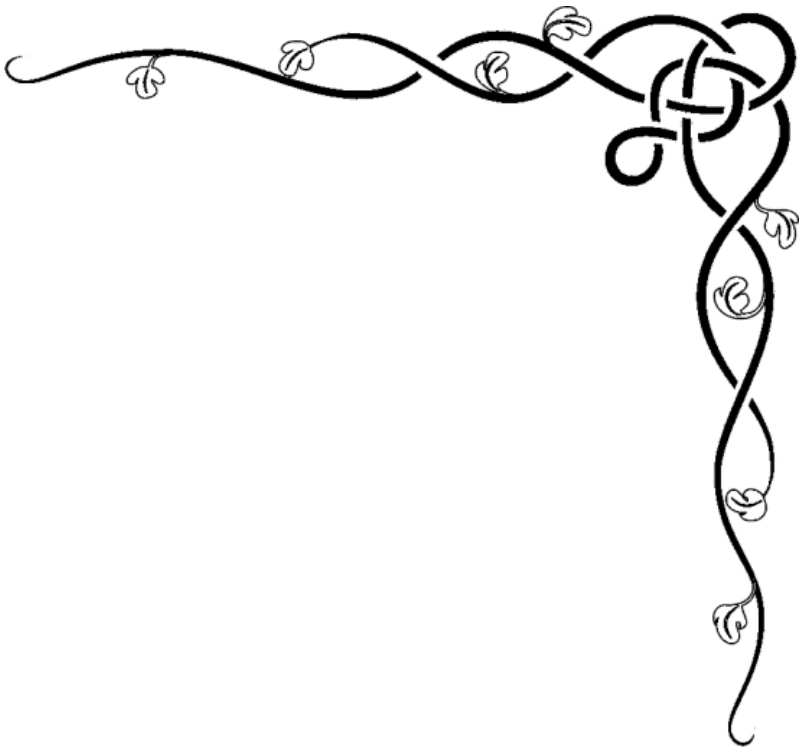

الحادثة

شتاء 1820

كان الجميع في تلك الأمسية يهرعون إلى منازلهم بعد أن أرعدت سماء القاهرة منذرةً بهطول المطر، وفي تلك الأثناء، وعلى الرغم من أن أذان المغرب لم يحن بعد، بدأت معظم الحوانيت في إغلاق أبوابها، إلا ذلك الحانوت الرابض في آخر ميدان بين القصرين الموجود بقاهرة المُعِز.

اقترب أحدهم مرتديًا عباءةً سوداء مُسدِلًا إياها على رأسه خافيًا ملامحه، على الرغم من لحيته الكثيفة التي أخفت نصف وجهه، وجسده الرفيع الذي لم يتعدَّ مترًا وستين سنتيمترًا طولًا، محتضنًا كيسًا كبيرًا من القماش المتسخ، معلقًا إياه على كتفيه، وبداخله شيءٌ ما كان يرتج بعنف، ودخل المحل سريعًا وتناول بعضًا من الزيتون الموجود واضعًا إياه في فمه، مقتربًا من البائع الذي كان مندهشًا كالعادة من تصرفاته، بعد أن ظهر أخيرًا بعدما ظن الجميع أنه ذهب بلا رجعة، فتحاشى النظر إلى عينيه كما حذره بعضٌ من الجيران دومًا، وسمع صوته الأقرب إلى الفحيح وهو يناوله كيسًا قماشيًّا آخر أخرجه من ملابسه ناظرًا في اتجاهٍ آخر خلف البائع، الذي ارتعد أكثر عندما لمح الرجل وهو يرعش بعينيه دومًا ناحية اليسار قائلًا بصوت مبحوح:

- عثمان، فلتضع هنا زجاجتين من زيت القنديل وبعض الشمع، فيبدو أن الليلة ستكون مظلمة، فالقمر مُختفٍ وراء تلك السحب الملعونة،

هذا ما أردته تمامًا، المهم أضِف على الحساب كالعادة ولا تنسَ الخبز والجبن والبيض.

وتركه وهو لا يزال يرعش برأسه يسارًا، فهرع عثمان في تلبية طلباته لينصرف من المحل دون أن يعقب على حديثه، وأسرع واضعًا كل ما طلبه الرجل في كيسه القماشي، ما عدا الزيت الذي كان معدًّا من قبل في زجاجتين، فأخذهم الرجل وخرج مسرعًا وهو لا يزال يتحدث إلى أحد بجواره.

وقف عثمان دقيقةً يتابعه ثم بدأ في إغلاق المحل سريعًا وهو يحوقل، ناظرًا بطرف عينه إلى الرجل الذي اختفى عن ناظريه متجهًا ناحية اليمين، باتجاه حارة العطوف، ليجتاز بوابتها، واستمر على الخطى مسرعًا حتى انحنى ناحية اليسار قبل نهايتها بعدة أمتار، إذ وقف قليلًا ناظرًا إلى ما بداخل الحقيبة، ثم ألقى بصره إلى السماء التي بدأت في المطر، فعجَّل من خطواته صاعدًا عدة درجات، لتصعد به إلى زقاق مهجور قطع منه عدة أمتار، ثم اتجه يمينًا ناحية أحد البيوت المتهالكة من طابقين والمشرفة على المقابر، ودخل سريعًا من الباب المفتوح، لاعنًا قطةً كانت بجوار السلم ترتعد من الهواء الخارجي، فركلها بعنف لتخرج في المطر، وأغلق باب المنزل الذي كاد يتهشم من قوة ضربته.

صعد إلى شقته في الطابق الثاني، لم يعد يسكن في البيت غيره، فقد هجر جيران الطابق الأول المنزل وتركوه له لما يفعله، بعدما أصبح الجميع يتقون شره من أفعاله التي صاروا على علم بها.

أحكم إغلاق الباب واضعًا رِتاجًا حديديًّا كبيرًا خلف الباب الخشبي، فأصبح من المستحيل الدخول إليه. هرع إلى النافذة ليغلقها بعد أن كادت تعصف بكل ما هو موجود بتلك الصالة الضيقة، ودخل سريعًا إلى الغرفة الموجودة عن يمينه مستبدلًا ملابسه بأخرى سوداء.

كانت الفوضى تعم منزله، وخصوصًا أنه كان يسكن في شقة قديمة من غرفتين فقط وصالة ضيقة وحمام من دون مطبخ، فقد تراصَّت عشرات من الصحون المتسخة على الأرض وأقداح النبيذ وكثير من القاذورات والأوراق والأتربة، حتى ظهرت تلك الرائحة الكريهة التي لم يعد يشعر بها ولم يعد من أولوياته حتى تنظيف بيته أو تنظيف نفسه، فلم يعد يستحم طوال الشهور الماضية، تنفيذًا لما كان يفعله منذ أحد عشر يومًا بالضبط، وقبل ذلك لم يتحدث مع أحد طوال أربعين يومًا قضاها في منزله معتزِلًا العالم من حوله، وبعد انتهاء المهلة بدأ في التجول في الشوارع على غير هدى، ثم يأتي الليل ويبدأ ما يفعله كل ليلة طوال الليالي السابقة دون أي جدوى، لكنه لم ييأس وأقسم أنه سيظل على العهد.

تناول بعضًا من اللقيمات من الخبز الجاف وبضعًا من الجبن والزيتون، ثم ملأ القنديل وأشعله لإنارة المكان لإعداد كوب من القهوة الساخنة في هذه الليلة الباردة، واضعًا بعض قطع الفحم لتحترق بجانب الوعاء القديم على الموقد المشتعل.

حانت منه التفاتة ناحية الحقيبة فتذكر ما بداخلها، فقفز إليها خوفًا من أن يكون قد مات مختنقًا على الرغم من الثقوب العديدة التي فتحها في القماش، وأخرج منها رضيعًا لم يكمل عدة أيام، وقد كمم فمه بقطعة قماش وعلى يديه وبدأ وجهه يتحول إلى الزرقة، ففك الرباط سريعًا عن جسده، فتحرك الطفل وبدا أنه لم يتذوق طعامه، فبدأ في الصراخ والبكاء ليعلن جوعه.

نظر إليه الرجل بحيرة ولم يهتم، فلم يكن قد مر إلا ساعتان منذ أن أخذه من القابلة العجوز التي تعمل لدى كثير من أُسَر الحي، وكان قد ألحَّ عليها بضرورة الحصول له على رضيع لم يكمل عدة ساعات، ولذلك كان ينزل يوميًّا لمقابلتها حتى وصل إلى مبتغاه أخيرًا وحصل على ما أراده، برضيع لم يرَ أمه التي أصرت على التخلص منه خوفًا من الفضيحة.

تناهى إلى سمعه أذان العشاء وبدأ الطفل في الصراخ أكثر، فاقترب منه وربط فمه بذلك الشريط القماشي مرة أخرى، وقرر أن عليه الانتهاء من

بقية التحضير اليوم، بخاصة أنه حصل أخيرًا على الدم البشري الذي لم يُلوَّث.

هبط على الأرض متناولًا منقدًا فخاريًّا ثم تناول قطع الفحم المشتعلة واضعًا إياها بداخله، تناول من أحد أدراج المكتب الخشبي المتهالك بضعًا من حبوب لبان الذكر وعشب سندروس ونبات مجفف من مَيْعة سائلة، ثم وضعها في جرن وطحنها جيدًا، وسط بكاء الطفل ورعشته المستمرة، فرفع الشريط مرة أخرى خوفًا على حياته قبل انتهاء الطقوس.

وضع المسحوق على المبخرة، فتصاعدت روائح كريهة، وأضاف إليها سائلًا شفافًا أحمر اللون، مما زاد معها الأبخرة.

توجه إلى أحد الغرف الموجودة وأشعل الشمع في زوايا جدران الغرفة الأربعة، واضعًا مصباحًا زيتيًّا على جدار أمامه نُقِشت عليه عديد من الكلمات.

تناول ريشة قديمة وغمسها في طبق يحتوي على ذلك السائل الأحمر ثم كتب على كفَّيه:

«بعلشقش داعوج»

واضعًا يديه فوق البخور مدةً من الوقت حتى سالت أحرف كلماته على الفحم، فاشتعل أكثر وبدأ لهيب نار يصعد، فعلم أنها الإشارة الآن.

خرج مسرعًا من الغرفة ماسكًا طبقًا نحاسيًّا كبيرًا واضعًا إياه تحت الجدار، ثم عاد مرة أخرى ممسكًا الطفل من قدميه، الذي كانت صرخاته تتعالى مع كل دقيقة جوعًا، ليخرج مُدْية حادة وسط بكاء الطفل، وما هي إلا ثوانٍ حتى انقطعت صرخات المسكين، ثم وضعه بداخل الطبق ليزنف كل دمائه، وبدأ في مسح رأسه وجسده النجس بدماء الطفل، ثم أخذ قليلًا من الدم الدافئ وشربه بكوز نحاسي صغير، ثم سكب كوبًا آخر على الفحم المشتعل، لترتفع تلك الروائح القاتلة.

وضع وجهه ناحية الجدار تمامًا ليقرأ المكتوب على الحائط، ثم وضع يديه الممزوجتين بدماء الطفل فوق الدخان، وبدأ يقرأ:

«بعلشطل، بطد، بكهوشل، بطععمش، بطغريوش،
بصبطقوش، بيكشالش، هاشول»

ظل يقرأها مرات ومرات ومرات حتى انقلبت كفه، وكان هناك من قلب يده على الوجه الآخر فوق البخور، وعندها علم أنه يسير في الاتجاه الصحيح أخيرًا بعد عشراتٍ من المحاولات الفاشلة، سجد على الأرض ملصقًا جبهته بالجدار عكس اتجاه القبلة، وبدأ في إكمال التعويذة:

«أقسمت عليكِ أيتها الملكة عائنة بنت سيدي العظيم وسيد أبائي وأجدادي، بحق الاسم الذي نزل على الصخرة الصماء ففُتِّت، وعلى الأرض فسُطِّحت، وعلى الجبال فغُرِست، وعلى الليل فأظلم وعلى النهار فأضاء، بعلشقش، آيات الله، اخفخ اخفخ بهقهلش، آيات الله، دعوج، أجيبيني أيتها الملكة عائنة وعجلي واسمعي عزيمتي وأسرعي وشمي دخنتي واظهري لي، بورك فيكِ وعليكِ، أجيبيني أيتها الملكة عائنة وعجلي واسمعي عزيمتي وأسرعي وشمي دخنتي واظهري لي، بورك فيكِ وعليكِ»

وفي أثناء سجوده، شعر أن الأرض تَمِيد به، وضحكات تأتي من مكان بعيد، فعلم أنه لم يفصله عن حضورها إلا نومه، فقام من سجوده ثم اتجه إلى ناحية الجدار المقابل ليفترش وسادة قديمة، ثم خلع عباءته السوداء فظهر جسده الضئيل عاريًا، ونام على جنبه الأيسر وظل يردد اسمها حتى ذهب في غياهب النوم.

لم تمضِ عدة ساعات، وقبل الفجر شعر أن الغرفة تمتلئ بدخان أسود كثيف، أفاق على صدره يكاد يختنق من شدة الدخان الخارج من المبخرة، فبدأ في السعال بشدة، ونظر حوله فلم يجد إلا المصباح الزيتي القديم المشتعل بعد أن انطفأ كل الشمع الموجود إلى آخر وقت، نظر بتلقائية إلى الطبق النحاسي الكبير فلم يجد الطفل، ارتعد وعلم أنها بالجوار، فقفز سريعًا ليسجد مستكملًا الجزء الأخير من طقوس الاستدعاء:

«بعلطيل بالعلا يكهوشل بظلمنشي برو قبوش بطقوعش دكلبش هيلوش عيلوش.. أقسمت عليكِ يا مولاتي عائنة يا بنت سيدي العظيم، بحق الاسم الذي أنزل على الصخر ففتته وعلى الليل فأظلمه وعلى النهار فأضاءه، بعلش علشافش، أجيبي واسمعي عزيمتي وشمي دخنتي»

وقتها شعر أن الدخان الموجود بالغرفة بدأ في الالتفاف حوله، ثم بدأ يتشكل إلى خيالٍ أسود طويل لم يقدر على النظر إليه، فرفع عينيه فقط ليجد أن الخيال بدأ يتشكل في هيئة امرأة، ورويدًا رويدًا بدأت ملامح جسدها تظهر من خلف تلك العباءة الفضية التي ترتديها، ثم التفتت ناحيته وهي تبتسم مقتربة منه بعدة خطوات، فوضع رأسه على الأرض تمامًا، فلم يلمح إلا تلك الشعيرات الذهبية التي تصل إلى الأرض، وشعر وقتها أنها تلمس كتفه بأصابعها.

رفع عينيه مرعوبًا، لكن هذا الرعب لم يظل إلا ثانية واحدة فقط، فقد وقعت عيناه على أجمل فتاة رآها في حياته، فاقترب منها فابتسمت أكثر ثم أمسكت يده متجهة ناحية فراشه المتسخ، فوقفت فوقه ثم خلعت عباءتها الفضية، ليظهر جسدها الفاتن البضّ الذي كادت تتوقف معه أنفاسه فلم يشعر بنفسه إلا وهو يقترب منها ليذهب معها في لذة لم يذقها في حياته.

كان هذا هو العهد، وعليه الآن أن يكمل تلك الطقوس الملعونة وأن يتزوجها فورًا في المكان النجس الذي أُطلِقت التعاويذ فيه، وفقًا للعهد الذي قطعه على نفسه إرضاءً لها، وظن حينئذ أنه هو من نجح في أسرها ولا يعلم أنه أصبح الآن عبدًا بشريًّا مخلصًا لقبيلتها من الأبالسة، وكيف لا بعد أن فعل كل ما تريده عائنة ابنة إبليس!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

في طريق بابل
بغداد بالعراق
مارس 2012

كان الطريق ممتدًّا إلى ما لا نهاية، كما رآه زيدان سائق الحافلة العراقي، ما بين بابل وكركوك في الصباح المبكر في هذا اليوم القائظ، فلم يلبث أن خرج من بابل منذ خمسين كيلومترًا، ليقطع المسافة المتبقية حتى بغداد، ليتوقف هناك لاحتساء قهوته المفضلة في ذلك المقهى الشهير ثم استكمال الرحلة التي تمتد إلى أربع مئة كيلومتر وسط الصحراء القاحلة إلا من بعد المناطق المسكونة.

كان السائق العجوز يستمع إلى صوت أم كلثوم الذي أتاه على مذياع صوت العرب وهو يلتفت إلى الركاب الغارقين في النوم تارة، وإلى الطريق تارة أخرى، وإلى هاتفه المحمول كثيرًا.

بدا الطريق مملًّا كئيبًا وهو يسير في رتابة، ثم فجأة مرقت بجواره سيارة سوداء مسرعة دون أن يلمحها، فأمسك المقود سريعًا وحمد الله أنه لم يصطدم بها وركز في طريقه المعتاد، لكنه لمح رجلين يتصارعان داخل تلك السيارة التي بدأت في التأرجح يمينًا ويسارًا، فاندهش أكثر، بخاصة عندما ركز بعينيه فوجد سيدةً وطفلها في المقعد الخلفي. زاد من سرعة الحافلة ليلحق بهما، لكنهما كانا قد اختفيا خلف أحد المنحنيات. ولدهشته،

عندما وصل إلى المنحنى لم يجد السيارة، لكنه لمح عاصفة رملية تهب من يمين الطريق، ما جعله يستنتج أنها دخلت إلى الصحراء نتيجةً لفقد السائق السيطرة عليها، فهدأ من سرعة الحافلة واقترب من الرمال، وفوجئ بالسيارة تنقلب عدة مرات على جانبيها.

أوقف زيدان السيارة مسرعًا قافزًا للخروج من الحافلة لمساعدة من بداخل السيارة المحطمة، صائحًا على من حوله وهو يأخذ مطفأة الحريق من تحت كرسيه مهرولًا:

- استر يا ستار.. استر يا ستار.. النجدة، فليتصل أحدكم فورًا بالشرطة والإسعاف.

وما هي إلى لحظات وكان الجميع يهرعون إلى السيارة التي دارت حول نفسها عدة مرات، حتى استقرت منقلبةً ومن داخلها بدأت الأجساد تصرخ للنجدة.

كان الطفل خارج السيارة مكومًا وقد سقط من النافذة، وجاهدت فتاة -بدا أنه ابنها- للزحف إليه في منظر مرعب بعد أن خرجت من نافذة السيارة لتبحث عنه، وهرع إليها الركاب فاطمئنوا عليها وهي تمسك ولدها الذي وقف على قدميه مشيرًا إلى داخل السيارة وقد أجلسهما البعض خوفًا أن يكون أحدهما به كسر ما، لكن أعينهم ظلت معلقة على سائق السيارة ومن بجواره، إذ كانت الدماء تغطيه تمامًا، ثم بدأ يفيق رويدًا رويدًا

من الحادثة، ويبدو أنه بدأ في الشعور بما حوله مندهشًا في بداية الأمر، ولم يدرِ ما الذي حدث، فنظر إليهم مندهشًا ومتألمًا وبدأ في التأوُّه.

هبط إلى جوارهم فورًا زيدان مناولًا يده لسائق السيارة، مشيرًا إليه أن يمسك يده محاولًا جذبه إلى الخارج، في حين انبرى آخرون لفتح الأبواب. تأوه السائق مرة أخرى دون أن يكون لديه القدرة على الحركة، ففهم الرجل أن لديه كسورًا خطيرة، فهب على قدميه محاولًا فتح الباب بكل قوة.

التفت سائق السيارة لمن بجواره عندما شعر أن يده تمسكه بقوة، إذ بدا أنه كان في الرمق الأخير من حياته، فكان الدم ينزف بغزارة من صدره وفمه وجروح كثيرة تغطي أغلب جسده المتقطع، لكنه تحامل على نفسه وأمسك يد السائق قائلًا بصعوبة:

- بالله عليك يا فادي اعذرني، كل ما حدث كان رغمًا عني وعنك، هو ذلك القدر يا أخي، أقسم لك لو كنت أعلم أن الأمور ستتطوَّر إلى الأسوأ، لم أكن لأُشرِكَكَ معي منذ البداية، هي أقدارنا الملعونة يا فادي. سامحني بالله عليك، أنا لست منهم كما تظن، يومًا ما ستعلم أنني مظلوم بصورةٍ ما وأُجبِرت على فعل ذلك، وإن قُدِّر لك الخروج فستجدني تركت لك دليلًا هامًّا سيُجيبك عن آلاف التساؤلات لدى العم مستجير، العم مستجير يا فادي، ولا يعلم أي شخص أنه يملك هذا الدليل، منهم لله.. منهم لله!

وما لبث أن شهق شهقةً أخيرة وهمدت أنفاسه تمامًا، وسط اندهاش فادي نفسه لأنه لم يتذكر أي شيءٍ ولا حتى أين هو.

حاول فادي النطق لكن لم يلبث أن سقط في غيبوبة مرة أخرى وسط صراخ زيدان لإحضار النجدة.

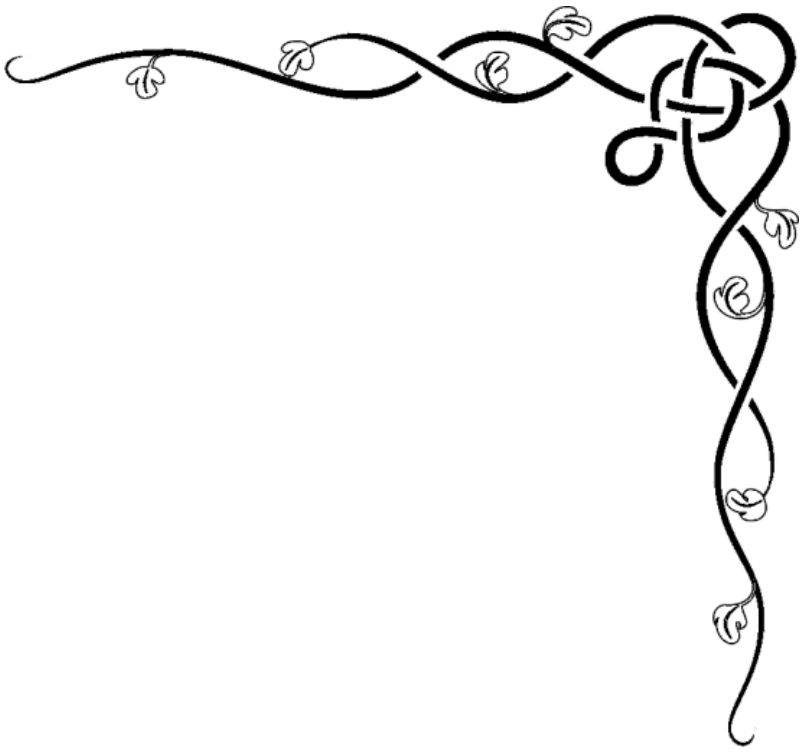

البداية

قبل هذه الأحداث بستة أشهر
القاهرة

كان فادي الدهشوري ينهي إجراءات قيد طفله شريف الذي لم يتعدَّ سبع سنوات في إحدى المدارس التجريبية التابعة لمحافظة الجيزة، وعندما أخبره الموظف أن ينتظر بالخارج لإجراء المقابلة الشخصية مع إدارة المدرسة، أخد ابنه للجلوس في الفناء تاركًا إياه يلهو بإحدى الألعاب الترفيهية الموجودة.

نظر شاردًا مندهشًا من تشابه الأحداث والظروف من جيل إلى جيل وتغير حال الأسرة خلال شهرين فقط من تلك المقابلة السوداء التي قابل فيها رئيس عمله الموجود في إحدى شركات المعمار بقطر، التي قضى فيها معظم حياته.

خمس وعشرون عامًا قضاها في ذلك البلد العربي، والآن بعد أن قارب الثلاثة والثلاثين عليه أن يبدأ حياته من جديد في وطنه الأم.

عادت ذكرياته إلى عشرات السنوات، منذ أن كان طفلًا ولا يتذكر إلا عندما سافر والده مع أسرته للعيش بقطر والعمل مدرسًا للغة العربية بإحدى المدارس هناك، ليبدأ مراحل طفولته الأولى وسط أقرانه. ولأن

سعادة الدنيا لا تدوم، فقد تُوُفي والده بعد سفرهم بخمس سنوات فقط، عندما بلغ العاشرة من العمر.

وقتها زادت الأحمال على الأم، وعلى الرغم من نصح عديد من جيرانها بالعودة إلى القاهرة والعيش وسط الأهل والأصدقاء، فقد رفضت تمامًا وأصرت على أن تبقى بجوار جثمان زوجها الذي دفن في الأراضي القطرية بناءً على وصيته بألا يعود جثمانه أبدًا إلى القاهرة، على الرغم من عائلتهم الكبيرة في صعيد مصر.

حاولت البحث عن أي وظيفة تكفي قُوتها هي وابنها وتكفي لتعليمه منذ صغره، وبعد البحث مدة كبيرة عن عمل مناسب -بعد أن فرغت كل مدخرات الأسرة، فلم يظنَّا أن الأيام ستدور بهذا الشكل- نجحت بمساعدة الجيران المصريين والقطريين في الحصول على وظيفة مشرفة اجتماعية بمدرسة آمنة بنت وهب، ولكنها كان عليها الانتقال من مدينة الغويرية، حيث ولد وعاش أولى سنوات حياته، إلى مدينة الدوحة العاصمة القطرية.

لم يكن الأمر سهلًا، لا عليه ولا على والدته، وكما نقل هو أوراق ولده، الآن نجحت والدته بذلك الأمر نفسه منذ ثلاثة وعشرين عامًا تمامًا.

كان الأمر صعبًا في بداية الأمر، وبدأت والدته في أداء دوري الأب والأم معًا، وبدأت الحياة تسير ببطء، وكان الجميع يحمد الله على تلك اللقيمات البسيطة رغم الحياة الصعبة، لكن رويدًا رويدًا نجحت الأم في

التغلب على ذلك وأدَّت دورها على أجمل وجه حتى استطاع أخيرًا أن ينهي تعليمه الجامعي وتخرج على يديها في كلية الهندسة والتكنولوجيا بقطر، وعندها بدأت تجني ثمار جهدها وانهالت عليها جوائز السماء أخيرًا، وظهرت السعادة على وجهها وهي تشعر أنها أوشكت على إنهاء رسالتها، بخاصة بعد أن نجح في استلام العمل بإحدى الشركات بصفته مهندسًا معماريًّا بمرتب معقول، ولكي تكتمل سعادتها سعت إلى خطبة بنت من بنات إحدى الأسر المصرية.

لم تلبث الخطبة إلا مدة وجيزة، وبعدها تم الزفاف، وأصرَّ الاثنان على ضرورة إقامة الأم معهما، بخاصة عندما أُحِيلَت إلى المعاش وأيضًا لانتظارهما شريف، طفل العائلة المدلل كما أطلقت عليه، وقضت مئات الساعات وهي تحتضنه وتلهو معه، وربما كانت أكثر عطفًا عليه من والده وأمه، وكيف لا وهم يقولون: «أحب الوِلْد ولد الولد».

وكالعادة، لأن الحياة لا تستمر على ذلك الوجه الضحوك، اكتشف الجميع إصابة الأم بالمرض الخبيث الذي بدأ ينتشر في جسدها الضعيف بصورة مؤلمة، وعلى الرغم من علمها فقد كانت تكتم كل ذلك لئلَّا يصاب أحد من أسرتها الصغيرة بضيق أو ألم بسببها.

لم يتركا طبيبًا في قطر إلا وذهبا إليه لمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكن دومًا كانت تلك النصيحة المؤلمة التي سمعاها آلاف المرات:

- إن المرض في مراحله الأخيرة للأسف، ولا يوجد بأيدينا أي شيء إلا محاولة تخفيف آلامها القاتلة.

لم يبخلا عليها بأي مدخرات، بل باع الاثنان سياراتهما لمجرد محاولة تخفيف آلامها، رغم اعتراضها على كل ما يفعلونه.

وكما كانت حياتها في هدوء، رحلت في تلك الأمسية الحزينة بهدوء، طالبةً من فادي دفنها بجانب زوجها في مقابر المصريين هناك.

ولأن المصائب لا تأتي فرادى، بعد دفن الأم وبمجرد العودة من إجازته، فوجئ بتلك المقابلة مع مدير الشركة الذي استدعاه إلى مكتبه، لا يزال يتذكر هذا الرجل وهو يستقبله بحرارة معزيًا إياه في والدته، وعندما جلس معه للتحدث في أمر هام لم يجرؤ المدير على النظر إلى عيني فادي وأردف:

- لا أدري كيف أنقل إليك هذا الخبر يا ولدي، هو رغمًا عني، أقسم لك ولكنها تلك الظروف التي استجدت على سوق العمل القطري، بخاصة بعد بدء ثورات الربيع العربي وما تلا ذلك من توقف عشرات الأنشطة على جميع المستويات الاقتصادية، هنا في قطر بصفة خاصة، وفي الخليج بصفة عامة، بعض القوانين التي ستصدر في المدة القليلة القادمة لم تعد تسمح بتوظيف أي أجنبي بالبلاد في المشروعات الوطنية.

وجم فادي وقتها وأمسك كوب الماء الموضوع على مكتب المدير متجرعًا بعض رشفات وأردف بحسرة:

- أجنبي عن البلاد؟! إنني هنا ووالدي منذ أكثر من ثلاثين عامًا يا سيد رشيد، والآن تعتبروننا من الأجانب عن البلاد؟! ولمَ أنا بالذات ولديكم في العمل عشرات من الهنود الذين يعملون تحت رئاستكم في أقسام العمال و...

قاطعه رشيد بأدب:

- إن قائمة أسماء أتت إلى الإدارة العليا يا فادي، وللأسف اسمك على رأس القائمة، لا تحزن، عسى الله أن يكون ذلك خيرٌ لك.

ابتسم فادي بمرارة قائلًا:

- أي خير لي، ألا تفهم يا سيدي؟ إنني أجدد الإقامة، التي تتم الموافقة عليها من أجل العمل، أتفهم معنى أن أترك سوق العمل القطري؟!

تنحنح السيد رشيد محرجًا وحاول أن يتحاشى النظر إلى فادي، مما أكد للأخير أن أمرًا ما يخفيه:

- أعلم يا ولدي، وأعلم أن بذلك عليك مغادرة البلاد إلى حين انتهاء إقامتك في غضون ثلاثة أشهر.

ابتسم فادي بسخرية ناظرًا إلى رشيد في تحدٍّ:

- وهل سينطبق ذلك على المهندس نيروز العراقي الموجود هنا منذ ثلاث سنوات فقط؟ أخبرني بصراحة يا سيد رشيد، هل هي مكيدة منه لإزاحتي عن منصبي؟ بل وأخبرني، هل هو الآخر سيُرَحَّل؟

- اهدأ يا ولدي، لا تنس أن زوجة المهندس نيروز قطرية، ولذلك لن يُنهَى العمل معه، أعلم أنك في ظروف صعبة وأعلم أن هذا اللقاء كان من المفترض تأجيله، لكني أحببت أن...

قاطعه فادي وهو يقوم من مكانه منهيًا اللقاء مردفًا:

- أحببت أن تضاعف أحزاني يا سيدي، فبدلًا من الحزن على والدتي فقط، عليَّ الآن أن أحزن على والدتي وعلى عملي وعلى تشتيت شمل أسرتي وعلى البحث عن مكان للسكن في القاهرة وتشتيت ابني من المدرسة، شكرًا لك يا سيد رشيد ولشركتكم ولقطر كلها.

قام رشيد مقتربًا منه ثم احتضنه وهو يناوله شيكًا قائلًا:

- يومًا ما ستعذرني يا ولدي، وتذكر دومًا أنها هي تلك الأقدار التي تجمعنا ثم تفرقنا دونما سبب، هيا امسك، هذا الشيك يعتبر مكافأة نهاية الخدمة هنا، بالإضافة إلى مبلغ أظن أنه قد يساعدك في البحث عن سكن مناسب في القاهرة، أستودعك الله وأرجو أن نتقابل قريبًا عندما أزورك في منزلك.

احتضنه فادي بدوره رغمًا عنه وفاضت عيناه بالبكاء وهو يخرج من الغرفة.

قطع حبل أفكاره ساعي المدرسة الذي أتى إليه مهرولًا قائلًا:

- أستاذ فادي، إدارة المدرسة تنتظرك لإجراء المقابلة معك أنت وشريف، فتفضل هم في انتظارك.

ضجر فادي من تلك المقابلة الروتينية التي لم تسفر عن شيء إلا قبول شريف في آخر الأمر، لكنها تلك الأمور المملة التي يجدها في كل مشوار يقوم به في مصر.

استوقف سيارة أجرة مشيرًا إليها لتقله إلى منزله البعيد عن المدرسة للأسف، فبعد أن حصل على مبلغ مكافأة نهاية الخدمة انتقل إلى القاهرة بمفرده حتى بحث عن شقة متوسطة في حي الهرم، وعلى الرغم من الزحام الموجود ليل ونهار، وهو لم يعتد ذلك، حمد الله على حصوله عليها، وبدأ في إنهاء أوراق التحاق شريف بأي مدرسة خاصة، لكن ذُهِل من أسعار أقل مدرسة بالجوار وهو لا يملك نصف هذا المبلغ السنوي.

ظل يبحث حتى اهتدى إلى تلك المدرسة ذات المصاريف المعقولة، وبدأ في تقديم الأوراق إلى حين قبولها، ثم يرسل إلى زوجته وابنه للقدوم لأول مرة إلى القاهرة.

وبعد مرور شهر من المشاوير اليومية للبحث عن عمل في أي شركة معمار، رأى أنه أصبح من المستحيل الحصول على عمل بالقاهرة في تلك الظروف التي اضطرت معها عديد من الشركات إلى تصفية أعمالها في مصر.

لم يترك مكانًا إلا وقدم فيه سيرته الذاتية، وعلى الرغم من مرور عدة أشهر للبحث عن عمل، لم يُوفَّق في أي شيء، حتى وصلت ابتسام وشريف.

كانت ابتسام من ذلك النوع القنوع الذي لم تتركه في أحلك ظروف حياته، فعلى الرغم من رفض أهلها السماح لها بالسفر لتظل بالبلاد وتترك زوجها حتى تتحسن ظروفه بالقاهرة، رفضت وأصرت على البقاء معه، فالحياة لن تستمر بهذا البؤس اليومي، وقد كان.

فمنذ أسبوع فقط اتصل به أحد العاملين بمدرسة إعدادي بالمريوطيه في الهرم، طالبًا منه القدوم لمقابلة مدير المدرسة، لم يكن ليخسر شيئًا فربما كانت تلك الوظيفة التي يسعى إليها هي التي أتت إليه دون جهد، لكنه سأل نفسه عن طبيعة مؤهله، فما الذي سيفعله في المدرسة؟ بل وكيف توصلوا إليه من الأساس؟!

قاطعه صوت ناظر المدرسة مشيرًا إليه بالجلوس ناظرًا في بعض الأوراق أمامه مردفًا:

- اسمك فادي؟

- نعم يا سيدي، فادي عبد الحميد الدهشوري.

- إن السيرة الذاتية لك يا أستاذ فادي ممتازة.

- عذرًا يا سيدي، فأنا لم أقدم أي سيرة ذاتية للعمل في أي مدرسة.

- إن المدرسة تبحث على الإنترنت يا أستاذ فادي على من لديهم بعض المهارات في اللغة الإنجليزية التي تتقنها والفرنسية، ولذلك أرسلنا إليك وإلى خمسة أشخاص غيرك، وبصراحة لم يوفقوا في قبولهم، وإن كنت لا تحتاج إلى الوظيفة فعذرًا، سوف ألغي اسمك، وسنبدأ في البحث من جديد.

- أنا لم أقل لك لا أريدها، أنا أسال فقط يا سيدي عن طبيعتها، فأنا مهندس معماري أتيت من قطر منذ أربعة أشهر وأبحث عن عمل.

- ولم تتوفق بالطبع، إن العمل يا أستاذ فادي صعب جدًّا في تلك الظروف، وبخاصة في مجال عملك، فاستمع إلى تلك النصيحة مني وهي أن تعمل ما تجد و...

قاطعه فادي بأدب:

- وما طبيعة عملي إذًا يا سيدي إن تمت الموافقة؟

- مدرس لغة إنجليزية وفرنسية.

- ولكن...

- ليس هناك لكن، إن المرتب إلى حد ما سيكون مجزيًا، وأنا قرأت في سيرتك الذاتية أن لديك طفل وحيد، فأظن أن العمل سيكون مجزيًا لأسرتك الصغيرة، فتوكل على الله.

نظر فادي إلى ناظر المدرسة عدة ثوانٍ بدا فيها متشككًا من قدرته على التدريس لأنه لم يتعلم أبدًا كيف يكون مدرسًا، لكن الظروف التي يراها وأنهم الآن في سبيلهم إلى صرف آخر خمسة آلاف جنيه هي آخر ما لديهم، ومئات الوظائف قدم فيها وفشل، فأردف:

- على بركة الله يا سيدي، متى يمكنني أن أستلم العمل؟

- بمجرد إمضائك على العقود عليك الحضور بعد خمسة أيام منذ بداية الشهر يا أستاذ فادي، ويشرفنا أنك ستكون من طاقم المعلمين بالمدرسة، فالدراسة على الأبواب.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

- ناصية الشارع يا سيدي.

توقف عن تأملاته على صوت سائق التاكسي متوقفًا أمام الشارع الذي يقيم فيه، فدفع له ما طلبه وهبط ممسكًا يد ابنه حتى وصل إلى شقته في

الطابق السادس (الأخير)، كان يحمل شريف وهو يحمد الله، رغم ضيقه من صعوده وهبوطه يوميًّا عدة مرات، كان يتخيل لو أن حياته لم تتغير، آه «لو» دائمًا التي تفتح عمل الشيطان لكنها الظروف التي لن يستطيع تغييرها أبدًا.

بد دومًا متحاشيًا الحديث مع ابتسام، فعلى الرغم من عدم اشتكائها، كان يعلم أنها في طريقها إلى الانفجار عما قريب من سوء المعيشة التي لم تتخيل أن تكون بهذا السوء بمجرد وصولها إلى البلاد.

أفاق على يديها وهي توقظه في تمام السابعة مساءً كما طلب منها حتى يستعد للنزول للبحث عن عمل آخر بجانب عمله مدرسًا صباحًا، فلم يكن المرتب مجزيًا بالصورة التي تخيلاها، وكان يعلم أن النقاش اليومي سيبدأ بطلبها أن يطلب مساعدة من والديها، وبالفعل لم تمض عشر دقائق حتى ألقت السؤال نفسه مما دعاه إلى الصراخ متعصبًا:

- أخبرتكِ ألف مرة يا ابتسام، أنا لست من النوع الذي يطلب مساعدة من أهل زوجته، وعندما أعجز تمامًا عن الصرف عليكم، عليك طلب المساعدة، أم قبل ذلك فمستحيل.

- وهل أنت سعيدٌ الآن؟! هل كدك وتعبك يوميًّا من السابعة صباحًا حتى الثالثة مساءً ثم توجهك لإلقاء بعض الدروس الهزيلة في أحد المراكز التعليمية يوميًّا وفي آخر الشهر مرتبك لا يتعدى ألفَي جنيه نصرف أكثر منها شهريًّا، وأرى أن حالنا يتحول إلى الأسوأ وليس الأفضل، وعلى

الرغم من ذلك تبحث عن عمل آخر يبدأ من السابعة حتى منتصف الليل ولو كان أي عمل، هل هذا يرضيك يا خريج الهندسة؟!

- أنصتي لي جيدًا، العمل ليس عيبًا مهما كان ما دام عملًا شريفًا، وهنا لا يوجد شخص يعمل بشهادته، فكلها أرزاق بيد الله سبحانه وتعالى، وأنتِ تتدخلين في مشيئة الله.

قاطعته ابتسام مُحتدَّة:

- ونِعْم بالله، أنا لم أقل شيئًا عن ذلك، وأنت تعلم أنني لم أتحدث عن تقسيم الأرزاق، إن لدينا حلولًا ولكنك تعند دائمًا كعادتك.

- سأحاول تدبير مبلغ آخر من المال في القريب بعملي مهما كان.

- وابنك؟ هل أنت سعيد الآن بتحويل أوراقه من المدارس الخاصة إلى مدارس أخرى عادية؟

- شريف يعيش كأغلب أطفال الشعب يا ابتسام، ومن فضلك كُفِّي عن الحديث عن هذا الموضوع يوميًّا.

- لن أكف، لا أدري ما المانع أن نقترض جزءًا من ميراثي من والدي ثم تتفتح به أي مشروع ما هنا ثم...

قاطعها فادي صارخًا:

- أخبرتك أن هذا الموضوع منتهٍ تمامًا، لن أسمح لك أو لهم بقول إن بمجرد عودته إلى بلاده أصبح فقيرًا، لو تسوَّلتُ حتى فلن أمد يدي إلى أهلك.

- تبًّا لك ولعنادك يا فادي! حسنًا، لن أتحدث عن ذلك الأمر، فما رأيك بالحل الآخر؟

تأفف فادي بضيق وأمسك هاتفه المحمول ومفاتيحه وخرج من منزله هابطًا الستة طوابق بصعوبة.

اصطدم بجاره عبد الله، فاعتذر بادب ولم يقف للرد عليه، فقد كان يائسًا من كل شيء حوله وحتى فكرة البحث عن عمل آخر ليلًا، هو يعلم من داخله أنه ليس قادرًا حرفيًّا على البحث عن أي تعب جديد.

تثاقلت خطواته وشعر أن الأرض تميد به، فاقترب من المقهى الموجود بالقرب من أسفل عمارته، طالبًا قهوة عوضًا عن التي لم يشربها في الأعلى بسبب ابتسام.

- لكن لديها حق أيها الغبي!

حدثته نفسه بذلك، وعلى الرغم من أنه يرفض تمامًا أن يأخذ أي مال من أهلها، حتى لو يخصها، يوجد دومًا الحل الآخر الذي تعرفه ابتسام والذي فكر فيه كثيرًا لكنه لم يجرؤ عليه؛ أهله، ميراثه من والده.

كان يعلم بوجود الكثير والكثير جدًّا من ميراثه من تركة أسرته كما كانت تخبره والدته دومًا، وعلى الرغم من ذلك حذرته مئات المرات من نزوله إلى مصر أو الاتصال بهم أو حتى محاولة حتى الحصول على ميراثه، وقتها لم يلح بالسؤال لأن ردها دومًا أنها ضحت بكل ذلك مقابل راحة البال، فأهل والده من أكابر القوم في إحدى محافظات صعيد مصر، لكن هناك دومًا الثأر.

كبر وكبرت معه مخاوفه من الثأر، وأدرك أن والده هرب من البلاد لخوفه من أن تصيبه تلك العادة القاتلة، ولذلك كان عليها تحذيره من النزول إلى بلده حتى، لكنها تلك الأقدار التي تملي علينا غصبًا ما سوف نفعله. حاول أن يدبر أي حلول للوصول إلى أهله دون تعريض نفسه أو أسرته للخطر، ولكن كيف؟!

وحتى ذلك يعتبر من المستحيلات، فهو لا يعرف من عائلته إلا اسمها فقط، فلا يعرف هو الآخر أعمامًا أو أخوالًا أو أي فرد من بقية أسرته.

احتسى قهوته المرة سريعًا وبدأ في البحث عن عمل آخر.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

في صباح اليوم التالي، كان في غرفة ناظر المدرسة مندهشًا من حديثه الآن بعد أن جمعه هو وزميله مدرس الإنجليزية، فأردف في حزن قائلًا:

- لا أفهم ما تقوله يا سيدي!

- أي جزء لم تفهمه يا أستاذ فادي؟! أخبرتك أنه وقع الاختيار على مدرس لغة إنجليزية مؤهل للتدريس، نعم لم نحتج إليه، لكن قبلت أوراقه للعمل لدينا، إذ إنه استلم العمل بمدينة السلام بإحدى المدارس، وهو يسكن بالجوار فقدم أوراقه.

قاطعه المدرس الآخر قائلًا بحدة:

- تقصد بالواسطة يا سيدي!

- وبالفرض، أنت تعلم أن هناك أشخاص لا يمكن رفض ما يطلبونه منك، والرجل جاء معه شخصية لها ثقلها فلم أجرؤ على الرفض.

جفف فادي عرقه وأردف في توتر:

- حسنًا، ما الوضع الآن يا سيدي؟

- هما حلَّان وعليكما أن تختارا أحدهما، أولهما أن يبدل أحدكما مع أستاذ فوزي ويذهب أحدكما للعمل بمدرسة بالسلام أو...

قاطعه الاثنان في نَفَس واحد:

- مستحيل بالطبع!

- إذًا لم يتبقَّ إلا الحل الثاني، وهو تقليل عدد الحصص الممنوحة لكل منكما، وبالتالي...

قاطعه فادي مسرعًا:

- هل سيؤثر ذلك على مرتباتنا؟

نظر الناظر في بعض الأوراق أمامه متجاهلًا نظرة فادي الشاردة وأردف:

- سيقل مرتب كل منكما إلى الثلث تقريبًا، ولا تنسَيا أن هذه إمكانياتنا.

صاح فادي قائلًا:

- ولكن هذا ظلم يا سيدي!

- أي ظلم؟! لا تنسيا أنكما أصلًا لستما مؤهلين دراسيًّا أو خريجي كليات التربية أو الآداب، ولولا حاجة المدرسة إليكم في بداية العام الدراسي لكان لنا حديث آخر، فأرجو أن تتريَّثا وتخبراني، إما بموافقة أحدكما على النقل، وإما بقبول المرتب الجديد أو تقديم استقالتكما كحل أخير.

خرج الاثنان غاضبين من حجرة الناظر وجلسا في فناء المدرسة، وبدأ فادي في الفضفضة مع زميله سيف وأخبره عن كل ما يتعرض له منذ وقت وصوله حتى هذه اللحظة، وأخبره بكل ما يكتمه بقلبه منذ شهور وشهور

حتى موقف زوجته مما تراه من صعوبة العيش، أخرج كل ما بقلبه إلى صديقه بعد أن حثه سيف على الكلام، لكنه ذهل من حديثه فأردف في اندهاش:

- اسمح لي، هل أنت ساذج يا فادي؟! أيكون لك إرث بالملايين وتخشى الحصول عليه لمجرد وصية والدتك؟! ألا يكون موضوع الثار هذا قد انتهى منذ زمن، هل جربت؟

- ليس ذلك فقط يا سيف، فأنا فعلًا لا أعلم أي شيء عن أقاربي أو حتى عنوانهم أو أي شيء يصلني بأسرتي، وأيضًا موضوع الثار حتى وإن كنت على حق، فمجرد المخاطرة بذلك قد تكون بمثابة...

قاطعه سيف قائلًا:

- كل مشكلة ولها حل يا صديقي، أنصت لي، هل تثق بي؟

نظر فادي إليه عدة ثوانٍ لكنه علم أنه لن يخسر شيئًا وليعلم ما يريده سيف، وأردف متسائلًا:

- نعم يا سيف، ما الذي تريد أن تقوله؟

- اترك لي هذا الموضوع، فلي قريب في محافظتكم وسوف أوكله بالمهمة للبحث عن أصول عائلتك ومحاولة التعرف على أحد أقاربك من دون أي يلفت إليه الأنظار، ووقتها...

- ها.. أكمل، وقتها ماذا؟

- سيكلفك الأمر بضعًا من النقود يا صديقي.

- لا يهم إن تم الأمر كما نريد.

- حسنًا، فسوف يأخذ صديقي هذا عشرة آلاف جنيه، أما مكأفاتي فلن...

صرخ فادي في وجه سيف بمجرد سماعه الرقم قائلًا:

- هل أنت مختل يا سيف؟ أي عشرة آلاف جنيه؟ وهل تظن أنني لو كان لدي هذا المبلغ لكنت تحملت مضايقة ناظر المدرسة أو لسَعَيْت يوميًّا للحصول على أي عمل مسائي ولو بخمس مئة جنيه؟!

- أنصت فقط، أنا لا أطلب منك شيئًا الآن، دع الأمور تسير كما هي، وإن نجح الرجل الذي سأوكله للبحث عن عائلتك والاتصال بأحدهم، فسيكون لديك ما يكفيك من المال للدفع له.

- وإن فشل ولم يجد أحدًا؟

- وما الذي سنخسره، عامة دع الأمر لي، سأدفع أنا له ما يطلبه، ولكن إن نجح يا صديقي؟

- إن نجح وحصلت أنا على نصيبي من الثروة فستكون لك مكافأة لم تتخيلها يا سيف.

- اتفقنا، فلنقرأ الفاتحة على هذا الاتفاق.

ومد يده إلى يد فادي الذي كان مندهشًا من الأمر برمته، لكنه علم أنه لن يخسر أي شيء، وعليه أن ينتظر أسبوعين آخرين حتى ينجح الرجل في مهمته، هذا إن وجده.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

عشرة أيام كاملة قضاها فادي بين عمله الصباحي في المدرسة وعمله الليلي كونه بائعًا في أحد محلات السوبر ماركت الشهيرة حتى منتصف الليل، وعلى الرغم من رفض زوجته ذلك الأمر، حاول أن يطمئنها أنه سمع بنصيحتها وبدأ في البحث عن طريق محامٍ مخصوص عن أسرته، وما هي إلا عدة أيام ويتلقى اتصالًا بوجود ميراث من عدمه.

وكل يوم كانت آماله تتضاءل، على الرغم من سؤاله كل يوم صديقه سيف عن سعي الرجل في البحث عن أسرته، ولكن كانت الإجابة الدائمة:

- اصبر، إن الله مع الصابرين.

تزايدت المشكلات لديه، وأصبح عصبيًّا بصورة لم يكن يتصورها في يوم من الأيام، وبدأت صحته في التدهور لعدم اهتمامه بنفسه، فهو يكدُّ يوميًّا مقابل بضع من الجنيهات التي تكاد تكفيهم.

عادت إليه فكرة الاتصال بعمله القديم للسؤال عن أصدقائه وعن أي محاولة لعودته مرة أخرى للعمل هناك، لكن كان الأسف دائمًا أن ليس هناك أي مكان شاغر، ولكن دهشته وصدمته عندما علم أنهم عدلوا بنود العمل وسمحوا بوجود جنسيات أخرى في الشركة.

وعندما حاول مرة ثالثة للاتصال بالمهندس رشيد مديره السابق، الذي أغلق كل السبل في وجهه عندما أخبره أنهم للأسف عينوا مهندسًا مصريًّا آخر بعد أن سافر بعدة أشهر، لم يمتلك أعصابه، وانفجر في الرجل بعصبية واضحة بعد أن أطلق وابلًا من السباب المهين لصاحب العمل وأغلق الهاتف في وجهه.

بعد عدة دقائق رن هاتفه مرة أخرى، ووجد رقمًا غريبًا على الشاشة، فتأكد أنه أحد ما يتبع مديره في القاهرة، فلم يجب، وبعد لحظات ظهر اسم المتصل عن طريق برنامج الكشف عن الأرقام، ذهل فادي من الاسم وقرأه عدة مرات بعد أن ظهر أمامه اسم المتصل «سامح الدهشوري».

- أيَكون؟!

هكذا تحدث إلى نفسه، وقبل أن يتصل به رن الهاتف مرة أخرى، فأجابه مسرعًا، ليأتيه صوت هادئ على الجهة المقابلة قائلًا:

- السلام عليكم، أستاذ فادي الدهشوري؟

- نعم يا سيدي، من المتصل؟

- ربما لن تصدقني، ولكني ابن عمك عوض الدهشوري.

- عفوًا!

- أنا سامح عوض الدهشوري وأنت فادي ابن عمي عبد الحميد.

- ولكن؟!

- أعلم أنك لن تصدقني بالطبع، ولكن هذا المحامي الذي أتى إليَّ منذ ساعة أعلمني أنك تبحث عن أصول عائلتك، وبعد أن نجح في الاتصال بي أخبرته بأنني سأتصل بك. أين كنت يا رجل طوال هذه المدة؟! إنك لا تتخيل مدى سعادتي، فأنت آخر من بقي من عائلة الدهشوري العريقة، فلقد توفي الكل يا ابن عمي.. ألو، فادي هل ما زلت على الخط؟

كانت دقات قلب فادي تدق بعنف وهو لا يدري، أيحلم أم تلك خدعة من أحد ما، سواء سيف أو حتى من يريدون الزجَّ به في أمر الثأر، فلم يعلم مدى صدقه، فأردف:

- أنا هنا يا سامح، ولكن اعذرني، كيف أتأكد أنك المقصود؟

- حسنًا، لديك كل الحق وإلى أن نتقابل وأريك كل صور والدك وجدك عليه رحمة الله وبقية الأسرة لتتأكد.

- إلى أن نتقابل؟!

- نعم، ولا بد أن يكون في القريب العاجل، فإنا في إجازة حاليًّا من عملي في العراق.. ألو فادي، أشعر أنك لا تصدقني؟ هل ستصدقني إذا أخبرتك باسم والدتك زوجة عمي؟

- لا أعلم، ولكن ربما، فلم أخبر أي أحد باسمها.

- فدوى، اسم والدتك فدوى يا فادي، أليس كذلك؟ ووالدك سافر من المحافظة ثم إلى القاهرة وبعد ذلك هرب إلى قطر في أوائل الثمانينات، وإن كنت تريد كل التفاصيل فسأحضر لك شهادة ميلاد والدك وكذلك كل ما يؤكد لك كلامي.. اللعنة! أين كنت أيها المأفون؟! إنني أتحدث مع نفسي، ألو...

- أنا معك، لكني لا أستطيع أن أتنفس من فرط اندهاشي.

- إن لك ميراثًا في ذمتي أمام الله، لا يقل عن عدة ملايين من الجنيهات، وأنا أتقي الله في نفسي فـ...

تركه فادي يتحدث ويتحدث ولم يركز إلا في كلمة «لك ميراث بملايين الجنيهات»، فقد كان الأمر أشبه بالحلم، أخبر نفسه أن عليه أن يتوكل على الله ولا يخشى شيئًا، فإن كان كاذبًا فليقتله وينهي حياته البائسة، وإن صدق فسوف تفتح له أبواب الدنيا على مصراعيها، ولذلك أعطاه ميعادًا وعنوان منزله ليقابله غدًا في تمام الثامنة مساء.

وما هي إلا لحظة واتصل به صديقه سيف مهللًا مبشرًا بأن المحامي الذي وكله بالبحث عن أصول أسرته قد نجح في الحصول على عنوان ابن عمه الوحيد والمتبقي من الأسرة كلها وعليه ألا يخلف وعده بإعطائه المكافأة التي وعده بها.

وبالفعل أقسم له فادي أنه بمجرد امتلاكه الميراث فسوف يعطيه مكافأة لم يكن ليتصورها في يوم من الأيام.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

في مساء اليوم التالي، كان سامح الدهشوري بالفعل جالسًا أمام فادي وزوجته بعد أن أعطاهما كل الأوراق التي تثبت أنه بالفعل ابن عم فادي، من شهادات ميلاد لوالده وعمه وأخيهم الأصغر وكثير من الصور الفوتوغرافية لهما في مراحل شبابهما وحتى صور زفاف والدي فادي، ثم أنهى حديثه وفتح حقيبة واضعًا بها خمسين ألف جنيه أمامهما، وظلَّا

واجمين ينظر كل منهما إلى الآخر، الأمر الذي جعل سامح يستشعر الحرج من دهشتهما تلك، فأغلق الحقيبة في أدب وأردف:

- هذا جزء بسيط جدًّا من ميراثك، لأني لم أعمل حسابي على مقابلتك هذه الأيام، فأنا كما أخبرتك في زيارة لمدة أسبوع للقاهرة، ووجدتك أخيرًا، ويعلم الله كم بحث عنكم جدي ومن خلفه والدي عليهما رحمه الله، فسحبت هذا المبلغ البسيط من حسابي حتى تحضر محاميك الخاص لاستلام جميع حقوقك يا صديقي، ولكن للأسف لن يكون ذلك إلا بعد ثلاثة أشهر، لأنني سأضطر إلى السفر مرة أخرى خلال يومين.

نظر فادي إلى زوجته التي لا تزال مندهشة وهي تنظر إلى سامح في بلاهة وإلى ابنها الذي كان سامح لا يزال يداعبه متحدثًا معه، فسعل فادي قائلًا بتوتر:

- هذا المبلغ لي؟ أنت لا تعلم كم كنا نحتاج ولو ربعه يا سامح، الحمد لله، الحمد لله! تلك تدابير الرحمن، لم يشأ أن يتعبنا بهذا الشكل، إنني بهذا المبلغ الضخم قد أبدأ...

قاطعه سامح مردفًا:

- الحمد لله، والحمد لله أن والدي أوصاني بك بصفة خاصة، وكان عليَّ أن أبحث عنك في كل مكان، وللأسف لم أوفق، فيئست ودعوت الله كثيرًا

أن يتم لقاءنا في يوم ما حتى أبرئ ذمتي أمام الله وليرتاح والدي في قبره، وها هو قد قدره الله، ولولا أنني اتنقلت للعمل في مشروع ضخم بالعراق لكنا...

قاطعه فادي مردفًا:

- أنت لا تقيم في القاهرة إذًا يا سامح؟

- لا، كنت أقيم بالقاهرة في الرحاب، ولكن لاضطراري إلى العمل هناك فيلزمني شهر هناك وإجازة هنا لمدة بسيطة، فأنا حياتي أصبحت للعمل فقط.

- وأسرتك؟

وجم سامح لدقيقة وترقرت دمعة بسيطة في عينيه وأردف:

- لا أريد أن أثقل عليك بحديث ليس منه طائل ويزيد من همومك، ستعرف كل شيء في حينه، ولتعلم أنكم أسرتي الوحيدة المتبقية على قيد الحياة، لذلك أنا أحرص عليكم فوق مما تتصور، هيا فلنغير مجرى الحديث، أخبرني المحامي أنك تعمل مدرسًا في إحدى المدارس بالجوار، هل أنت سعيد في عملك؟

- بالعكس، إن عملي من أسوأ الأشياء التي من الممكن تخيلها، فلم أخلق لأكون مدرسًا، بعكس والدي عليه رحمه الله، و...

قاطعه سامح مردفًا:

- ولمَ اخترت مهنة التدريس من الأصل إذًا؟!

- أنا لست خريج كلية الآداب أو التربية، أنا مهندس إنشاءات يا سامح.

رفع سامح حاجبيه دهشة:

- مهندس إنشاءات وتعمل مدرسًا يا فادي! ألا تعلم أنني أبحث عن عمالة لشركتنا الجديدة هناك؟

- ليس بإرادتي يا سامح، لقد وجدت عملًا فكان عليَّ أن أقبله مهما بلغت صعوبته، فأنت لم تعرف ما الذي حدث لنا طوال هذه المدة، لن أخفي عليك، فقد بدأ الأمر بتعب والدتي، وصرفنا أغلب مدخراتنا على علاجها، ثم طُرِدت بمعنى أصح من عملي في قطر، ثم ضرورة سفري إلى القاهرة.

خرجت ابتسام لتعد للضيف طعام العشاء، وبدأ فادي يقص على ابن عمه كل ما حدث منذ هجرة الأب إلى قطر وكل ما صادفوه من عقبات من عمل أو مرض والدته أو دفنها مع والده، وحتى موقفه مع رشيد وإنهاء عقده في الشركة ثم رحيله إلى القاهرة، وبدء الحياة الصعبة مع نفاد كل ما لديهم من مدخرات، حتى بدأ يبحث عن أي عمل يكاد يكفي قوتهم، لم يجب سامح حتى انتهى فادي تمامًا من الحديث عن كل الصعوبات التي وجدها

في حياته، ثم قطع حديثه عندما شعر أنه بدأ في الشكوى المستمرة، فحاول تغيير مجرى الحديث فأردف:

- والآن أخبرني، ما موضوع عملك بالعراق؟ أتُنشئ شركة جديدة هناك أم ماذا؟

- الأمر ليس كذلك، لا أنشئ ولكني المدير التنفيذي لشركه كبيرة تعمل في مجال الإنشاءات، وأنت تعلم أن العراق الآن يُعاد بناؤه من جديد وتوجد آلاف من فرص العمل التي يجب استغلالها.

صمت سامح تمامًا، في حين كان فادي على وشك أن يطلب منه تجربة حظه هناك، فمن يعلم، ربما كان كل ذلك خطوة لاستعادة رونق الحياة كما كانت من قبل، ولكنه أُحرِج من طلب ذلك من قريبه، فها هو قد أتى إليه بجزء من ميراثه وعليه أن ينتظر عدة أشهر للعوده مرة أخرى. ولم لا؟!

- أخبرني يا فادي، لمَ لا تجرب العمل بالشركة معنا؟

- أعمل معكم؟

- أنا أبحث عن مدير موقع لأحد الإنشاءات في بابل بالعراق، فما رأيك؟

قاطعه فادي مندهشًا:

- العراق!

- نعم، ولم لا، فهي تشهد طفرة الآن من بعد الحرب، والشركة هناك تقوم بالتوسعات. المهم أننا لم نعمل أي إعلانات بالجرائد، وتركت الأمر كليًّا لصاحب العمل في اختيار العاملين في المشروع الجديد، ولكن إن وافقتَ فسوف أطلب منه قبولك على الفور. فكر في الأمر جديًّا يا فادي، وان وافقتَ فعليكَ أن تخبرني في الصباح وسوف أنهى كل الإجراءات سريعًا لأسبقك إلى هناك وأعد لك المكان.

- ولكن غربة مرة أخرى، لقد عشت كل حياتي مغتربًا، ورغم تعبي وكدِّي كانت نهاية الأمر طردي من البلاد.

- لن يكون هناك أي اغترابن صدقني ولا تقلق، فكر جيدًا وأخبرني وسأنتظر مكالمتك، وإن وافقت فسأضمن لك راتبًا مجزيًا ومكانًا لإقامتكم.

- إقامتنا؟

- نعم، فالمشروع أسري، وكل العاملين يحضرون بأسرهم، لا تشغل بالك الآن، عليك فقط مقابلة الرجل، ومن يعلم.

واستأذن سامح بالنزول رغم إلحاح فادي وزوجته على تناول العشاء، لكنه تحجج بعدة مهام أخرى.

وفي المساء، كان فادي يحاول إقناع ابتسام بضرورة المغامرة مرة أخرى وعدم انتظار الميراث، وعليه أن يجرب حظه في العراق، فربما... لكنها كانت تخشى السفر مرة أخرى، وإن لزم السفر فيجب المحاولة مرة أخرى في قطر، ولكن من كثرة إلحاح فادي قالت:

- الموضوع كله يثير ريبتي من الآن، شخص يظهر فجأة يبحث عن قريبه ليعطي له ميراثه في هذا الزمن! ولتعلم أنني لم أرتح أبدًا لابن عمك يا فادي، أمرٌ ما يثير شكوكي في هذا الرجل.

تأفف فادي بضيق قائلًا:

- أليس هذا من كنت تلحين عليَّ ليلًا ونهارًا من أجله والبحث عن أقربائي والحصول على ميراثي؟! أليس هذا من أجبرتني على البحث عنه وإلا هددتني بالرجوع إلى قطر مرة أخرى، ما اضطرني إلى البحث عنه ودفع مبلغ وقدره حتى أصل إليه؟! لا أدري لمَ أصبحتِ متوترةً من كل شيء وأي شيء، وحتى إن رفضت السفر ولم أعمل معه مثلًا، هذا إن وافق صاحب المشروع، واكتفيت بهذا المبلغ، ألن تلحي مرة أخرى بضرورة متابعة بقية الميراث؟

- أظن أن ذلك من البديهيات، إنك تبحث عن ميراثك، على الأقل لضمان مستقبل ابنك الذي لم يتعد السابعة من العمر يا فادي.

- ومن أجله أبحث عن مستقبل وعمل، وإن صلحت الأحوال فلم لا أسعى؟

- أنت حر ولكن تذكر حديثي الآن، إن أمرًا ما لا أرتاح له، وتلك الحقيبة ما هي إلا اصطيادك لفخ آخر، ما أعطاه لك باليمين سيأخذه أضعافًا مضاعفة باليسار.

كظم فادي غيظه وتناول سلسلة مفاتيحه وخرج من المنزل، سار في الشوارع الممتلئة بالزحام من دون هدف، وفكر في الأمر عشرات المرات، وأخرج الهاتف من جيبه واتصل بسامح قائلًا:

- سامح، أنا موافق جدًّا، ما هي الخطوات المطلوبة الآن مني؟

- أبدًا يا فادي، شهادات تخرجك وميلادك وشهادات خبراتك في عملك السابق وصورة من جواز سفرك أنت وأسرتك.

- حسنًا، وأين المكان المفترض مقابلة صاحب المشروع فيه؟

- ستقابل مدير المشروع وليس صاحبه، سأرسل لك الآن عنوان موقع الفيلا التي يقيم بها مستر ريمون مدير المشروع، وسأحدث صاحب المشروع عنك في الصباح، فالوقت تأخر الآن والرجل صحته ليست على ما يرام، وسأجعله يوصي ريمون بقبولك ولتقابله في تمام الواحدة عصرًا.

- وما طبيعة المقابلة يا سامح؟

- عادية جدًّا، لا تقلق، سأخبره أنك قريبي وكنت تعمل في قطر في التخصص ذاته، وقدمت استقالتك لظروف خاصة. اسمع يا فادي، لا تقلق، سأقول إنك خبير في عملك وسيقبلك، عليك فقط استحمال فظاظته، بالمناسبة حارس الفيلا هو عم مستجير.

هز فادي كتفيه بعدم اكتراث كأن سامح يخبره بشخص يعرفه من قبل.

- ومن مستجير هذا؟

- ياه! عم مستجير كان الخادم الخاص لوالدينا عليهما رحمه الله منذ أكثر من خمسين عامًا، رجل عجوز الآن وقد ماتت زوجته وسَعَت إلى إيجاد عمل يناسبه لرفضه تقديم أي مساعدات له، سأخبره عنك هو الآخر، سيفرح جدًّا.

- حسنًا يا سامح، فلتأكد لي على الميعاد غدًا، وعذرًا لأني اقتحمت حياتك بمشكلاتي.

قاطعه سامح بحدة قائلًا:

- اصمت أيها الساذج، أنت قريبي، أنت من دمي، إننا إخوة يا فادي، لقد أصبحنا وحيدين في هذا العالم بعد وفاة أغلب أسرتنا، لذلك أنا على

ثقة أنك لو كنت مكاني لفعلت التصرفات نفسها، لا تقلق يا أخي العزيز ودع أمورك لله ثم لأخيك.

شكره فادي مندهشًا من شعور ابتسام ضد هذا الرجل.

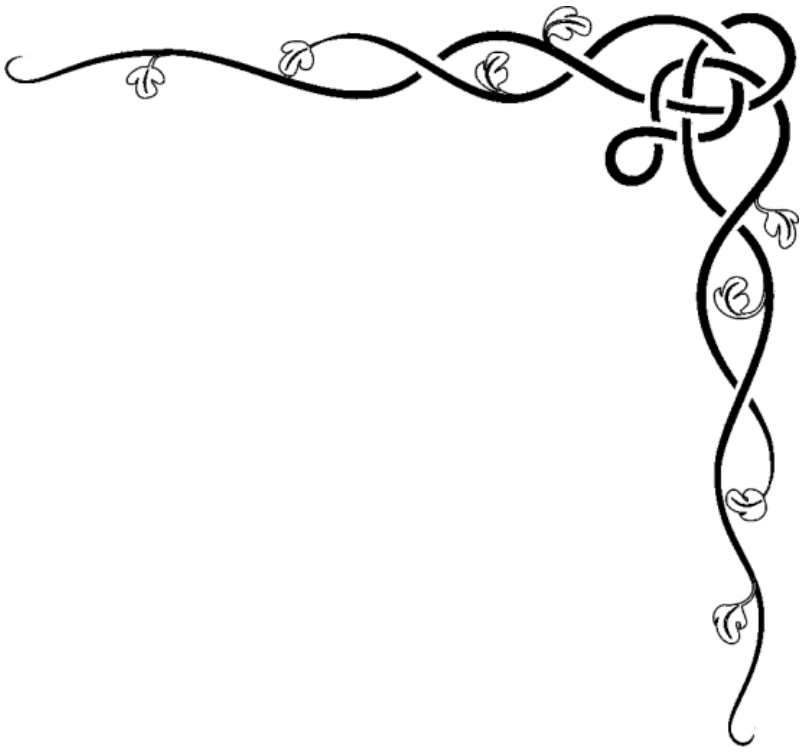

اللقاء

في تمام الواحدة تمامًا كان فادي في طريقه إلى إحدى الفيلات القديمة الموجودة في إحدى ضواحي المعادي، حيث يغلب الهدوء والسكينة على الشارع كله. سار عدة خطوات حتى توقف أمام الفيلا رقم 155، ورفع صوته صائحًا على أي شخص، إذ كانت البوابة مغلقة.

بعد عدة دقائق جاء إليه رجل عجوز ظل ناظرًا إليه من خلف السياج الحديدي عدة دقائق دون أن يرمش بعينيه، ووقتها ظل فادي يشرح له أن لديه ميعادًا بالداخل لمقابلة مدير المشروع، وأن سامح ابن عمه هو من أخذ له هذا الميعاد، حاول أن يختصر كلماته فالرجل ليس له أي شأن بذلك فأردف:

- هل أنت عم مستجير؟

ظل العجوز واجمًا كأنه لم يفهم ما يتفوه به فادي، مما أثار خجله وفكر جديًّا في الانسحاب والاتصال بسامح مرة أخرى، لكن الرجل تهللت أساريره فجأة وفتح الباب الحديدي ثم احتضن فادي وسط اندهاش الأخير، وأخذه من يده حتى جلسا معًا على أحد الكراسي الخشبية بجوار البوابة، وتكلم العجوز في وهن:

- ياه يا ولدي! عشرات السنوات والسنوات مرت عليَّ في هذه اللحظة، إنك تشبه أباك كثيرًا كثيرًا، رحمة الله على الجميع، آخر مرة رأيته منذ أربعين سنة تقريبًا و...

قاطعه فادي قائلًا:

- ولمَ ترك البلد فجأة يا عم مستجير؟ وما موضوع الثأر الذي كان في الأسرة؟ وهل يوجد أي أقرباء لي في البلد من الأصل؟

- هذا الموضوع قديم جدًّا ولا أتذكر أي تفاصيل يا ولدي.

رفع فادي حاجبيه اندهاشًا قائلًا بابتسامة باهتة:

- يا عم مستجير، تذكر من فضلك فالموضوع هام جدًّا بالنسبة إليّ.

- يا ولدي إن عمري فوق الثمانين عامًا، وتغير الأشخاص والدنيا والبلاد ومات كل رفقائي وأهلي، وما تريد الخوض فيه لا أتذكره جديًّا وأخشى أن أفتح شيئًا مات منذ زمن.

- وأهلي؟

- لم يتبقَّ منهم أحد، بداية الأصل كان جدك الكبير، لم ينجب إلا ثلاثة فتية وبنتًا توفاها الله قبل زواجها، لكنه كان جبارًا في الأرض يا ولدي بمعنى الكلمة، لم يسلم من أذاه أي شخص، وظلم وأذى، والكل كان يعلم ذلك ويتجنبه حتى أولاده الذين أنجبهم، فكان عمك عوض أبو سامح هو أقرب أبنائه إليه، لأنه كان يطيعه خوفًا منه، وبعد حدوث بعض المشكلات هرب والدك من البلد كله، والذي ظل يبحث عنه حتى آخر يوم في وفاته هو عمك، بحث كالمجنون في كل البلاد والأماكن

دون جدوى، وهو الوحيد الذي تأثر برحيله، أما جدك فقد تكبر وتجبر أكثر فأكثر.

قاطعه فادي ضاحكًا عندما شعر أن الرجل لديه الكثير والكثير ليتحدث عنه، ولكنه لا يريد ذلك:

- وهل تذكر كل ذلك أيها العجوز ولا تتذكر موضوع الثأر؟! إذًا حدثني عن جدي أو عن عمي عوض أو ذاك الآخر.

هب العم مستجير واقفًا كأنه شعر أنه تحدث أكثر من اللازم، قائلًا:

- يا ولدي، أنتم أهل في بعضكم والأمر لا يعنيني، وما حدث حدث منذ عشرات السنوات، ولا داعي إلى نبش قبور الموتى، فلتدعهم بسلام، ثم أليس لديك ميعاد مع السيد ريمون بالداخل؟ هيا أسرع وإلا رفض مقابلتك، فهو دقيق جدًّا ولو تأخرت عن ميعاده أكثر من ذلك فلن يسمح لك بالدخول.

نظر إليه فادي وقد شعر أن الرجل يصرفه بأدب، فتركه يوصله إلى الداخل حيث وجد شخصًا آخر قاده إلى البهو الداخلي في انتظار مقابلة مدير المشروع.

وما هي إلا دقائق حتى أشار إليه الرجل بالتقدم نحو إحدى الغرف المقفولة، ففتح الباب ودخل، وبمجرد دخوله شعر بانقباض غريب في المكان،

وتقدم نحو المكتب الذي كان يقف من خلفه رجل تجاوز مترين طولًا، وسط هالة من الدخان الأبيض الكثيف من سيجارة الغليظ موليًا إياه ظهره ناظرًا إلى الخارج ناحية البوابة.

تنحنح فادي فالتفت إليه الرجل مشيرًا إليه بالجلوس.

كان الرجل في الستين من عمره تقريبًا، عيناه شديدتا الزرقة بصورة لم يشاهدها فادي من قبل، فألقى عليه التحية بالإنجليزية:

– مساء الخير مستر ريمون.

لم يجب الرجل وأشعل سيجارًا آخر من سيجارة الغليظ، وبمجرد سماع فادي صوت الرجل الأقرب إلى الفحيح شعر بالرعب دون سبب، بخاصة عندما قال بلهجة مصرية:

– لمَ تتحدث الإنجليزية؟! هل تظنني خواجة أنت الآخر؟!

وقبل أن ينطق فادي، كتمه الرجل بإشارة من يده قائلًا ببرود:

– أنت ابن عم سامح الدهشوري، مضبوط؟

– نعم يا سيدي.

– حسنًا، لقد أخبرني بالكثير عنك ويرى أن لديك كفاءةً ما، فأين أوراقك؟

فتح فادي المظروف الموجود بحوزته وقدمه لريمون، فنظر بعينيه إليه دون أن يلمسه إلا بطرف قلم دون اهتمام، وأردف:

- حسنًا حسنًا، ستسلم العمل أول هذا الشهر في الموقع، عليك تجهيز أوراق سفركم خلال أيام.

- إن شاء الله يا سيدي، ولكن...

أشار إليه ريمون بيده محتدًّا:

- لا تقاطعني، أنا لم أنتهِ من حديثي بعد.

- تفضل يا سيدي.

- الشركة الأم موجودة في الكويت، ولدينا الفرع الرئيسي الآن هنا في القاهرة، وتنشئ عديدًا من الإنشاءات في المواقع الحيوية في الدول كافة، ولسمعتنا اختارتنا منظمة الأمم المتحدة لإعادة إعمار عديد من الأماكن الهامة بالعراق، ولذلك أنشأنا فرعًا لنا في الطريق ما بين كركوك وبابل بالعراق، سيكون هناك «كامب» أسري، ومن أسباب اختيارنا لك حديث سامح عنك بالطبع، ولأنك متزوج، لأن التقاليد عندنا تمنع أي أعزب في العمل في الكامب الخاص بنا، ولذلك عليك تجهيز أوراق سفرك أنت وأسرتك خلال أسبوع من الآن، أفَهِمت؟

- اعذرني يا سيدي، لا أقصد مقاطعتك، ولكن لدي طفل في المدرسة هنا وأخشى أنه...

- لا تقلق، فسامح أخبرني بذلك، ووبمجرد وصولكم سيتولى تقديم أوراق ولدك في إحدى المدارس ببابل، هي إرسالية أمريكية على وجه التحديد وتعليمها فوق الممتاز ومكلفة بالطبع، وأغلب العاملين لدينا أبناؤهم هناك، وهناك الآن عطلة لمدة شهر في البلاد ومن المناسب تقديم الأوراق سريعًا، وستُقتَص مصاريف دراسته على مدار سنة من مرتبك الذي سيكون مجزيًا أكثر مما تتخيل بالطبع.

ومد يده في درج مكتبه وأخرج مجلة صغيرة ألقاها بعجرفة على طرف المكتب، مشيرًا بيده إلى فادي أن يلتقطها، فمد يده وأخذها مندهشًا من سوء معاملته واستمر:

- هذا الكتيب سيحدثك عن شركتنا وإنشاءاتها منذ سنوات وسنوات عن طريق صاحب المشروع والمواقع التي... لا يهم، كل ما تريد معرفته اقرأه بنفسك، فأنا لن أظل أحدثك طوال النهار، فلدي عديد من الأشياء الأهم من مقابلتك. اسمع، أمامك خمس أيام لتجهيز نفسك وأسرتك، وسنرسل لك سيارة يوم الجمعة القادم، حسنًا؟

وقبل أن ينطق، أخرج من درج آخر عدة أوراق مستكملًا:

- هذا هو العقد الخاص بك، لقد مضيت عليه والآن هذا دورك.

أمسك فادي العقد ليقرأه، ولكنه بمجرد أن وقعت عيناه على المرتب فغر فاه، فهو لم يحلم أبدًا بأن يكون مرتبه الشهري فوق ثلاثة آلاف دولار شهريًّا، فأمسك القلم ومضى على الفور وسط ابتسامته التي كانت تتسع وتتسع دون حتى أن يكلف خاطره بقراءة بقية الأوراق.

أخذ نسخة ووضعها في جيبه الداخلي، مادًّا يده إلى ريمون ليصافحه، لكن ريمون تجاهل يده الممدودة وأمسك سيجارًا آخر مشيرًا إلى باب الخروج قائلًا:

- تفضل، المقابلة انتهت.

لم يهتم فادي بهذا الأسلوب العنجهي، فكل ما أراده هو معرفة المشروع ومصير أسرته، وقبل كل ذلك المقابل المجزي الذي كان سيحصل عليه وقد كان. خرج مسرعًا للحاق بمستجير، لكنه لم يجد العجوز في الجوار رغم بحثه عنه في غرفته وخارجها، ووقتها شعر أن الرجل لديه الكثير والكثير مما لم يحدثه به.

خرج من الباب الخارجي للفيلا واتصل بسامح لشكره وإخباره بما حدث في المقابلة، وأشار إلى إحدى سيارات التاكسي وركبها، ولكنه لم يلاحظ أبدًا وجود أعين تراقبه في الأعلى، حيث كان مستجير وريمون يقفان من خلف الزجاج العاكس.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وطوال اليومين التاليين ظل فادي في صراع مع ابتسام التي كانت تخشى تلك الرحلة كعادتها الموسوسة، ولكن العائد من عمله كان مغريًا بحق، مما جعلها تعيد التفكير فوافقت ولكن على مضض، وبخاصة عندما سبقهم سامح إلى العراق وأخبرهم أنه بالفعل قدم أوراق شريف في الإرسالية الأمريكية ببابل.

وبالفعل لم تمض عدة أيام حتى كان ثلاثتهم في رحلة طويلة إلى العراق، وبعد هبوطهم في مطار بغداد الدولي كان عليهم الانتظار بعضًا من الوقت حتى تصل سيارة ستقلهم إلى مكان العمل والإقامة الذي يقع بالقرب من إحدى المناطق القريبة من بابل، التي تبعد نحو ساعة وربع عن العاصمة، وبالفعل لم تمض نصف ساعة أخرى حتى كان الجميع في الطريق إلى المعسكر وسط الصحراء القاحلة.

وفي منتصف المسافة، استأذن السائق للوقوف قليلًا عند إحدى محطات البنزين لتأدية الصلاة، ووافق فادي للتمشي قليلًا بدلًا من الجلوس طوال هذه الساعات من الطائرة والانتظار والسيارة، فأخذ شريف بعد أن رفضت ابتسام النزول خوفًا من الحرارة الشديدة في الخارج.

توقف فادي قليلًا مجيبًا على هاتف سامح الذي كان يسأله عن الطريق وطمأنه أنه في انتظاره في المعسكر وظل يتحدثه معه وهو ينظر إلى شريف الذي كان ينظر تحت إحدى السيارات باهتمام، ثم ما لبث أن تناول أحد

الأحجار وحذفه تحت تلك السيارة، حتى وجد قطة تخرج مسرعة فأخذ يعدو وراءها بحجر آخر.

اندهش فادي من سلوك ابنه وأغلق الهاتف سريعًا لاحقًا بشريف، الذي كان قد التف حول السور، فهرع إليه فادي لينهره بعد أن أصاب الحجر القطة في رأسها فصرخت متألمة وهربت، في حين وقف شريف يضحك بسعادة.

توقف فادي لينهر ابنه، لكنه جفل فجأة عندما سمع تلك الصرخة التي صدرت من سيدة عجوز بجواره، جالسة على أحد الأحجار القريبة، لم يلاحظها في أثناء وقوفه مع شريف ولكن فزعه كان أكبر عندما أشارت بيدها إلى ابنه قائلة:

- ابنك غليظ القلب مثل جده.

توتر فادي بصورة لم يعهدها من قبل وتزايدت ضربات قلبه حتى إن يديه بدأتا في الارتعاش، وعندما اقترب من العجوز التي كانت تنظر إليه بغيظ بعينين زرقاوي اللون ولها وجه تعدَّى مئة عام ممتلئ بكثير من التجاعيد، وتساقطت بعض خصلات شعرها الفضية من أسفل غطاء رأسها، وترتدي عدة عباءات قديمة فوق بعضها، حاول أن يتمالك نفسه مقتربًا منها ليحدثها بهدوء:

- من أنتِ؟ وكيف تعرفين ابني وجدي؟ ومن أين أتيتِ بهذا الحديث من الأصل؟!

لم تجب العجوز، بل بدأت في الاهتزاز هي الأخرى محركة رأسها أمامًا وخلفًا في ببطء أولًا، ثم بدأت تسارع حركتها وهي تشير إلى السماء وتحرك يديها كأنها تكتب بحروف في الهواء، وتحولت عيناها إلى اللون الأبيض، مما أثار رعبه فعاد خطوتين إلى الخلف، حينها بدأت العجوز في النحيب قائلة:

- سينتهي مستقبلكم، سينتهي عمركم يا سلالة ملعونة بلعنة الخُنَّاس في القريب، وزوجتك ستُذبَح كالبهيمة، مصير ابنك مظلم وأنتم السبب، لعنة آلاف السنوات أيقظتموها يا ملاعين، لعنة الله عليك وعلى آبائك!

وارتعدت أكثر وصرخت أكثر وهي تولول:

- دماء، نار، حضرة، لعنة، عذاب طول العمر، كفر كفر كفر، الملعونة ابنة الملعون، زيف وخداع وغش، عد إلى بلدك يا ابن الدهشوري، احفظ ولدك في قمقم وإلا...

وبدأت في العويل والصراخ، فبدأ في التقهقر أكثر إلى الخلف والعودة من حيث أتى، ووقتها فوجئ فادي بالقطة تعود هي الأخرى لتبدأ في العويل بصوت العجوز نفسه حتى اتحدا في صوتٍ واحد. نظر فادي حوله فلم يجد

شريف أمامه فبدأ في الصياح مناديًا، وبخاصة عندما شعر أن قدميه لم تعودا قادرتين على السير، فبدأ في الصراخ أكثر، ولكنه فجأة شعر بيد ثقيلة تهزه وصوت أجش يهمس بجواره:

- يا أستاذ فادي، أين كنت؟ لقد بحثت عنك عشر دقائق كاملة، ماذا تفعل هنا؟

نظر فادي من حوله فلم يجد العجوز ولا قطتها ولا الحجر الذي كانت تجلس عليه، فصرخ في وجه السائق قائلًا:

- ابني، أنا هنا أبحث عن شريف، كان معي منذ خمس دقائق والآن لا أراه، ابحث معي من فضلك سريعًا وإلا...

قاطعه السائق الذي نظر إليه مندهشًا قائلًا:

- فلتهدأ يا أستاذ فادي، ابنك يجلس مع والدته في السيارة منذ مدة، وأنا أبحث عنك حتى لا نتأخر على السيد سامح.

نظر إليه فادي لوهلة مندهشًا وأردف:

- حسنًا، اذهب الآن وسآتي خلفك على الفور.

تركه السائق فتحرك فادي حول المكان كله، فلم يجد العجوز أو حتى القطة، بل كان هناك على مرمى البصر عدة قبور يعلو أحدها علامة خضراء،

اقترب ناحية أحد العمال، الذي كان يراقبه من بعيد، فاقترب منه وحياه، فاقترب العامل منه في فرح قائلًا:

- الأخ مصري! أهلًا بك يا سيدي، هل من خدمة أؤديها لك؟

- شكرًا، أود فقط سؤالك عن شيء.

- تفضل.

- ما تلك القبور التي على البعد؟ وتلك القبة الخضراء؟

- يُقال يا سيدي إنها لإحدى الصالحات التي كانت تسكن القرية بالقرب من هنا، وبعد أن توفيت أقام الجيران هذا القبة وبجوارها سبيل ماء و...

قاطعه فادي مسرعًا:

- ومتى توفيت تلك السيدة؟

- ياه يا سيدي! منذ القدم، منذ عشرات وعشرات السنوات، فجدي تعدى التسعين عامًا ويسكن تلك القرية، وطالما حدثني عن كرامات تلك الصالحة، ولا أكذب عليك، فقد تناقل عجائز القرية أنها تظهر لهم أحيانًا مخبرة إياهم ببعض النبوءات، ولكنها ترهات يا سيدي، فأنت تعرف عجائز القرى ليس لديهم حكايات إلا عن كرامات الأولياء. لكن هل تريد شيئًا يا سيدي؟ أيوجد شيءٌ أستطيع تقديمه لك؟

- لا لا شكرًا، مجرد فضول يا صديقي.

وتركه فادي منصرفًا إلى السيارة التي تحركت مسرعة إلى الكامب، لم يسمع توبيخ زوجته المستمر ولا بكاء شريف من دون سبب، لأنه كان يفكر في تلك العجوز وهل ما رآه حقيقة أم وهم، لكنه كان مرعوبًا من تلك الكلمات التي أخبرته بها إن كانت فعلًا هي تلك الصالحة التي ظهرت له.

ولكن من يعلم، حاول أن يقنع نفسه أنها مجرد تهيؤات وعليه فقط التأقلم في علمه الجديد والاهتمام بزوجته وابنه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بعد ساعة كان سامح في انتظارهم على البوابة الخارجية بعد أن ظل الجميع بالخارج حتى راجع الأمن جميع الأوراق اللازمة وركب سامح معهم لتوصيلهم إلى مقر إقامتهم داخل الكامب، ولاحظ فادي أنه لم يكن بهذا الاتساع الذي خيل إليه، إذ وجد عدة بيوت صغيرة من دور واحد فقط، لا يتعدى عددهم تسع بيوت على شكل دائرة داخل سور يحيط بها، وفي آخر السور مبنى كبير من دور واحد، يبدو أنه المقر الإداري للعمل، وبجواره فيلا من دورين محاطة بسور آخر بسيط.

توقفت السيارة أمام آخر بيت على اليسار، وهبط سامح والسائق لإنزال الحقائب، في حين كان في البيت القريب بجوارهم عدة أطفال تلهو في صمت،

وبجوارهم سيدتان تجلسان على كراسي خشبية في الحديقة وتغزلان بإبر التريكو، وقد نظرتا إليهم في بداية الأمر في دهشة ثم تحولتا إلى عملهمت ولم تهتمَّا حتى بابتسام التي كانت تنظر إليهما في ود.

كان البيت عبارة عن دور سفلي به ثلاث غرف كبيرة الحجم وحمام ومطبخ به باب يطل على حديقة واسعة، لم يكن هناك أي زحام أو ضوضاء في الخارج، فالجميع في صمت تام بداخل الكامب، فاندهش فادي من ذلك لكن سامح أخبره أن الجميع لا يزال في العمل في الموقع القريب من هنا، وسوف ينتهي العمل في السابعة مساءً وعليهم الراحة الآن، وسوف يأتي إليهم بعد عدة ساعات لتناول العشاء جميعًا في المطعم المخصص للعشاء في الكامب.

أفرغت ابتسام الحقائب وهرع شريف إلى إحدى الغرف وبدأ في إخراج حاجياته هو الآخر، أما فادي فقد استلقى على أحد الأسرة ليذهب في غياهب النوم.

وبعد عدة ساعات، أيقظته ابتسام مخبرة إياه أن سامح بالخارج ويريد اصطحابهم إلى المطعم، وما هي إلا عدة دقائق وكان الجميع على إحدى المناضد يتناولون طعام العشاء. لاحظ فادي أن الجميع يأكل في صمت دون أن ينظر حتى إليهم، ولم يكن بالعدد الكبير، فكل ما كان هناك تسع مناضد بالضبط، يجلس إليها ثلاث أسر، ولم يهتم أي شخص إلا بالطعام فقط حتى

الأطفال، فلم يكن بالقاعة إلا أربعة أطفال يتناولون طعامهم في أدب على غير العادة.

لاحظ سامح اندهاش فادي من المكان، فمال إلى أذنه مشيرًا إلى إحدى الكاميرات المثبتة بجوار باب المدخل قائلًا:

- هنا ممنوع يا صديقي الاختلاط، فكل أسرة في حالها، والكل يعمل في صمت، فصاحب المشروع لديه نظرية غريبة أن لكل أسرة شأنها الداخلي فقط، فلو حدث الاختلاط لتقارب الناس، ولو تقارب الناس لحدثت المشكلات، انظر إلى تلك الكاميرات.

- ولمَ أصر على حضور الأسر إن كان يمنع الاختلاط بهذا الشكل؟! ألن يكون من الأفضل العمل من دون الأسرة في ذلك الوقت؟

- لا على العكس، فسوف ينشغل العامل بأسرته والقلق عليها كما تعلم، وسوف يحاول الاتصال بهم دومًا، ولذلك هو يصر على مجيء الموظف بأسرته، لا تقلق يا فادي. أصدقك القول إن صاحب المشروع غريب الأطوار ويمنع أي صداقات في العمل ويتابع الناس جميعًا هنا وفي المقهى وحتى في الموقع نفسه عن طريق الكاميرات المثبتة في أغلب أرجاء الكامب للاطمئنان على سير العمل بجِد، لا تنسَ أن تلك هي الشروط التي وافقت عليها يا صديقي في العقد المبرم.

- أي عقد؟

- العقد الذي أمضيته مع ريمون، أنسيت؟!

- آه! للأسف يا سامح، يبدو أنني لم أقرأ بقية البنود جيدًا.

- هو شرط غريب ينص على أن العامل أن يقبل مراقبته في العمل وفي أوقات الراحة وألا يختلط ببقية الأسر وكل أسرة لها حياة مستقلة تمامًا ولا تتدخل في أي شأن آخر، يبدو أن الراتب قد ألهاك عن قراءة بقية العقد.

ابتسم فادي قائلًا:

- لا أكذب عليك أن الراتب فعلًا لم أتوقع ربعه، شكرًا لك يا سامح.

- على ماذا؟ قلت لك من قبل إننا أهل.

- ولكن أخبرني، لمَ كل هذه الدواعي الأمنية يا سامح؟

- إن صاحب المشروع صرف آلاف وآلاف الدولارات على المشروع، وإلى هذه اللحظة لم يتمكن من الوصول إلى ما يريده.

رفع فادي حاجبه باندهاش قائلًا:

- ما يريده؟ أليس كل ما يريده هو الإنشاءات في مجال المعمار يا سامح؟

- نعم يا فادي نعم، ولكن يوجد أمرٌ آخر لا يعرفه إلا المقربون منه جدًّا، الأمر لا يعدو إلا ستارًا لنشاطه الحقيقي.

توقف فادي عن الأكل مندهشًا قائلًا بحدة لسامح:

- نعم! ماذا تقول؟ والآن؟!

فلاحظت ابتسام صوت فادي المحتد فتدخلت في حديثهما:

- عن ماذا تتحدثان؟ أيوجد أمرٌ ما؟

أردف سامح سريعًا قائلًا وهو ينكز فادي في ركبته قائلًا:

- لا أبدًا أبدًا، كل ما قلته أنه كان يوجد أمرٌ ما في قبول أوراق شريف في المدرسة، مشكلة بسيطة وحللتها والحمد لله، شهادة الميلاد كانت غير واضحة، ولكن الموضوع انتهى، هيا أكملي عشائك يا عزيزتي ولا تهتمي لزوجك فهو موسوس.

ونظر بلوم إلى فادي الذي عاد إلى طعامه، فبدأ يهمس سامح في أذنه قائلًا:

- هل جننت؟! إن زوجتك تتدخل في كل شيء، أرجو ألا تخبرها بأي شيء آخر.

- ولكن، عن ماذا تتكلم يا سامح؟ وأي نشاط تفعله؟ وهل تخبرني بذلك الآن؟!

- صه! اصمت بالله عليك، إن الأمر ليس كما تظن، اسمع.. ليس لك أي شأن بأي شيء، أنت هنا للعمل في الموقع والإنشاءات، تمام؟ ليس ولن يكون لك دخل بأي شيء، هل أنت مرتاح الآن؟

- ليس الأمر هكذا، أنا لا أريد تعريض ابتسام أو شريف لأي أذى، وفي الوقت نفسه لا أقبل أن أعمل بأي مال حرام.

- أي مال حرام أيها الغبي! فلتهدأ الآن، سأشرح لك الأمر بمفردنا لكن ليس هنا، لأن زوجتك بدأت تلاحظ توترك، تناول عشاءك ولا تقلق، إن الأمر بسيط جدًّا، ستفهم كل شيء في وقته، ولتعلم أن فاروق بك يود مقابلتك غدًا في الصباح قبل توجهك إلى العمل في الموقع، وسأكون معك في أول يوم حتى تعتاد الأمر، سأمر عليك غدًا في الثامنة صباحًا.

- ومَن فاروق بك هذا وأين سنقابله؟

- فاروق بك هو صاحب المشروع، هو يريد بالطبع التعرف عليك بعد أن حدثته كثيرًا عنك، ولعلمك هو لديه ظروف خاصة ويدير عمله من الفيلا الموجودة في مدخل الكامب، ولذلك فأنت ترى عشرات الكاميرات في كل مكان هنا.

- وما هي تلك الظروف؟

- فادي.. لمَ أنت تريد أن تعرف كل شيء في أول ليلة لك في الكامب؟! اهدأ وانتظر وسوف تعرف كل شيء في حينه.

صمت فادي بعد ذلك وحاول أن يبدو طبيعيًّا أمام زوجته، التي بالطبع لم تهدأ حتى عادا إلى البيت، وبدأت في السوال عدة مرات عما كانا يتحدثان وما هي طبيعة تلك المشكلة التي كانت في قبول أوراق شريف، فظل فادي يراوغ معها دون أن يعطيها أي إجابات.

تركها ودخل إلى غرفة شريف الذي كان جالسًا قبالة الجدار وهو يلهو بإحدى الدمى التي أصر على أن يحضرها معه من القاهرة، ولكنه كان يضرب رأسها في الحائط بشدة ثم يهمس في أذنها بعده كلمات، ويضعها أمام أذنه كأنها تحدثه فيضحك.

قبَّله فادي في حنان وتركه ليعود إلى مخدعه، وحمد الله كثيرًا أن ابتسام كانت نائمة حتى لا تبدأ النقاش مرة أخرى، ووضع رأسه على وسادته وحاول أن ينام، لكن طيف تلك المرأة العجوز شعر أنه عاد يغزو عقله مرة أخرى، وبدأت كلماتها تدور في عقله حتى طاوعه النوم أخيرًا.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

في صباح اليوم التالي، كان الاثنان يجلسان في إحدى غرف الاستقبال في الفيلا المخصصة لصاحب العمل، نظر فادي حوله فكانت الفيلا غارقة

في السكوت التام، فلم يصدر أي صوت من أي مكان، حتى من العاملين بها، وعلى الرغم من الشمس التي كانت ساطعة في الخارج، فقد لاحظ أن النوافذ مغطاة بستائر ثقيلة تمنع دخول الضوء من الخارج إلا من بعض النوافذ البسيطة، وعندما حاول أن يسأل سامح أشار إليه بالصمت التام إلى حين خروجهما.

وبعد عدة دقائق، أشار إليه سامح أن يتبعه بعد أن نظر إلى ساعته، وبالفعل صعد معه عدة درجات على السلم الرخامي ثم دلف يمينًا إلى ردهة طويلة، ثم توقف أمام غرفة على الجانب الأيسر ودق ثلاث دقات منتظمة، ثم فتح الباب ودخل ومعه فادي.

أشار إليه بالجلوس والهدوء ومال إلى أذنه محدثًا:

- فاروق بك يراقبنا الآن، دقيقتان وسيكون معنا، فلتهدأ، إن هذه المقابلة أهم ألف مرة من مقابلة ريمون.

- لماذا؟

- أريد أن أنال ثقة الرجل بك، ربما...

وتوقف سامح عن الحديث عندما سمع صوت صرير عجل معدني على الأرض فصمت تمامًا، وما هي إلا عدة ثوانٍ حتى فتح الباب الجانبي وفوجئ فادي بريمون يدفع أمامه عجوزًا قعيدًا على كرسي متحرك، يرتدي قناعًا

متصلًا بأنبوب أكسجين مثبت في الكرسي المعدني، كأنه كان على وشك أن يفارق الحياة لكن أتى لهذه المقابلة.

وبمجرد دخوله، هرع إليه سامح وحيَّاه باحترام شديد ووقف أمامه واضعًا يديه خلف ظهره، وهمس إليه ببعض الكلمات في أذنه ناظرًا إلى فادي الذي قام واقفًا هو الآخر وتقدم مادًّا يده إلى العجوز، لكن ريمون صاح عليه بغضب:

- قف مكانك ولا تتقدم مترا آخر! إن فاروق بك قد تصيبه العدوى من أي ميكروب قد تحمله.

ربت فاروق بيك على يد ريمون التي تدفع الكرسي مهدئًا إياه، ورفع القناع عن فمه الذي كان يغذيه بالأكسجين، ثم نظر مليًّا إلى فادي ليردف بصوت واهن:

- هل أخبرك سامح عن تقاليد العمل ونظامه؟ أنا قبلتك بناءً على ترشيح قريبك هذا، فأنا أثق به تمامًا وأثق باختياراته، ولتعلم أنني أحبذ تنفيذ الأوامر كافة ولا أسمح حتى بالخطأ ولو مرة واحدة، أفَهِمت؟

ثم التفت إلى ريمون قائلًا مشيرًا إلى فادي:

- هل أمضى على العقود يا ريمون؟

- كلها يا سيدي، وافق على جميع الشروط.

وقتها ودَّ فادي لو انشقت الأرض وابلتعته لأنه نسي أن يقرأ كل ما كتب خلف ورقة العقد وكل ما همه كان المرتب فقط، وللأسف لم يحضر العقد معه بعد توثيقه في الخارجية، لا يعلم أين تركه.

كان يشعر أن الغرور يقطر من كلمات العجوز هو الآخر، إذ كان يعطي أوامر إلى سامح الذي كان يقف متذللًا أمامه، أما ريمون فكان يؤدي حركةً أثارت اندهاش فادي، فكان يقترب بوجهه كأنه يتشمم الهواء الخارج منه.

وبعد دقيقتين، أخذه سامح من يده كاتمًا ضحكاته حتى خرجا إلى الفناء الفسيح وركبا سيارة كانت في انتظارهما، ليقودها سامح بعد أن أشعل سيجارته قائلًا لفادي:

- أعلم أن لديك آلافًا من التساؤلات، وسوف أجيبك عنها جملة واحدة، والآن هيا بنا إلى موقع العمل وسوف أخبرك بكل شيء.

لم ينطق فادي، بل كان مشغولًا بالعقد الذي كان عليه أن يعرف كل البنود التي أمضى عليها، فصرخ في وجه سامح بحدة:

- قبل أي شيء، أود أن أعرف بنود ذلك العقد الملعون الذي مضيت عليه، أي لعنة في هذا العقد؟! وما هي تلك الشروط التي يسألني الجميع إذا كنت قد وافقت عليها؟

- أنا لم أضربك على يدك يا فادي كيلا تقرأ البنود، عامة لا تقلق، هي مجرد بنود بسيطة.

- حسنًا، وما هي تلك البنود التي أنت تراها بسيطة؟

- ماذا بك يا فادي؟! أنا لن أضرك أبدًا، في العقد عديد من الشروط العادية، ومنها الموافقة على المراقبة أغلب الوقت خارج أماكن السكن، وقبول الأعمال الموكلة إليك، وكذلك مدة اختبار للستة أشهر الأولى، وأنك مسؤول عن رعاية أسرتك بالكامل، وفي حال فصلك عليك رد كل المرتب المدفوع لك.

قاطعه فادي بحدة:

- أردُّ ماذا؟! على افتراض أنه لم يعجبني العمل معكم، هل أنا مطالب برد كل ما حصلت عليه من العمل هنا؟

تأفف سامح بعصبية واضحة قائلًا:

- أخبرتك أني أريدك في عمل آخر، فلمَ تستبق الأحداث يا فادي؟ وأي مبلغ تحمل همه عند فسخ العقد، ففي استطاعتك الحصول على أكثر مما تتصور، فقط اهدأ وأنصت واسمع ولا تستبق الأسوأ قبل الأحسن، سبحانك يا ربي! كل أسرتنا كالبوم يا صديقي يتوقعون الأسوأ قبل الأفضل.

زفر فادي هو الآخر قائلًا:

- أي عمل آخر إذًا؟ وهل لك أن تخبرني بالأمر برمته؟

توقف سامح بالسيارة بالقرب من إحدى المظلات الخشبية، مشيرًا إلى فادي بالخروج معه، فهبط هو الآخر من السيارة وجلس بجوار سامح الذي بدأ الحديث:

- إن كل ما تراه يا فادي مجرد ستار عمليات غسيل أموال، ليس لفاروق فقط، بل ربما أيضًا دخلت فيها منظمات ودول بأكملها، فاروق يعتبر من أكبر التجار والسماسرة في الآثار القديمة والخاصة بالحضارة الأشورية وبابل وكل ما يتعلق بتلك الحقبة، وليس سارقًا كما تظن، فالأمر أحيانًا يكون بمعرفة الدولة نفسها ومراقبة العمل في أوقات كثيرة تحدث تحت إشرافها في أغلب أعمال التنقيب، مقابل نسبة كبيرة جدًّا لشركة فاروق، وبالطبع غض الطرف عن بعض الأعمال الخاصة التي يقوم بها لحسابه من وقت إلى آخر، ويعطي النسبة للدولة نفسها، وكل ذلك بالاتفاق الودي، حتى مر عشرون عامًا على كل ما كان يفعله، لكن في المدة الأخيرة كان يتجه إلى تصفية أعماله والعودة أخيرًا إلى الإسكندرية مسقط رأسه، وقبل ذلك اكتشف منذ عدة أسابيع بابًا أثريًّا مطمورًا في باطن الأرض يخص حقبة معينة، وإن صح ذلك فستكون ضربة حظ ظللت أبحث عنها طوال العمر، لي وله ولكل

من معه، إن ما خلف هذا الباب قد يفوق كل الاكتشافات الأثرية التي تمت في القرن الماضي والحاضر وكل القرون القادمة.

- بغض النظر عن أنني فوجئت بكل ما تفوهت به على أساس أنك تضعني الآن أمام الأمر الواقع لتجبرني على الموافقة على الاستمرار في شركتكم المشبوهة، فما رأيك إن حزمت أمتعتي وأخذت أسرتي ورحلت؟

- يا صديقي، أنت لن تفعلها. يجب أن تفهم أن الأمر سيربح لك أضعاف ما كنت ستجنيه من مرتبك، وكل ذلك ومن قبلهم ميراثك بالكامل، ولكن عليك أن تصبر فقط هذا الشهر، وبعد ذلك إن أردت أن تترك العمل فسأساعدك على كل ذلك، فقط هذا الشهر يا فادي.

- ولمَ هذه الشهر؟

- لن تفهم بكل استفساراتك تلك، كل ما أريده أن تكون معي وتساندني بكل الأشكال، فأنت الوحيد الذي أستطيع الوثوق به في هذه البلاد، شهر فقط حتى يتم الاكتشاف الذي أبحث عنه.

- تبحث عنه؟

- فادي، مساعدتي والوقوف إلى جانبي هو ما سيضمن لك خروجك من هذه البلاد وحصولك على ميراثك بالكامل، فإن حدث لي أي شيء فسوف تعود إلى مصر خالي الوفاض تمامًا.

- ولمَ أنا؟ لم أقحمتني في كل تلك المسائل؟ كانت حياتي هادئة حتى أتيت لتقلبها رأسًا على عقب.

هب سامح واقفًا محتدًّا وقال:

- نعم؟! هل أنا الذي اقتحمت حياتك أم أنت الذي أرسلت محاميًا للبحث عن أصول الأسرة والبحث عن ميراثك الذي لم تكن في يوم من الأيام تتخيل أنك ستحصل عليه؟! لقد بحثت حتى وجدتني وطلبت مقابلتي، هل أنا من كانت أسرتي على وشك الضياع أم...

نظر فادي إليه ولم يعقب، لكن سامح لم يسكت واستمر:

- كانت حياتكم مستقرة وأتيت لأدمرها؟ أكان لديك ما يكفيك من دخل أم رضيت أنت أن تعمل صباحًا ومساءً في عمل لا يليق بك لمجرد سد أفواهكم؟! الآن أصبحت أنا من قلبت حياتك يا فادي؟!

نكس فادي رأسه مجيبًا بالنفي فاستكمل:

- أخبرتك من قبل أنك الوحيد الذي أستطيع أن أثق به في هذا المكان، اسمعني جيدًا، بعد عملي مع فاروق لمدة عشر سنوات كاملة أخبرني أنه

على وشك إنهاء تلك التجارة والعودة كما أخبرتك، ولكن عثر على ما كان يحلم به طوال حياته يا فادي.

- وما هو؟

- الموضوع معقد وربما لن تصدقني، ولكن حتى أستطيع أن أفهمك إياه، باختصار هي أوراق وآثار تخص سليمان.

- سليمان من؟

- سيدنا سليمان يا فادي.

رفع فادي حاجبيه مندهشًا قائلًا بسخرية:

- وهل ترك سيدنا سليمان أوراقه هنا يا سامح؟! هل أنتم في قواكم العقلية؟!

- اسخر كما تريد، أخبرتك أن الموضوع معقد، ولكن تخيل إن أصبح لديك سحر سليمان، ماذا تستطيع أن تفعل؟!

- هل تهذي يا سامح؟! أي سحر تقصد؟ إن ما تقوله مستحيل!

- الأمر خطير يا سامح ويجب أن تصدقني و...

- أصدقك في ماذا؟! باب وآثار تخص سيدنا سليمان ثم سحر وتريد أن...

قاطعه سامح قائلًا:

- لا تخف، الأمور ستمر على ما يرام إن اتَّبعت جميع التعليمات التي سأخبرك بها أولًا فأول، عليك فقط الاهتمام بعملك وموقعك، وفي المساء من كل يوم سأخبرك بكل المستجدات حتى الموعد المنتظر. والآن هيا بنا إلى الموقع لتستلم العمل، فقد تأخرنا.

توقف فادي وهو ينظر إلى سامح كأنه ينظر إلى مخبول، لكنه طاوعه وصعد الاثنان إلى السيارة التي أسرعت في اتجاه الصحراء.

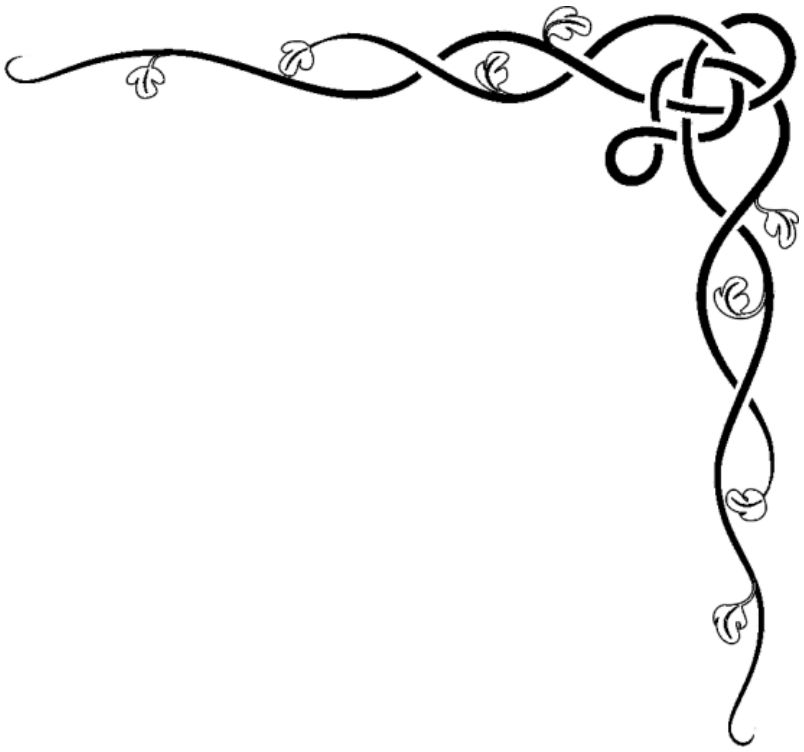

الکابوس

ظل فادي في الإشراف على العمل في الموقع الذي شعر بالفعل أنه لا يستدعي كل هذا العدد من العمالة، فكان المشروع مجرد إنشاء مبنى إداري من عشرة أدوار، وعشرات وعشرات من العمال يعملون تحت تلك الحرارة الشديدة، وكان عمله في الإشراف عليهم ولا يستدعي أي خبرة في مجاله، الأمر الذي جعله بالفعل يشعر أن سامح يريده في موضوع آخر، كانت الأفكار تتدافع في عقله وهو يستمع إلى شرح رئيس العمال الذي كان يحدثه عن بعض الأمور الفنية، وكانت عشرات الأسئلة تدور في رأسه.

هل يترك العمل ويعود مرة أخرى إلى القاهرة وعمله في المدرسة صباحًا وبعد الظهر في أي مكان آخر يدر دخلًا معقولًا يكفي أسرته؟ وإن ترك العمل بتلك الصورة، هل يقدم له سامح بقية الميراث أم وقتها سيرفض ويبدأ الطريق إلى المحاكم؟ وهل سيستطيع بالجزء اليسير الذي حصل عليه أن يفتح مشروعًا ما ويكسب من خلاله؟ وكانت تأتيه الإجابة دائمًا علن سؤاله «لا بالطبع»، وهل لو هرب سيكون في ذلك أي خطورة على حياته وحياة أسرته، وبخاصة بعد أن عرف السر من سامح؟ وما تلك الخطورة التي ستصيبه أن استمر في العمل فقط في ما أتى من أجله دون أن يكون له أي شأن آخر بأي عمل؟

- حسنًا حسنًا، سأركز في عملي فقط وليس لي أي شأن بأي عمل يؤدونه هنا، أنا هنا لأشرف على المباني التي تبنى وليس البحث عن أي شيء آخر.

هذا ما حدث به نفسه عندما اهتدى أخيرًا إلى هذا الحل، وبدت على وجهه علامات السعادة بعدما حاول أن يكتم وساوس القلق التي ظهرت له.

وبعد انتهاء العمل، عادت بهم السيارة في الثامنة مساء إلى المعسكر، فدخل سريعًا لغسل وجهه وغيَّر ملابسه وأخذ ابتسام وشريف سيرًا على الأقدام إلى المطعم المخصص للعشاء، نظر من حوله فلم يجد سامح، وكل ما رآه كانت أعين من حوله التي شعر أنها تنظر إليهم جميعًا، كانت ابتسام زوجته تأكل على مضض وهي تتأفف دون أن تنطق بكلمة، ولأنه كان متعبًا فلم يحاول أن يجادلها في أي شيء وتركها ليتحدث مع ابنه وهو يطعمه، لكن ابتسام قاطعته وهي تتكلم بحدة:

- فادي، أريدك في موضوع هام.

- حسنًا يا عزيزتي، اهدئي، عندما نذهب إلى المنزل أخبريني بكل ما لديك، فلتتناولي عشاءك إلى حين عودتنا.

- لقد مللت!

- لم تمضِ علينا إلا مدة قصيرة يا ابتسام، فلمَ هذا الشعور؟ بالله عليك ليس هذا وقته، تريثي حتى نعود إلى المنزل وابدئي وصلتك الليلية يا عزيزتي.

وبالفعل مرت الأمسية وهما في جدال مستمر، كان فادي مندهشًا من تغير سلوك زوجته منذ العودة من قطر، فتركها في غرفة شريف وذهب إلى غرفته لياخذ قسطًا من الراحة قبل عمله غدًا.

بعد عدة ساعات لمح فادي ظل ابتسام وهي جالسة أمام مرآتها وتغني بصوت مبحوح مرعب وهي تحمل لفافة سوداء في يديها كأنها تهدهد طفلًا، ولكن المرعب أكثر أن الصوت الخارج من تلك اللفافة كان أقرب إلى مواء قط يصارع الموت، وقتها بدأت ابتسام في تحريك رأسها ورقبتها على كتفها بصورة من المستحيل أن يفعلها شخص طبيعي وإلا انكسرت. نظرت إليه فجأة، فتظاهر بالنوم، ثم حملت اللفافة مرة أخرى وذهبت إلى جدار غرفة شريف. قام خلفها فادي على أطراف أصابعه وقلبه يكاد يتوقف فزعًا مما يجري أمامه، وضعت ابتسام اللفافة على الأرض وبدأت في التحدث بلغة غير مفهومة أبدًا، ورويدًا رويدًا بدأ صوتها في الارتفاع، مما جعل فادي يخشى أن يكون صوتها مسموعًا في كل أرجاء الكامب، فقد كان صوتها بالفعل يصم الآذان، ثم توقفت فجأة ومدت يديها إلى داخل الجدار كأنها تبحث عن شيءٍ ما، وبعد عدة دقائق من البحث عادت يديها ممسكتين بشيءٍ يقطر دمًا، ثم لطخت وجهها، ثم مدت يدها مرة أخرى لتخرج

خنجرًا ذهبيَّ اللون لتمسكه، وتفتح اللفافة فإذ به يرى طفلًا لم يتجاوز عامًا، ثم نحرته من رقبته، ثم لفته ووضعته بداخل الجدار مرة أخرى وبدأت في النحيب هذه المرة ثم بدأت في الارتعاد.

وقتها كان على فادي أن يتدخل فورًا، بخاصة عندما بدأ الشيء الموجود في اللفافة في التحرك والاهتزاز بسرعة مرة أخرى، على الرغم من أنه رآه منذ دقائق وهي تضعه في الجدار، فاقترب منها ومسكها من كتفيها، ولكنه عاد فزعًا إلى الخلف عندما التفتت إليه فوجد وجه العجوز هو الذي يطل عليه وليس ابتسام. حاول أن يصرخ عندما اقتربت منه وبدأ صوته يختنق وهو يصرخ، ومن بعيد بدأ في سماع اسمه يتردد في الجوار ويد تمسك بيده وصوت يهمس في أذنه:

– فادي، فادي... هيا استيقظ، سوف تتأخر عن ميعاد عملك.

قفز فادي من سريره واقفًا مما أثار دهشة زوجته، لكنه تحجج أنه بالفعل تأخر وحمد الله كثيرًا أن ما رآه كان كابوسًا، حاول أن يخفف عن زوجته قليلًا وقبَّل شريف ثم خرج مسرعًا دون أن يتناول أي فطور، قاصدًا شيئًا ما خلف المنزل الذي يقيمون فيه، لكنه ارتعد عندما وجد أن السور الموجود خلف حائط غرفة شريف هو سور الكامب نفسه الذي يطل على المقابر.

* * * * *

عشرة أيام كاملة قضاها فادي وهو في أشد الحيرة، ما بين عمله الروتيني اليومي في الإشراف على العمل في الموقع ومتابعة العمالة، وبين مقابلة سامح الذي لم يره طوال العشرة أيام الماضية إلا مرتين فقط، وفي كل مرة يطمئنه أن الأمور بخير وعليه أن ينتظر فقط عدة أيام أخرى إلى أن يحين الموعد المنتظر. وحتى هذه الليلة عندما وجده يأتي مسرعًا إلى المطعم ليتحدث مع أحد العمال على انفراد لمدة دقيقة، وما إن انتهى معه حتى هرع إليه فادي عندما وجده على وشك الخروج دون تناول عشائه، ليجذبه من يده قائلًا:

- سامح، أصبحت لا أطيق صبرًا، أريد أن أفهم كل شيء.

- اصبر يا فادي، بالله عليك اصبر، في القريب ستعرف كل شيء.

وجذب يده برفق من يد فادي، ولحق بالعامل الذي كان ينتظره في سيارة أمام باب المطعم ورحلا إلى خارج الكامب.

وفي تلك الأثناء بداخل المنزل، كانت ابتسام على شفا حفرة من الجنون المطبق، فلا شيء تفعله سوى متابعة بعض الدروس مع شريف أو مشاهدة التلفاز، إذ لم تجد إنترنت في تلك البقعة القاحلة، مما جعلها تصاب بالملل أكثر.

وقتها فوجئت بشريف يهرع إليها صارخًا من غرفته، فحاولت تهدئته ولكنها ذعرت بعد أن بدأ الحديث باكيًا:

- أمي، هناك رجلٌ ما يجلس على كرسي بجوار سريري، كنت أظنه أبي، وعندما اقترب مني لم أجد له عينين، وعندما صرخت قفز إلى الجدار الملاصق لدولابي فابتلعه تمامًا!

هرعت ابتسام إلى الغرفة باحثة عن الرجل، لكنها لم تجد أحدًا، فشكت في حديث ابنها فحاولت طمأنته وأخبرته أنه ربما كان حلمًا سيئًا، لكنها في هذه اللحظة شعرت بوجود خيالٍ ما أسود اللون يرمق من خلفها إلى خارج الحجرة، مما أصابها برعشة فجائية، فأمسكت بهاتفها المحمول للاتصال بفادي، الذي رد بعد عدة محاولات، وبمجرد رده صرخت في وجهه:

- أين أنت؟! أسرع، يبدو أن لصًّا في المنزل!

أغلق فادي الهاتف سريعًا وعاد عَدْوًا إلى المنزل وفتشه ولم يعثر على أي أحد، فتأكد أن شريف أصابه ربما كابوس أو كان يحلم، فقبَّله وهدَّأ من روع زوجته قليلًا، فقد كان عليه أن يتحمل عصبيتها في تلك الليلة التي شعر أنها تزيد يومًا بعد يوم، وبخاصة عندما لاحظ بعد التغيرات التي بدأت تظهر على وجهها وجسدها الذي أصبح أكثر نحولًا بعدما أصبحت لا تأكل إلا أقل القليل، أما شريف فأصبح يقضي أغلب الوقت في غرفته، وعلى الرغم من أن فادي طلب من ابتسام ضرورة تغيير تلك الغرفة الملعونة، فقد رفض الخروج منها.

مر يومان على تلك الحادثة، وبعد انتهاء العشاء دخلت ابتسام غرفة شريف لتستذكر له بعض الدروس، وما إن دخل فادي خلفهما حتى صرخت في وجهه من دون سبب قائلة:

- فادي، أريد حلًّا لما أنا فيه، لقد تعبت، طوال اليوم أجلس بمفردي، ولو خرجت فإن الجيران يتحاشوني تمامًا، وعندما أتحدث مع إحداهن فإنهن يهرعن إلى الداخل مرعوباتٍ مني دون سبب، وحتى شريف أصبح عدوانيًّا من دون مبرر لأنه ليس لديه هنا أصحاب أو أي شيء يفعله، ولعلمك إن تلك الحادثة التي صارت منذ يومين لم تكن الأولى، ولكني كنت أطمئنه أن كل ما يراه ليس سببه إلا أحلام حتى أدفعه إلى تغيير غرفته، لكنه عنيد مثلك ويرفض تمامًا حتى لو كان معي في غرفتنا.

- أوهام يا ابتسام، أوهام يا حبيبتي.

- ليست أوهام، أنا لست مجنونة، أنا أشعر أنني مراقبة طوال الوقت!

- هل رأيتِ بعينيك شيئًا؟

- لم أرَ، لكن تلك القشعريرة التي تنتابني ودقات قلبي التي تدق فجأة دليل على وجود شيءٍ ما بالجوار، وأنت تعلم ما هو.

- ابتسام، هوني على نفسك قليلًا، إننا في غربة يا ابتسام وعلينا أن نتحمل قليلًا.

قاطعته ابتسام محتدة:

- إلى متى؟! عندما كنا في قطر كنت وسط أهلنا، كنت تخبرني أيضًا أننا في غربة وإن مصيرنا أن نعود إلى بلدنا، وعندما عدنا إلى بلدنا قررت السفر مرة أخرى إلى العراق والغربة، وها نحن الآن أنا وسط الصحراء، لا أهل ولا أصحاب ولا أي شيء أفعله، وحتى الهاتف لا أستطيع الاتصال بك أو بأي شخص إلا بعد عشرات المحاولات.

- والحل؟

- الحل في يديك يا فادي، بالله عليك دعنا نرحل من هنا ونعود إلى القاهرة، وأنت إن أردت العودة فتعالَ معنا، ولو أردت المكوث فأنت حر، لكننا...

أسكتها فادي بإشارة من يده قائلًا:

- مستحيل أن أتركم بمفردكم يا ابتسام، و...

قاطعته ابتسام في ضيق صارخة:

- حسنًا حسنًا، الأسطوانة اليومية نفسها، كلام كلام كلام! هل لك أن تتركنا ننام من فضلك؟

تركها فادي خارجًا من الغرفة بعد جرعة النكد اليومية التي بدأت تتفنن زوجته فيها كل ليلة حتى اعتادها، وما هي إلا دقائق حتى سمع طرقًا خفيفًا على الباب، ففتح سريعًا ففوجئ بسامح يهمس في أذنه:

- هل أنت متعب أم تريد أن تتمشى معي قليلًا؟

نظر فادي مندهشًا إلى سامح ثم نظر إلى ساعته وأردف:

- لا أنا بخير، فلتدخل إذًا ونتحدث بالداخل.

- لا، ليس هذا وقته، فأنا أريدك في أمر هام، هل زوجتك لا تزال مستقيظة؟

- أصبحت لا تنام أصلًا يا سامح!

- حسنًا، أخبرها أنك ستتمشى قليلًا ولا تقلق عليك، أخبرها أنك ستمر عليَّ لنسهر معًا، آه.. لا تنسَ إحضار جاكيت ثقيل معك، فالجو باردٌ جدًّا في الخارج.

أغلق فادي الباب، وبالفعل أخبرها أنه سيتمشى قليلًا وسوف يمر على سامح وعليها أن تنام ولا تنتظره أو تقلق عليه، وما هي إلا لحظات حتى كان يرتدي جاكيتًّا ثقيلًا، ليجد سامح وقد انتظره بالقرب من منزله، فهرع إليه وبدآ في السير معًا حتى خرجا من الكامب في هدوء، أحكم فادي إغلاق الجاكيت وهو يرتعد، في حين ظل سامح صامتًا حتى سارا لمدة نصف

ساعة بعيدًا عن الكامب، وعندما طال الصمت بينهما توقف فادي قليلًا قائلًا:

- ها، ما لديك؟ أم سنظل نسير إلى بغداد؟

أشار إلى سيارة صغيرة ترتكن بالقرب منهما لم تكن ظاهرة له.

- هيا بنا أولًا ثم سأحدثك عن كل شيء.

وركبا السيارة وبدآ في الحديث وهو يسير في وسط الصحراء:

- منذ سنوات وسنوات وأنا أساعد العجوز حتى أصبحت من أقرب المقربين له بعد ريمون الذي لا أحد منا يعرف جنسيته، أبحث وأعمل ونكتشف حتى وصلنا إلى ما كان من المستحيل أن يخطر ببالنا يومًا ما.

رد فادي بضحكة استهزاء:

- أوراق سيدنا سليمان.

تجاهل سامح رد فادي وأردف:

- مجرد أثر في أحد متاحف العراق المنهوبة دلنا على ما ليس في الحسبان، وقتها أقنعت فاروق بالبحث معي قبل أن يعتزل المهنة ويعود إلى البلاد، ووافق الرجل مشكورًا، أتعلم أنه مرت شهور وشهور ونحن نبحث، أو

أنا أبحث عن إبرة في كومة قش؟! حتى عثرنا أخيرًا على باب الغرفة التي حُفِظت فيها أوراق سليمان.

- سامح، لماذا أشعر أنك تهذي؟ سليمان مرة أخرى! حسنًا، فلتهدأ وأخبرني، أي أوراق؟

- الموضوع له أصول يا فادي، منذ آلاف وآلاف السنوات، باختصار بعد وفاة سليمان، سُرِقت كل أوراق السحر والعهود السليمانية الخاصة بالسحر الذي كان يفعله وتفرقت بين الناس وبين السحرة وبين...

قاطعه فادي بشدة:

- لست ضليعًا في الأمور الدينية، ولكن أنت تتحدث عن وهم، أفَهِمت يا سامح؟ وهم!

- ليس وهمًا، بل حقيقة واضحة أراها كما أراك أمامي تمامًا.

- وكيف ذلك أيها الذكي؟

- اسمع، بعد وفاة سليمان، أتى رجل حكيم إلى أهل البلدة وأخبرهم بما كان يفعله وأنه جمع السحر كله ووضعه تحت كرسيه، فعمد الناس إلى هذا المكان وأُخِذَت الأوراق كافة، وتعلم عشرات منهم السحر كما ينبغي، وبعدما انتشر السحر في البلاد، مُنِع كل من أخد من تلك الأوراق عن ممارسته، فعمد أكثرهم إلى إخفاء كل ما جمعوه من أوراق

سليمان تخص السحر، كما عمد بعضهم إلى شراء بقية الأوراق بمبالغ باهظة، وقد كان. المهم، عمد أحد كبار القوم إلى تجميع كل ما كان يفعله سليمان وكتبت في أوراقه، فأخذها وأخفاها تحت بيته، ولأنه كان على علم بالسحر الأسود، عمد إلى ملوك الجن ليحرسوا كل تلك الأوراق طوال هذه المدة حتى لا يقترب أحدٌ منها بعد وفاته، وظل الأمر هكذا حتى فُضِح الأمر عن طريق بعض الوثائق القديمة الموجودة في المتحف القومي في العراق، وبيعت تلك المعلومة إلى فاروق مقابل ثمن باهظ جدًّا مع الوعد أنه في حال تسليمهم أوراق السحر ستُشتَرى بمبلغ لا يمكن تخيله، وبدأنا البحث حتى وصلتُ أخيرًا إلى المكان المطلوب، تحدثت معهم واتفقنا على كل شيء، أن أحصل أنا على الأوراق دون علم فاروق وأسلمها في أقرب فرصة.

- وهل تضمن ولاءهم وعدم الوشاية بك إلى فاروق؟

- كل ما يهمهم أوراق سليمان، وإذ إنني أخبرتهم بأنني على وشك الحصول عليها فمستحيل أن يفضحوا أمري، بالعكس، سيحاولون تيسير أي شيء قد أحتاج إليه.

- هناك أمر آخر، لمَ تقول دايمًا سليمان.. سليمان؟ ألا تؤمن أنه نبي الله يا سامح؟

- بالطبع أؤمن، ربما كانت ذلة لسان.

نظر إليه فادي غير مصدق ما يقوله، فأردف:

- وهناك أمر أخر، أشعر أن في الأمر كله وهمًا ما، أنت تتكلم عن أوراق أو أي شيء حفظت تلك الطلاسم فيها، ألم تشك أبدًا أنها قد تكون أُبيدَت بعد مرور آلاف السنوات؟

- وأن كانت، فلمَ تظل الحراسة عليها من ملوك الجن طوال آلاف السنوات إن كانت قد انتهت؟!

- الجن أنفسهم بعد وفاة سيدنا سليمان لم يكونوا على علم بوفاته يا سامح، فقد ظلوا يحرسون جسده حتى تآكلت عصاته وهوى.

- لا أعلم كل أمورك الدينية تلك، عامةً فلنرَ، لن يفصلنا عن دخول الغرفة إلا بضعة ترتيبات.

- حسنًا، فماذا بعد أن اكشتفت المكان؟

- منذ شهرين عرفت أنا ورجالي المكان أخيرًا، فكتمت الموضوع إلا عن أربعة عمال أعتبرهم رجالي، وإن كنت لا أثق بهم بالكامل، نعم كتمت الموضوع لأني لا أريد أن يسرق ريمون أو فاروق تلك الأوراق وما سوف تدره من مكسب عليَّ كما أخبرتك، أعلم أنك من داخلك تريد أن تحدثني عن الحرام والحلال وعن خيانة الأمانة، لكن صدقني،

ليس هذا وقته أبدًا، وبمجرد حصولي على ما بداخل الغرفة سأترك العمل ولن يعثر عليَّ أبدًا فاروق أو ريمون.

نظر إليه فادي باندهاش قائلًا:

- حسنًا جدًّا، وأنا ما دخلي في كل ذلك؟ ولمَ أتيت بي إلى هذا المكان الملعون؟ أو كل تلك الصراعات كأني وسط عصابات تحاول سرقة شيء ما؟

- دخلك لأنك من دمي، أنت الوحيد في هذه الدنيا الذي أستطيع أن أثق به بالكامل، وكما أخبرتك، إن العمال الذين اكتشفوا الباب معي لست أضمن ولاءهم كما أنت متصور، سبحان الله! كنت أبحث عن أي شخص يكون محل ثقة وأستطيع أن أترك له كل شيء إن حدث لي أي مكروه، شخص أستطيع أن أسلم له رأسي دون أن يفكر في خيانتي، وفي الوقت الذي كنت أبحث عنه وجدتك تبحث عني، كأن الله أرسلك في الوقت المطلوب تمامًا.

- ولماذا؟ ألم تتخيل أن ذلك قد يضع قدمي على حافة الهاوية أنا وابتسام وشريف؟ ألم تتخيل أن تلك العصابة لو اكتشفت ما تفعله سوف تكون رؤوسنا معلقة على باب الكامب، أم إن مصلحتك ومكسبك أولًا؟!

- الموضوع ليس به أي خطورة صدقني، ولتعلم أن أوراق سفرك أنت وزوجتك وابنك جاهزة، فمن المفترض أن جوازات سفركم في مكتب فاروق مع بقية العاملين، لكني حصلت عليها وفي أي وقت تستطيع الخروج والهروب إلى أي مكان، ولن تعرفه أبدًا تلك العصابة. اسمعني جيدًا، لقد تكفلت بكل تلك الخطوات مع الجانب الآخر بمجرد هروبنا، صدقني إن الأمر مربح جدًّا، ولو حصلت على مبتغاي فلن تتخيل نصيبك من تلك العملية يا فادي.

- لست مطمئنًّا يا سامح، الموضوع مقلق جدًّا، لا أظن أن الأمر سيكون بتلك السهولة، أنا خائف جدًّا.

- انسَ تلك الكلمة، بالله عليك استمر في عملك كالمعتاد ولا تخبر ابتسام بأي شيء، وسوف ينتهي الأمر سريعًا بمجرد ان نتخلص من إحدى المشكلات.

- أي مشكلة؟

- ها هي.

وقبل أن يرد فادي وقفت السيارة أمام بيت قديم وعلى عتبته جلس رجلان يتسامران حول نار مشتعلة، وأحدهم كان العامل الذي رآه في المطعم، وبمجرد هبوط سامح من السيارة هبَّا واقفين تحيةً للرجل، ثم أشار سامح إلى فادي بالتقدم إلى الداخل، فقادته قدماه إلى صالة واسعة لها سقف

مرتفع من دون أي أثاث، مجرد ممر، وناحية اليمين منه ثلاث غرف مغلقة، فأشار سامح إلى الغرفة الموجودة في نهاية الممر قائلًا:

- هل توجد أي أخبار يا أبو سراج؟

- للأسف يا سامح بك، لا نزال نسمع الصوت نفسه، والشيخ عبد الجليل سيمر علينا بعد العشاء غدًا من أجل الحضرة.

كان فادي في تلك الأثناء لا يفهم أي شيء مما يتحدثون عنه، لكنه من داخل الغرفة خيل إليه أنه يسمع بكاء طفل مستمر، فافترب من واضعًا أذنه على الباب الخشبي فلاحظ سامح ذلك فأمسكه من يده وفتح باب الغرفة قائلًا:

- تعالَ يا فادي، سأريك كل شيء.

ودخلا إلى الغرفة التي كانت تسبح في ظلام تام، حتى لحق بهما أبو سراج ممسكًا كشافًا قويًّا، فظهرت ملامح الغرفة التي كانت عاديةً جدًّا، مجرد جدران فقط، لكنه لاحظ أن سامح يشير إلى الأرضية ففوجئ بوجود حفرة كبيرة. أطل فادي برأسه فوجد دَرجًا طويلًا يهبط به إلى الأسفل، ووقتها سمع بكاء الطفل مرة أخرى كأنه يصدر من الأسفل، ركز فادي أكثر في الصوت وفوجئ أنه ليس صوت طفل واحد، بل أكثر من طفل يتشاركون البكاء في لحن جنائزي مرعب، ووقتها شعر فادي أن الأرض مادت به وأصبح على وشك السقوط بالأسفل، فعاد إلى الوراء جالسًا على أرضية الغرفة

العارية وهو يرتجف بشدة، ووقتها أشار ناحية الحفرة دون أن يفتح فمه، فأردف سامح بصوت هامس:

- لا تسألني، فأنا أيضًا لا أعلم لمن تلك الأصوات، كل ما أعرفه أن في آخر تلك السلالم يوجد الباب المطلوب ومن خلفه سنجد مبتغانا يا فادي، ولكن على الرغم من سهولة كل ذلك فإنه من المستحيل فتحه.

ازدرد فادي لعابه بصعوبة قائلًا:

- ولمَ؟

- لا أعلم، ولكن يقال إنه الرصد أو حارس المكان أو حراسة من الجن أو حراس أوراق سليمان كما أخبرتك، لا أعلم يا فادي، كل ما أعلمه أننا أحضرنا شيخًا متخصصًا في صرف حراس المكان وهو من أخبرنا عن ذلك.

ابتسم فادي متهكمًا رغمًا عنه قائلًا:

- شيخ متخصص في فك الرصد! أيوجد شيوخ متخصصين لذلك أيضًا؟

- اسمعني ليس هذا وقته، الحل في يد الشيخ الذي لا بد أن يفك هو الطلاسم والأسحار والتعاويذ الموجودة.

- الشيخ عبد الجليل؟

- نعم، الشيخ عبد الجليل، وهو من أخبرنا بقدومه غدًا مع اكتمال القمر.

اقترب سامح من فادي هامسًا:

- ولذلك أنا محتاج إليك، فأنا أريد أحدًا من دمي يحميني في حال حدوث أي شيء، وعلى الرغم من طيبة العاملين معي، فقد تعلمت ألا أثق بأي شخص.

- وكيف أحميك وليس في يدي أي شيء؟!

- لقد أخبرتك، إن الأمر مجرد احتياط، عامة.. غدًا ستأتي معي من بعد صلاة العشاء، وأخبر زوجتك أنك ستسهر في العمل، فلا بد من حضورك جلسة الشيخ عبد الجليل غدًا لأنه سوف يُقيم حضرةً خاصةً لصرف الجن، وأنا لا أفهم الوضوع جيدًا فعليك أن تحضر أنت الآخر.

- أنا مندهش من الموضوع كله يا سامح!

- ستقف معي يا فادي، لآخر مرة سأطلب منك ذلك، لا يوجد الآن أي مجال للرجوع، ولو مر الموضوع كما خططت له، صدقني فسيتعدى نصيبك سبعة أصفار، أقسم لك.

حاول فادي الحديث، لكن مجرد تخيله لما سوف يجنيه من تلك المغامرة كفيل أن يقضي على مخاوفه وأن يكتمه إلى الأبد.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وفي تلك الأثناء، كانت ابتسام تحاول أن تجعل شريف يغفو ولو قليلًا بعد أن أصابته رعشة مفاجئة ورعب دونما سبب، إذ ظل يبكي مرارًا بعد أن أخبرها أنه رأى الرجل مرة أخرى، ولكن تلك المرة ظهر وهو يشير إليه من داخل الجدار. طمأنته قليلًا وأخذته في أحضانها وتمددت بجواره حتى نام بالفعل، وقتها قامت على أطراف أصابعها وقد عزمت على إنهاء كل شيء الليلة، فقد أصبحت تشعر فعلًا بوجود من يراهم طوال الوقت، كأن شبحًا ما يسكن معهم، وعندما خرجت إلى الصالة وجدت فادي جالسًا في هدوء وهو ينظر إليها في حب.

فتراجعت فزعة وهي تضع يدها على قلبها:

- اللعنة! متى أتيت؟ لم أشعر بك عند فتحك للباب.

- لم أتعدَّ عشر دقائق يا حبيبتي، ما لي أراك مجهدة؟

- فادي، لا يوجد ما يقال، إن ابنك يكاد يموت رعبًا وأنا أصبحت لا أطيق الدقائق التي تمر عليَّ في هذا السجن، ولن أضع عملك أمامنا في الكفة الأخرى في مقارنة ظالمة للكل، وللأسف هذا قراري النهائي الذي لا رجعة فيه من أجل ابننا ومن أجلي وأجلك، أفَهِمت؟ كل ما أريده هو تركنا نعود إلى قطر أو القاهرة في هدوء ولتحضر في أوقات إجازتك، فأنا...

قاطعها بهدوء شديد أثار دهشتها:

- زوجتي الحبيبة، أعلم أنني كنت مصدر قلق عليك وضغط على ابننا، ولكن كل شيء تم حله أخيرًا، وسألبي لك كل ما تحتاجين إليه، ما هو إلا يوم فقط.

- كيف ذلك؟ أنا لا أريد إلا حلًّا واحدًا.

- أعلمه جيدًا، فقط مهلة يومين وسوف نرحل معًا عن هذا البلد لنعود حيثما تريدين، وقتما تريدين، يومان فقط، أعدك.

ردت باستنكار:

- يومان؟!

- نعم يا حبيبتي، يومان فقط وهو كل ما أطلبه، وستجدين كل شيء أصبح تحت أمرك.

- ما لي أراك هادئًا هكذا؟! أخبرني ماذا حدث؟

- إن أخبرتك لفسدت المفاجأة، يومان وسترَيْ أن حالتنا قد تغيرت إلى الأبد.

- حسنًا سأنتظر، أخبرني، هل تناولت عشاءك؟

ابتسم وهو يومئ برأسه علامة الموافقة وتركها وهي تبادله الابتسام وتدخل إلى غرفتها مستلقية على السرير.

قام من مجلسه ذاهبًا إلى غرفة شريف فوجده نائمًا هو الآخر، توقف قليلًا يتشمم الهواء واقترب من الجدار، ثم خرج من غرفة طفله وتوجه إلى باب المنزل ليخرج مرة أخرى، مشيرًا إلى أحدهم.

بعد عدة ساعات، كان فادي نائمًا في مخدعه بمفرده بعد أن وجدها تغط في نوم عميق في غرفة شريف، حاول أن يغفو قليلًا لكن كل ما رآه في هذه الليلة كان يجعلة مستيقظًا وآلاف الأفكار تتدافع في رأسه، فتح درج «الكوميدينو» المجاور له ليخرج قرصًا مهدئًا أعطاه له سامح وأخبره بضرورة تناوله كلما عزَّ عليه النوم وغلبه الأرق، وما هي إلا دقائق وكان النوم قد بدأ يقترب منه.

ولكن قبل الفجر تناهى إلى سمعه صوت بكاء طفل، وكان شبيهًا بصوت شريف، فقام مفزوعًا إذ كان الصوت صادرًا من غرفة ابنه، ففتح الباب بسرعة وسكت الصوت وقتها، لكنه فوجئ بعدم وجودهما في الغرفة، بحث في كل مكان في المنزل والحديقه وحتى الغرف المغلقة فلم يجد أحدًا، عاد سريعًا إلى غرفة نومه باحثا عن ملابس ابتسام خوفًا من أن تكون هجرته فجأة لكنه وجد كل الملابس والحقائب كما هي.

بدأ الصوت يعود مرة أخرى وكأنه يناديه، خرج بسرعة إلى الحديقة ووقتها أدرك أن الصوت ليس في الجوار بل صادرا من مكان ما بعيد، سار إلى مصدر الصوت وكلما اقترب من الفيلا كان الصوت يعلو ويعلو واندهش

من عدم وجود أي شخص مهتم بهذا الصوت غيره، كأن لم يسمعه سواه، وبالفعل عندما وقف أمام باب فيلا فاروق بك ظهر الصوت كأنه خارج من مكان ما في الداخل.

حاول أن يدور حول السور باحثًا عن أي مكان يقفز منه إلى الفيلا، وبالفعل وجد حجرًا فاستطاع أن يقف عليه، ولكن بمجرد وقوفه شعر أن شيئًا ما بالقرب منه، ولأن القمر كان يغطي السحب فتوقف قليلًا حتى يتبين له ما هو، وما هي إلا لحظة ولاح وجه المرأة العجوز وهي تجلس بجوار السور.

هَوَى فادي على أرض الحديقة رعبًا من وجودها بجواره وشعر أنه بداخل كابوس ما، حاول أن يفيق دون جدوى، وألم قدمه التي وقع عليها بدأ في التصاعد، وقتها علم أن ذلك ليس حلمًا، اقتربت العجوز منه دون أن تمس قدماها الأرض، فشعر كأنها تطير، حتى وقفت أمامه بعينيها اللتين تحولتا إلى اللون الأبيض، فوضع يديه أمام وجهه قائلًا:

- ماذا تريدين مني؟! اذهبي بالله عليك، دعيني في حالي.

قاطعته العجوز بصوت هامس وهي تشير إلى السماء، وبدأت تحرك يديها وهي تردد بصوت خافت بدأ في الارتفاع تدريجيًّا:

- ألم أخبرك من قبل ألا تأتي إلى هنا؟ ألم أحذرك؟ لقد فات أوان النصح وأنت اخترت مصيرك ومصير أسرتك، لتعلم أن حياتك أصبحت كلها دماء، دماء!

واقتربت منه، ولكن لرعبه الشديد حاول أن يركلها بقدميه، فاختفت على الفور، فقام مرة أخرى متحاملًا على نفسه قافزًا إلى داخل الحديقة.

توقف الصوت مرة أخرى، فبدأ يبحث عن أي مكان يدخل منه إلى الفيلا، وفي أثناء بحثه وجد أن نافذة «البدروم» مفتوحة قليلًا، لكنه لا يستطيع أن يدخل منها أبدًا، وقتها شعر بوجود حركةٍ بالداخل، ففتح النافذة عن آخرها وأطل برأسه إلى الداخل، لكنه فزع وكادت تصدر منه صرخة رعب، إذ وجد ابنه شريف جالسًا أمام طفلةٍ في سنه نفسها وهما يلهوان بشيء أسود اللون، حاول أن يصيح عليهما دون جدوى، دقق النظر فوجد ابنه يمسك تلك القطة التي كانت بجوار العجوز في الاستراحة، ولكن هذا المرة كان يمسكها بشدة من رقبتها وبدأت في التشنج والصراخ، لكن شريف كلما سمع صرخاتها بدأ في الضحك أكثر كأن شياطين الأرض هي من تقوده.

زاد من قبضته على رقبة المسكينة، فبدأ فادي في الصراخ عليه لكن لم يهتم، فهرع بحثًا عن أي باب ليدخل منه، وما هي إلا لحظات حتى عثر

على باب قديم بدا أنه لم يُفتَح منذ سنوات، فدفعه بكل ما أوتي من قوة حتى فتح جزءًا صغيرًا دخل منه بصعوبة إلى الداخل.

تخبط فادي في بعض قطع الأثاث القديم ثم اتجه يسارًا حتى الغرفة التي كان فيها شريف، فوجده لا يزال جالسًا بمفرده بعد أن اختفت الفتاة، في حين كانت جثة القطة بين يديه وهو يأرجحها من ذيلها، ولا تزال ضحكاته تملأ الغرفة.

اقترب منه فادي ناهرًا إياه وحاول أن يجذبه معه إلى الخارج، لكنه أزاح يده بعنف ونظر إليه نظرةً أرعبته، حاول أن يهدئ من روع ابنه فسأله:

- شريف، أنا والدك فلتهدأ، ماذا حدث معك؟ وماذا فعلت؟ ولمَ؟ ولماذا تركتك والدتك؟ بل كيف وصلتما إلى هنا؟ وأخبرني، أين ابتسام؟

هب شريف واقفًا وشعر فادي أن ابنه لم يكن بهذا الطول من قبل، بل شعر أنه يزيد كل دقيقة، إذ أصبح بطول مقارب له وأشار إلى الجدار المقابل قائلًا بصوت فحيح:

- تركتني ودخلت من هنا.

نظر إليه فادي برعب وتركه متجهًا ناحية الجدار، فوجد هناك نفقًا في الركن السفلي، فمد رأسه وصاح على ابتسام، لكنه لم يجد أي رد، فقرر أن يزحف إلى الداخل، كان مرعوبًا من مصيره لكن خوفه على زوجته وابنه

كان يدفعه إلى التقدم، فهو من داخله يعلم أنه السبب في كل ذلك، ناداها أكثر فلم يسمع إلا همهمات تأتي من مكان بالقرب من هذا النفق، تقدم أكثر فأكثر، وقتها شعر أن النفق بلا نهاية وأن مدةً كبيرةً مرت عليه وهو داخله، وفجأة شعر أن الأرض تهاوت سريعًا، وما هي إلا لحظة حتى هوى إلى أرضية غرفة أخرى كان النفق يمر فوقها، ولكن ألمه هذه المرة كان أكثر من فزعه لأنه وقع على شيء صلب، مد يده يزيح قطعة الخشب التي وقع عليها لكنه اكتشف أنها جزء من ساق بشرية، التفت حوله في رعب فوجد أن هذه الغرفة تمتلئ بجثث صغيرة، أمعن النظر فيهما فاكتشف أنه بداخل مقبرة للأطفال الذين جُمِعَت عظامهم ورُتِّبَت على هيئة أكوام في مشهد مرعب.

حاول أن يقفز مرة أخرى إلى أعلى لكنه لم يستطع بسبب قدمه التي شعر أنها قد كُسِرَت، تحامل على نفسه وبدأ يفحص هذه الغرفة حتى وجد نفقًا آخر، فهبط إلى أرضيتها وبدأ في الزحف داخله وهو يدعو الله أن تمر هذه الأمسية بسلام، وظل في زحفه مدة أخرى حتى اقترب من نافذة حديدية كان الضوء يصدر منها، فاقترب منها ليرى ما يحدث بداخل تلك الغرفة الأخرى، فاكتشف أن تلك النافذة الصغيرة تطل على البهو الخاص بالفيلا.

أمعن النظر مرة أخرى، لكن كادت تصدر منه صرخة رعب هذه المرة، إذ وجد ابتسام نائمة على أرضية الصالة الرخامية وسط مثلث دموي وهي

مقيدة من يديها وقدميها دون أن تقدر على الحركة، حاول أن يتحرك سريعًا لينقذها لكنه شعر أنه شُلَّ في مكانه ولم يقوَ حتى على تحريك يديه وقدميه، فبدا كأنه مجبر على أنه يشاهد فيلمًا مرعبًا، وبخاصة عندما نظر مرة أخرى فوجد ريمون على رأس المثلث الذي كان على بقية أضلاعه شموع سوداء اللون وبدأت ظلالها تتراقص على الجدران بشكل مفزع، لكن ما أثار فزعه أكثر كان فاروق الراكع أمام ريمون الذي كان يرتدي عباءة سوداء وتحولت ملامحه فكانت أقرب إلى الشيطان.

حاول الصراخ أو الحركة مرة أخرى دون جدوى، وكالعادة لم تمر دقيقة إلا وبدا أن الرعب لن ينتهي في هذه الليلة، فوقتها دخل سامح يرتدي العباءة السوداء نفسها وهو يمسك الطفلة التي رآها تلهو مع شريف في الخارج، فوضعها تحت قدمَيْ ريمون وأمسك رأسها وهي تطاوعه ولم تجرؤ على المقاومة حتى، فأخرج سامح من ملابسه الخنجر الذهبي اللون الذي سبق ورآه في الكابوس مع ابتسام، وأعطاه لفاروق، فاقترب زاحفًا من الطفلة وبكل هدوء نحر الطفلة التي شعرت بالنصل في بداية الأمر فبدأت في التشنج كالذبيحة وبدأ دمها يسير تحت قدمي ريمون ويتشكل في أحرف داخل المثلث وبجوار ابتسام، حاول فادي قراءة الدم المتشكل فقرأ كلمة:

«عائنة»

هبط ريمون وبدأ يلطخ يديه بدم الطفلة ويقترب من ابتسام وبدأ يلطخ وجهها ورقبتها، زحف فاروق مرة أخرى بعد أن همس له ريمون بعدة كلمات لم يسمعها فادي، وأمسك خنجره، وكما فعل في الطفلة المسكينة فعل في ابتسام، ولكن في تلك الأثناء لم يرَ فادي جيدًا ما كان يفعله، وبعد أن انزاح قليلًا وجده وقد قطع رأس ابتسام بالكامل وبدأ الدم في السيلان بصورة كثيفة، فاقترب ثلاثتهم إلى داخل الدائرة وبدؤوا في تلطيخ وجوههم وأجسادهم بعد أن خلعوا العباءات السوداء.

بدأ فادي يشعر أنه يخرج عن وعيه ولم يدرِ أكان داخل كابوس آخر أم ماذا، وحاول أن يقاوم ويقاوم لكنه لم يشعر إلا وهو يسقط في غيبوبة عميقة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

– فادي.. فادي.. هيا، لقد تأخرت عن العمل.

قفز فادي من سريره صارخًا بعد ما رآه، لكن رويدًا رويدًا اعتادت عيناه نور الشمس الذي بدأ ينساب من النافذة المطلة على مخدعه، فنظر في بلاهة إلى ابتسام التي كانت تقف مكانها لم تتحرك وهي توقظه:

– ماذا بك با فادي؟

- يبدو أنه كابوس آخر ولكن تلك المرة كاد...

- كاد ماذا؟

- كدت أموت داخله، فقد رأيتك...

قاطعته وهي تجلس أمام مرآتها قائلة:

- سوف تتأخر إن جلست وقصصت عليَّ ما رأيته، اذهب الآن وعند عودتك في المساء فلنتحدث معًا في كل ما تريده.

قام من سريره، ولكن بمجرد أن وضع قدمه على أرضية الغرفة شعر بألم هائل، فجلس سريعًا ممسكًا قدمه ليُفاجأ بوجود كدمة زرقاء على جانبها الأيمن مكان وقوعه أمس، فأشار إليها قائلًا:

- ولكن، ولكن...

- ولكن ماذا يا فادي؟

كاد فادي يقص عليها شكَّه في الكابوس الذي مر به الليلة الماضية، وخصوصًا مع ساقه وتلك الكدمة، لكنه خشي أن تفتح الموضوع نفسه مرة أخرى لتبدأ في توترها المعتاد، فتحامل على نفسه وقام واقفًا وأردف:

- أبدًا أبدًا، لا شيء، فيبدو أن قدمي ارتطمت في حجر أمس في أثناء عملي في الموقع.

اقترب منها فوجدها هادئة جدًّا على غير عادتها، فقد اعتاد أنها كلما رأته في الآونة الأخيرة تبدأ في الحديث عن الملل والسفر والرحيل. اقترب منها وهو يضع قبلة على رأسها قائلًا:

- أعلم أنك تحملتِ ما لم يُطِقه بشر، ولكنها هانت يا زوجتي العزيزة، في القريب سنرحل من هنا، أعدكِ بذلك، والآن أين شريف؟ لم أره منذ يومين.

- كان في الحديقة منذ دقائق مع تلك الفتاة.

ازدرد لعابه بصعوبة قائلًا:

- أي فتاة يا ابتسام؟!

- ابنة عمه، أقصد ابنة سامح، ألم ترها؟

رفع فادي حاجبيه دهشة وأردف:

- سامح من؟ سامح ابن عمي؟ كيف ذلك؟! ولمَ لم يخبرني؟ وكيف عرفتِ؟ وكيف أتت إلى هنا؟ وأين أمها؟ ألم يخبرنا من قبل أن زوجته ماتت؟!

أكملت تمشيط شعرها في هدوء دون أن تلتفت له، فأثار ذلك اندهاشه أكثر وأكملت:

- هي ووالدتها أتتا لتسكنا في الفيلا المجاورة في المساء، ولقد عرفتني بنفسها وقضينا الأمسية ليلًا، فلتسأله عندما تقابله، ربما لم تسمح له الظروف أن يخبرك.

وابتسمت في دلال وهي تمشط شعرها الذي بدا ذهبيًّا في ضوء الشمس بصورة لم يرها من قبل.

خرج مسرعًا إلى الحديقة، ليجد شريف جالسًا بمفرده بجوار إحدى الأشجار موليًا ظهره له ممسكًا بدميته التي كانت على شكل قطة وبدأ في الحديث معها، نظر حوله فلم يجد أي فتيات، وقبل أن يتحدث مع ابنه، وجده يفزع عندما اقترب منه وهرع سريعًا إلى أمه التي كانت تشاهدهما من خلف نافذة المطبخ وتشير ملوحة بيديها إلى فادي.

اندهش فادي من سلوكها الهادئ وغير المعتاد يوميًّا أو حتى سلوك شريف، وقبل أن يعود مرة أخرى إلى الداخل نظر إلى ساعته التي قاربت التاسعة صباحًا، وبالتالي سوف يكون يوم عمل طويلًا جدًّا وفي آخره سيقابل سامح والشيخ عبد الجليل ليذهبا إلى الميعاد المنتظر، أشار إليها بيده وسار إلى خارج الكامب، إذ كانت هناك سيارة ستقله إلى مكان العمل.

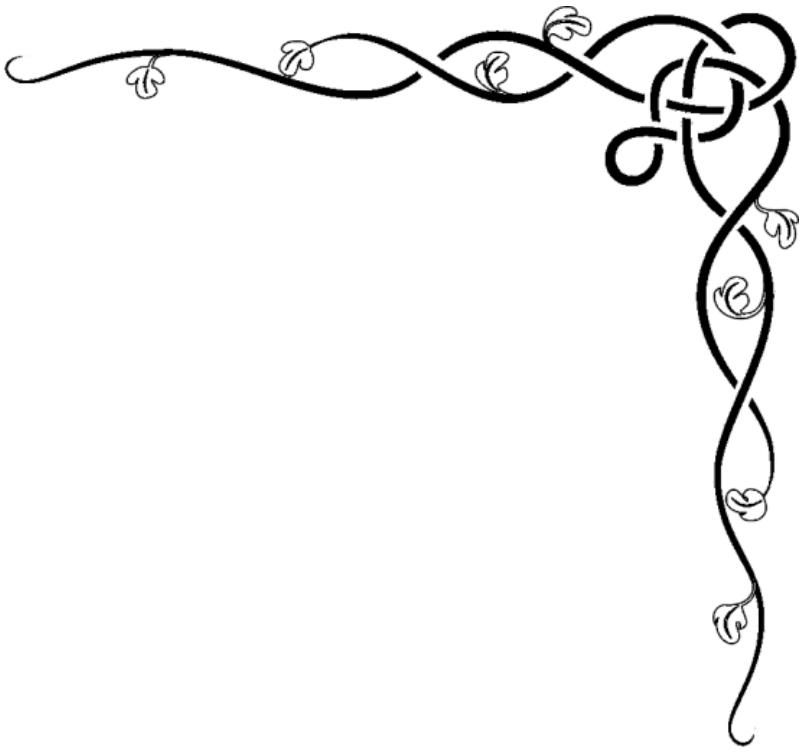

الدم

مر النهار سريعًا وهو يتحرَّق إلى مقابلة سامح في المساء، وبالفعل عند تمام الخامسة وجد أبو سراج يبحث عنه في الموقع، وما إن عثر عليه حتى همس في أذنه قائلًا في خفوت:

- أستاذ فادي، السيد سامح في انتظارك في المنزل.

اندهش فادي لعدم مجيء سامح وشعر أن شيئًا ما يحدث في الخفاء، فأردف:

- ولمَ لم يأتِ معك؟ إن ميعادنا بعد صلاة العشاء وأنا أنتظره هنا.

- أعلم يا سيدي ولكن حدث ظرف ما واضطر إلى الذهاب إلى منزل الشيخ عبد الجليل ليحضره بنفسه، فلمَ القلق؟

- حسنًا، انتظر دقائق هنا.

ودخل فادي إلى مكتبه مغلقًا الباب من خلفه وأمسك جواله، حاول الاتصال مرات ومرات بسامح لكن لم يصل إليه أبدًا لعدم وجود الشبكة في تلك البقعة.

بدأ في التأفف وهو لا يعلم كيف يتصرف، ولكن طرقات على باب المكتب من أبو سراج أخرجته من تفكيره:

- يا سيد فادي، ليس لدينا كثير من الوقت ولا بد من الوصول إليهم قبل البدء، فاحزم حاجياتك وهيا.

تحرك فادي مع الرجل دون أن يعترض حتى كأنه مُسيَّر في الطريق إلى المنزل، وعندما جلس في السيارة كان الجو معتمًا على غير العادة رغم سطوع القمر، حاول أن يتجاذب أطراف الحديث مع أبو سراج لكن إجاباته كانت مقتضبة دومًا، بدأت الأفكار السوداء تطوف في رأسه، فماذا لو كان فاروق بيك قد علم بمكان الخبيئة أو نما إلى سمع ريمون ما خططا له؟ لو كان كذلك فربما كان مصيره القتل، ولكن إن أرادا قتله، فلمَ يأتون به إلى المكان نفسه؟ إذ يرى أنه قد سار في الأماكن نفسها من قبل. فإن أرادوا ذلك لكان عليهم قتله في أي مكان، وإن كان هو ذاهب فعلًا إلى المكان المطلوب وتمَّ الموضوع كما هو، أليس هناك خطورة؟

كان يدرك أنه في كل الظروف بالفعل هناك خطر ما، ولكن أن يكون خطرًا مع مقابلٍ مُجزٍ من النقود، فذلك يعتبر مقبولًا.

هذا ما كان يهمس به لنفسه قبل أن تتوقف السيارة أمام المنزل المهجور، وكانت هناك السيارة التي تقل سامح بالقرب، مما يعني أنه بالداخل، ابتسم في اطمئنان، ولكن قبل أن يهبط همس لنفسه:

- لكن ما أدراني أن سامح على قيد الحياة ولم يقتلوه بالداخل بعد أن حصلوا على مبتغاهم ويريدون مجيئي إلى هنا للتخلص مني أنا الآخر؟! اللعنة! ما لي بدأت أفكر كزوجتي هكذا؟!

- هيا يا سيد فادي بالله عليك، لم تجلس؟ الجميع في انتظارك بالداخل.

هبط فادي متشككًا، لكنه بمجرد دخوله وجد سامح يتحدث مع رجل يرتدي عباءة سوداء ممسكًا بكيس بلاستيكي أسود، ومن خلفه خمسة كراسي على شكل نصف دائرة، وما إن رآه سامح حتى هرع إليه قائلًا:

- أين كنت؟ ولمَ تأخرت هكذا؟

- بالطبع كنت متشككًا في المجيء مع أبو سراج، فليس هذا كما اتفقنا، وكنت أنتظر مجيئك. ولكن أخبرني أولًا، ما موضوع زوجتك؟ ألم تخبرني من قبل أنها توفيت مع ابنتك؟ فمن تلك التي أتت أمس؟ هل تزوجت مرة أخرى؟ ومتى وأين؟

رفع سامح حاجبيه دهشةً وأمسكه من رسغه مبتعدًا به عن الرجل الذي بدأ في نداء بعض الأشخاص:

- اللعنة! من أين أتيت بهذه الكلمات يا فادي؟ أي زوجة وأي ابنة؟

- مهلًا مهلًا، ابتسام هي من أخبرتني في الصباح أن شريف يلهو مع فتاة في مثل عمره، وعندما سألتها من هي، أخبرتني أن ابنتك وزوجتك قد حضرتا في المساء.

تلعثم سامح وبدأ ينظر حوله مرتعبًا وبدأت حبات العرق تسيل على جبهته، تجاهل فادي ونظر ناحية الشيخ فوجده وقد جلس على الكرسي الخشبي الموضوع أمام الثلاثة الآخرين وبجواره كرسي فارغ، في حين جلس ثلاثة رجال من خلفهم، لم يرهم فادي من قبل، فهمس إلى سامح:

- أي شيخ هذا الذي يرتدي زيًّا أسودَ وتلك الملابس القاتمة يا سامح؟

- هو شيخ روحاني وليس قرآني يا فادي.

- ماذا؟! وما معنى روحاني وقرآني، ما أعلمه أن الشيخ هو...

قاطعهما عبد الجليل وقد أشار بيده إلى سامح مُعجِّلًا:

- هل نؤجل حديثكما الجانبي يا سادة؟ إن الوقت يمر.

اقترب سامح من فادي آخذًا يده ليجلسه على الكرسي المجاور للشيخ، فنظر إليه مستفسرًا، فهمس في أذنه:

- ليس هذا وقته يا فادي، سأشرح لك الفرق بينهما فيما بعد، والآن استمع إلى كل ما يقوله لك الشيخ عبد الجليل، دعنا ننتهي الآن من تلك المراسم.

بعفوية نظر فادي إلى ساعة يده فوجدها تشير إلى السابعة والنصف، وتناهى إلى مسامعه الشيخ وقد بدأ في ترديد بعض الكلمات التي لم يسمعها فادي في أول الأمر رغم قربه منه، فبدأ ينصت جيدًا وبخاصة عندما بدأ الرجال الثلاثة الموجودون خلفه بترديد الكلمات نفسها.

«سنخيا، قيعوش، قيعوش، ميشيكيليا، سنخيا، قيعوش، قيعوش، ميشيكيليا»

بدأ الشيخ في إغماض عينيه وقام عن الكرسي وهبط على الأرض واضعًا أذنه عليها بجوار قدمي فادي، وبدأ الجميع في ترديد كلماتٍ بلغة غير مفهومة، نظر وقتها إلى سامح مرتاعًا، فوجده شاخصًا ببصره ناحية الغرفة المغلقة الموجودين أمامها، ثم فجأة جلس هو الآخر على الأرض وبدأ في رج رأسه إلى الأمام والخلف بصورة بطيئة في البداية ثم ما لبث أن تسارع هو الآخر مع كلمات الشيخ.

حاول فادي القيام وبخاصة عندما شعر بصداع بدأ يغزو رأسه، وكانت كلمات الشيخ كلما نطق بها تتزايد النبضات المؤلمة في رأسه، فودَّ أن يصرخ في الجميع:

- لعنة الله عليكم! أي نوع من الحضرات هذه يا أبناء الأبالسة؟!

ولكن صوته لم يتعدَّ حلقه، وبدأت الأرض تميد تحت قدميه، ولكن كل شيء توقف فجأة مع صمت الشيخ ومن معه بإشارة منه، ووقتها وجد الشيخ يقف أمامه تمامًا قائلًا:

- كما أخبرتني يا سامح بك، الحل والمفتاح في يد ابن عمك، أخبروني بذلك الآن، هو فقط من سيكون لديه الحل.

ونظر الشيخ عبد الجليل إلى فادي وأمره مشيرًا إلى الأرض إشارةً لم يفهمها فادي، فأردف بلهجةٍ آمِرةٍ مرة أخرى:

- هيا تقدم.

نظر فادي بذهول إلى سامح ولم يهتم بكلام الرجل قائلًا له:

- أتقدم إلى أين ياسامح؟ ومفتاح ماذا؟ ليس هذا اتفاقنا من قبل، وماذا يقصد هذا الرجل ومن هم الذين أخبروه؟

اقترب سامح منه قائلًا بخفوت:

- الرصد طلبك بالاسم يا فادي.

- وما معنى الرصد؟ وأين طلبني؟ هل تصدق تلك الخزعبلات؟!

- حراس المكان هم من أخبروه يا فادي، فهو لديه القدرة على التواصل معهم، ولذلك يبدو أن الحل في يدك أنت فقط، وأنت من ستفتح الباب،

فهُم لم يتقبلوا أي أحد منا، أنت فقط يا فادي، فأنت من ستخبرنا ماذا نفعل في المرحلة القادمة.

هب فادي من كرسيه قائلًا:

- وما معنى هذا أيضًا؟ أنا لن أفعل أي شيء في هذه الليلة وسأعود إلى المنزل حالًا.

أمسكه سامح من يده بعنف قائلًا:

- قلت لك لا تخف واصمت، دعنا ننهي هذه الليلة السوداء حتى ننصرف من هذا المكان الملعون، ولتتذكر نصيبك من المال عندما نحصل على مبتغانا، أنت لن تتحرك عن الكرسي، ستخبرنا كل شيء وأنت في مكانك، فلا تخف ودعنا من تلك الأفعال الصبيانية.

وأخذه من يده ليُجلِسَه عنوةً على الكرسي مرة أخرى مقربًا عباءة سوداء منه قائلًا بضجر:

- والآن ارتدِ هذه على ملابسك.

ألقى فادي العباءة على الأرض مشمئزا صارخًا بضجر:

- سامح! هل جننت؟! هذه العباءة راحتها لا تطاق!

أمسكها سامح مرة أخرى وصبره كاد ينفد:

- البسها ودعنا ننتهي من فضلك.

لبسها فادي ساخطًا، ليقترب منه أحد التابعين ويعطيه شمعةً سوداءَ كبيرةً وشد على يده ليمسكها وسط دهشة فادي، فهمس له:

- ولمَ تلك؟

نظر إلى الرجل بذهول كأنه يخاطب مختلًّا:

- حتى تنير طريقك، ما فائدة الشمعة إذًا؟!

كاد فادي يسبه، لكن وجد الشيخ يقترب منه واضعًا يده على جبهته قائلًا:

- ستسمعني جيدًا حتى تسير في طريقك هذا، ولا تخف نحن خلفك، لا تخف لكن لا تموت وإلا...

حاول فادي أن يتحدث مندهشًا من الكلمة الأخيرة، لكن الشيخ كان قد بدأ في تلاوة تعاويذه الملعونة، فشعر وقتها أنه يتحرك دون وعي منه وأظلمت عيناه تمامًا، فلم يبصر إلا ظلامًا، ولم يسمع صوت دقات قلبه، وصوت الشيخ يأتيه من مكان ما سحيق بداخل عقله مكملًا:

- أشعِل الشمعة، أنت على الأعتاب.

تحركت يداه رغمًا عنه ليشعل الشمعة بعود ثقابٍ لا يعلم من أين أتى، منصتًا لكلام الشيخ:

- أكمل سيرك، على أقصى اليمين ستجد غرفة مغلقة، افتحها وادخل، سترى حفرةً كنت رأيتها من قبل، اقترب منها وأخبرني بما ترى.

تحرك فادي كالمسحور ليفتح باب الحجرة كما أخبره، وبدأت الرؤية تتضح أكثر فأكثر، تقدم عدة خطوات ناحية الحفرة قائلًا:

- عدة سلالم حجرية إلى الأسفل.

- حسنًا، اهبط بسلام حتى الأسفل وأخبرني بمجرد وصولك بما ترى.

بدأ فادي في النزول بهدوء وسط تعاويذ الشيخ، الذي قال بصوت هامس لكنه اخترق رأس فادي:

- اقشيش، بهراش، سنخيا، قيعوش، ميشيكيليا، مازر، كمطم، ظام.

ومع كل اسم يتفوه به الرجل كان فادي يهبط حتى وصل إلى أرضية رطبة وبدأ الجو يخنقه، فوضع يده على رقبته قائلًا بصوت مخنوق:

- وصلت إلى الأسفل، الأرض طينية وأشعر أن قدايَ تغوصان فيها، الجو هنا رائحته لا تطاق وأكاد أختنق، هناك باب ذهبي مطمور على بُعد نحو عشرة أمتار.

- الآن اركع.

ودون أدنى مقاومة ركع فادي على الأرض التي بدأ يخرج منها سائل ثقيل يغمر قدميه العاريتين، وبدأت الكلمات تأتيه من الرجل بصوت جهوري:

- السلام عليك يا سيد الأرض، السلام عليك وعلى ذريتك إلى أبد الآبدين.

وبدأ يردد تلك الكلمات مرات ومرات، وفي كل مرة كان جسد فادي يرتعد بشدة حتى همس إليه أخيرًا:

- الآن تقدم ناحية الباب المغلق، ها ماذا ترى؟

تقدم فادي وسط الأرض التي بدأت تغرق قدميه حتى غطتها تمامًا، فزع أكثر عندما وجدها عبارة عن دماء، تقدم مرة أخرى حتى وصل إلى باب موجود في كتلة حجرية كأنه قد نبت بداخلها منذ آلاف السنوات، فتحسسه قائلًا:

- باب طوله قرابة متر، محاط بإفريزٍ ذهبي اللون، كلما لمسته بدأ في اللمعان بلون أخضر غريب.

- حسنًا حسنًا أنها البشري، الآن عُدْ مرة أخرى إلى الدرج الحجري، ستجد هناك جوالًا كبيرًا، افتحه.

عاد مرة أخرى إلى الدرج الحجري، فوجد جوالًا لم يلحظه في أثناء هبوطه إلى أسفل، وضع الشمعة على الدرج ثم مدَّ يديه ليفتحه، ولكنه ذعر وعاد إلى الوراء في رعب عندما فوجئ بطفلةٍ صغيرةٍ مقيدةٍ من يديها وقدميها وغائبةٍ عن الوعي، اقترب منها مرة أخرى، فإذا هي الفتاة نفسها التي رآها في الحلم تلهو مع ابنه في الغرفة، فهمس في توتر:

- هناك طفلة مقيدة ويبدو أنها مخدرة.

- حسنًا حسنًا، وماذا أيضًا بداخل الجوال؟

مد يده إلى الداخل، فوجد زجاجةً من سائل شفاف وخنجرًا ذهبيَّ اللون، فأخبر العجوز بهما.

- والآن احمل الفتاة إلى الباب الذهبي واشرب ما بداخل الزجاجة.

- ولكن...

- ليس هناك لكن، اسمع ما أقوله لك.

رفع فادي الزجاجة وشربها دون مقاومة، جحظت عيناه وكاد يتقيأ من الطعم الصدئ، ونظر إلى الأرضية التي بدأ يخرج منها سائل دافئ يغمر قدميه اللتين بدأتا تغوصان فيه، حتى غمرهما السائل، وسمع صوت الشيخ يردد سريعًا كأنه قرأ ما بداخل رأسه:

- أسرع أسرع، إن الدماء تفور، وأن لم تسرع فستُغرِقك، هيا.

رفع فادي الفتاة واقترب من الباب الذهبي ثم وضعها أسفله كما قال الشيخ الذي أردف:

- والآن أمسك الخنجر الذهبي.

أمسك الخنجر الذهبي وشعر كأنه رآه في مكان ما قبل ذلك، ثم تذكر سريعًا فقد كان الخنجر الذهبي نفسه الذي رآه مع فاروق في الحلم، وقبل أن ينطق صرخ فيه الشيخ فجأة:

- والآن اذبح الفتاة.

صرخ فادي فيه قائلًا:

- هل جننتم؟! أي فتاة التي أذبحها؟! اللعنة، لن أقترب منها!

- اذبح الفتاة!

- لن أقترب منها وليكن ما يكون، إنها طفلة أيها الملاعين!

كرر الشيخ عبد الجليل بالصوت الجهوري نفسه واللهجة الآمرة دون أن يلتفت إلى كلام فادي:

- اذبح الفتاة!

- قلتُ لا، وسأصعد على الفور لأنهي هذه المهزلة.

وقبل صعوده سمع صوت سامح مهدئًا:

- فادي أنت هنا؟ أنت معنا؟ أنت لست في الأسفل، كل ما تراه هو وهمٌ لخيالك لنرى متى ستُفتَح الغرفة، لا تخف، أنت هنا وسأُثبِت لك.

شعر فادي بيدٍ تلمس خده برفق، فعرف أنه يحلم أو كل ما يراه هو وهم، وحاول أن يقترب مرة أخرى من الفتاة، فاقترب ونظر إليها وهي نائمة، فتذكر ابنه شريف، وكان من المستحيل بالفعل أن يمسك الخنجر لذبحها.

لكن الشيخ في الأعلى بدأ في الصراخ وتكرار بعض التراتيل الأخرى، فشعر فادي فجأةً بيد غليظة تمسكه من رقبته وتبدأ في خنقه، ورغمًا عنه وجد يديه تتحركان ليمسك الخنجر، وجلس بجوار الفتاة وبدأ في البكاء بصوت مسموع، ورغمًا عنه اقترب بنصل الخنجر إلى رقبتها، وبكل الهدوء فعل كما فعل فاروق تمامًا، ليذبح الفتاة التي أخذت ترتعش بقوة، أغرقت الدماء وجهه ويديه، ورغمًا عنه ابتسم كأنه مُجبَر على فعل ما هو مُقرَّر له.

- والآن احمل الفتاة من قدميها ودعها تنزف جميع دمها على العتبة المقدسة.

رفع فادي الفتاة وهو يصدر تأواهاتٍ مسموعةٍ بصوت نحيبه، في حين استمرت تلاوات الشيخ مرة أخرى:

- سيدتنا، ارضي بقرابيننا، سيدتنا بنت سيد الأرضين، نحن عبيدكم فتقبلي قرباننا، تقبلي دماءنا على أعتابكم المقدسة، تقبلي دم الترضية لعبدك وخادمك...

بدأ يتحدث بكلام كثير لم يفهمه فادي، وخصوصًا عندما عاد إلى الحديث بتلك اللغة مرة أخرى، وقتها شعر فادي أن شعاع الشمعة بدأ في التراقص على الدرج وأبصر من خلاله خيالًا أسود اللون يتشكل أمام الجدار الحجري، ورويدًا رويدًا بدأ الخيال يتحول إلى فتاة ذات شعر ذهبي يصل إلى قدميها المختفيتين خلف رداءٍ أبيض، وبدأت صورتها تتضح، فإذا هي فتاة رائعة الجمال لم ير مثلها من قبل، فتوقف مسحورًا من حسنها ولم يقطع حبل أفكاره إلا صوت الشيخ صارخًا:

- انطق، ماذا ترى؟

كان الشيخ يصيح عليه ولكنه كان في وادٍ آخر، فقد كانت كل حواسه مُسلَّطة على الجدار وما ظهر أنه يخرج منه، وبخاصة عندما تحركت الفتاة وبدأت في الاقتراب منه ومن خلفها برز وجه شيطاني لخيالٍ آخر لجسد أسود مشوه بدأ في الخروج من الجدار، يقارب مترين طولًا، فبدا محنيًّا وهو يسير في خشوعٍ وراءها.

فرك فادي عينيه مرتعبًا هو ينظر إلى ذلك المسخ الذي كان يحمل وجه ريمون.

- انطق أيها الملعون ستموت، أخبرنا ماذا ترى؟

تجاهل صوت الرجل مرة أخرى وأخذ يمعن النظر في ريمون الذي كان يرتدي تلك العباءة السوداء الملعونة التي رآها في الحلم من قبل، اقتربت

الفتاة منه وهو يرتعد ولا يقدر على الوقوف أمامها، ورغمًا عنه بمجرد اقترابها وجد نفسه يسجد لها في خشوع.

بدأت تهمس بتلك اللغة الملعونة، فلم يجرؤ على الالتفات إليها وهي تقترب من الباب الذهبي، ثم اقتربت من جسد الفتاة وبدأت تتشمَّمها، ثم بدأ صوتها الشبيه بالصافرة الحادة يعلو بالنحيب. وضع فادي يديه على أذنيه رعبًا وخوفًا من إصابته بالصمم، ووقتها اقترب ريمون منه وبدأ ينظر إليه بأعين نارية وهو ينتظر أوامره من تلك الشيطانة، وما هي إلا لحظة حتى رفع يده إلى أعلى ومعه صعد جسد فادي دون مقاومة إلى سقف المكان، ولم يكن هناك أي جاذبية، ثم ألقاه على السلم الحجري، فشعر معها أنه في الرمق الأخيروالكسور في كل مكان بجسده، حاول أن يقوم مرة أخرى لكنه هوى إلى الأرض غائصًا في الوحل، نظر حوله فلم يجد أي أثر لهما، حاول أن يتكلم لكنه ما لبث أن غاب عن الوعي.

بعد عدة دقائق وجد الشيخ عبد الجليل ومن معه جميعًا متلفين حوله وفي نظراتهم خيبة أمل، في حين كان لا يزال هو في مكانه لم يتحرك، إذ كان راقدًا أسفل الكرسي ولم يقدر على تحريك جسده، علم وقتها أنه كان داخل حلم كبير، ولكن إصابته في كتفه أكدت له أنه ربما ليس حلمًا، نظر إلى يديه اللتين تحول لونهما إلى الأحمر الدموي، وارتعد أكثر عندما نظر إلى عباءته السوداء فوجد آثار دم الفتاة عليها، ثم نظر برعب إلى سامح قائلًا:

- هل ما حدث حقيقي؟ هل قتلي للفتاة حقيقي؟! أخبرني يا سامح!

تحامل على نفسه مستندًا إلى الكرسي وإلى يد العمال الذين ساعدوه على الوقوف ممسكًا سامح من كتفيه صارخًا:

- أخبرني، هل فعلتُ ذلك وقتلت الفتاة أم كان وهمًا؟ لماذا لا تنطق؟ لمَ لا ينطق أحدكم؟!

أنزل سامح يد فادي عن كتفيه ممسكًا يده وأجلسه على الكرسي قائلًا:

- اهدأ يا فادي، اهدأ، إننا في مشكلة كبيرة.

- ليس هذا من شأني، فلتذهب أنت ومشكلاتك إلى الجحيم، أخبرني هل قتلت الفتاة أم ماذا؟!

- هل هذا كل ما يهمك؟

قفز فادي محاولًا إمساك سامح مرة أخرى، لكن الشيخ عبد الجليل حال بينهما مهدئًا فادي وهو يغمز بعينيه بإشارة لم يرها إلا سامح قائلًا:

- هراء! كل ما رأيته يا ولدي هراء، فلتهدأ حتى نحل هذه المشكلة الجديدة.

- بمعنى أنني لم أقتل أحدًا؟

- بالطبع، ألم تُفِق فوجدت نفسك في مكانك نفسه لم تتأثر؟!

- بلى، ولكن ما سبب تلك الدماء؟

تلعثم الشيخ فأردف سامح وقد فهم ما يقصده قائلًا:

- عندما أدخلك الشيخ في تجربة روحية إلى مكان لم تفلح، وبالتالي كل ما حدث لروحك اتنقل إلى جسدك، فاطمئن لم يحدث أي شيء من ذلك. اهدأ، إصابة كتفك والدماء التي تغرق ملابسك كل ذلك بتأثير الحلم، أليس كذلك يا شيخ عبد الجليل؟

أومأ الشيخ برأسه دليلًا على الموافقة، فأردف فادي وقد هدأ قليلًا دون أن يشعر بخداعه:

- إذًا فشلنا؟

أردف سامح محاولًا أن ينفرد بالشيخ عبد الجليل، لكن فادي وقف مرة أخرى بينهما، فأردف سامح موجهًا الحديث إليه:

- نعم يا فادي، فشلنا، لقد رُفِض الدم.

- لا أفهم؟!

- القربان رُفِض منك، لا بد من أحد آخر يقدمه.

- أيضًا لا أفهم، فلتحدثني بلغةٍ مفهومةٍ يا سامح.

- دمك لم يرضي الملكة وعلينا طاعتها بأي شكل.

- أي ملكة؟!

تأفف سامح مردفًا:

- ليس الآن من فضلك! نريد أن نحل هذه المشكلة على الفور، فهي لن تسمح لنا أي وقت آخر، وعلينا إنهاء الأمر الليلة، وإذ إن الدم قد رُفِض فلا بد من شخص من صلبك.

نظر فادي برعب إلى سامح قائلًا بهدوء:

- ماذا تقصد يا سامح بشخص من صلبك؟

- شريف ابنك، لا بد أن يأتي ويجلس مكانك، فهو من بيده فقط...

صرخ فادي في وجهه قائلًا:

- هيا اظهر على حقيقتك، كل ذلك من أجل شريف، تريده أن يأتي إلى هنا ويجلس مكاني ثم ترضى عنه تلك الملعونة ويفتح الباب!

قاطعه الشيخ عبد الجليل وهو يمسكه بعد أن شعر الجميع أنه قد جن جنونه:

- اهدأ يا ولدي، لن يصيبه مكروه، هل أصابك أنت مكروه؟! كل ما سيفعله هو أن يجلس على الكرسي ولن يحدث له أي شيء.

اقترب سامح مُبدِيًا الندم على وجهه وقال في شفقة:

- اهدأ يا فادي بالله عليك، افعل ذلك بطوع أمرك بدلًا من فعله مُرغَمًا، لا تخف على حياة شريف فهو ابني أنا الآخر، ثق بي.

ضحك فادي بسخرية وهو يحاول تخليص يديه من قبضة الشيخ قائلًا:

- ابنك! لعنة الله عليك وعلى فاروق والمشروع والملعونة، لعنة الله عليكم جميعًا، أنتم كفرة، كل ما رأيته كان حقيقيا إذًا، تفعلون كل ذلك من أجل إرضاء...

وقتها ارتخت يدا الشيخ عبد الجليل وهو ينظر إلى شخصٍ ما أتى من خلف فادي، فالتفت فجأة لكنه رأى آخر شخصٍ قد يتوقعه.

كان فاروق بك، كأن الزمن قد عاد به عشر سنوات مرة واحدة، يسير على قدميه وبجواره الشيطان ريمون، وبدأ في الصراخ موجهًا حديثه إلى سامح الذي كان منحنيًا بذُل أمامه:

- لقد أخبرتك منذ البداية أن يتم الموضوع سريعًا ونحضر ابنه، لكنك رفضت وحاولت أن تترك ذكرًا آخر في العائلة أيها الغبي، أخبرتك سوف تفشل، لكنك عاندت مثل البغل، كيف ستحلها الآن؟!

اقترب سامح خانعًا وهو ينظر بشفقة إلى فادي وقال:

- كنت أريد إصلاح أي شيء، أقسم لك.

- والآن عليك أن تتنحى وتدعنا نحن كي نتصرف.

كان فادي في تلك الأثناء ينقل بصره بين سامح الخاضع وبين فاروق الذي كان صراخه لا يتناسب أبدًا مع عمره، ووقتها نظر فاروق إلى الشيخ عبد الجليل نظرةً فهمها الأخير، فالتفت ناحية فادي الذي كانت نظرات الاندهاش تعلو وجهه، فاقترب منه قائلًا:

- لمَ كل هذا الاندهاش؟! لا تحير نفسك يا ولدي، فالجهل بعديدٍ من الأشياء أفضل لك، اعذرني، فيبدو أنه كان لا يجب من الأصل أن ترى كل ما رأيت ولا تعيش بعدما رأيت.

وقبل أن ينطق هوى بحجر ضخم على رأسه لينفجر دمه في أنحاء المكان.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بعد عدة ساعات بدأ فادي يستفيق من تلك الغيبوبة التي ظن الجميع معها موته، بدأ يتنفس بصعوبة في أول الأمر وهو يرى الظلام حوله ولا يكاد يلمح أي ضوء في الخارج.

ازدرد لعابه بصعوبة فسعل أكثر عندما شعر بطعم الدماء الجافة تغزو حلقه، تأوه بصوت مسموع وهو يرفع يديه على رأسه ليتحسس مكان إصابته متذكرًا ما حدث له وتلك الضربة القاتلة التي تلقاها من الشيخ عبد الجليل، لكن يديه ارتطمتا في باب خشبي أمام وجهه، تحديدًا وضع يديه أمام وجهه متحسسًا ذلك ا للوح الخشبي دون أن يرى يده.

فزع أكثر بعد أن كان الظلام محيطًا به فلم يرَ يده، مدهًا سريعًا ليبحث في ملابسه عن هاتفه المحمول وهو على وشك أن تتوقف دقات قلبه رعبًا، عثر على هاتفه فرفعه بصعوبة حتى يضيء كشافه، ولكنه تمنى أن تكون الضربة قتلته بدلًا من هذا المصير عندما علم أين هو الآن.

فقد وجد نفسه مدفونًا تحت الأرض في تابوتٍ خشبي، بدأ يصرخ ويصرخ ومع كل صرخة كان يسعل بشدة ويتنفس بصعوبةٍ أكثر، بدأ يطرق بعنفٍ على التابوت ولكن كلما طرق أكثر تقع الأتربة عليه من بعض الفتحات في سقف التابوت، خطرت في باله فكره أخرى أن يتصل بزوجته أو أي شخص لنجدته.

حاول الاتصال بابتسام وكالعادة لا يوجد أي اتصال، حاول عشرات المرات وكل مرة كان يختنق أكثر فأكثر حتى مرت عليه سبع دقائق شعر أنها ساعات، وعاد مرة أخرى إلى الصراخ والسعال مجددًا دون جدوى حتى خارت أنفاسه وبدأت تخرج بصعوبة من صدره، حاول أن يتذكر الله في تلك اللحظات أو يقرأ أيًّا من الآيات القرآنية، لكن لفزعه لم يتذكر أي شيء ولو حتى فاتحة الكتاب، حاول التشهد فلم يقدر، فعلم وقتها أنه في سبيله إلى الموت المؤكد وأن شيئًا ما فعله كانت نكبته تلك، استغفر الله كثيرًا وحاول أن يتمالك نفسه دون جدوى، فعاد إلى البكاء مرة أخرى وهو يحاول الاتصال بزوجته مرة أخرى.

وبعد عدة محاولات دق الهاتف وسمع صوتها من الجهة الأخرى:

- فادي ألو... لا أسمعك، أين أنت؟ ألو...

- ابتسام، اسمعيني، هل أنتِ معي؟ ألو... حاولي الهروب فورًا، اخرجي أنت وشريف إلى أي مكان، تسلَّلي، لا تمكثي ولا دقيقة، اهربي، اهربي!

- فادي ألو... لا أسمعك، أين أنت؟ ألو...

- أنا... أنا... أنا لا أدري أين أنا حرفيًّا، أنا في مكان ما، لن أراكما مرة أخرى، هل تسمعينني؟! اللعنة! اهربي أنت وشريف فورًا، اسمعيني بالله عليك!

- فادي ألو... لا أسمعك، أين أنت؟ ألو...

بدأ فادي في الصراخ بهيستريا مرة أخرى وهو يحاول أن يرفع صوته لتسمعه دون أي جدوى، وكلما حدثها لم تكن تجيب إلا بتلك الجملة كأنها على أسطوانة مكررة إلى الأبد، فأخذ يرطم يده غضبًا في سقف التابوت، فامتلأ وجهه بتراب أكثر وفمه وجوفه، عاد إلى البكاء مرة أخرى وهو يتصل بزوجته لكن الشبكة لم تسعفه هذه المرة.

مرت عشرون دقيقة، فخمس وعشرون، فثلاثون منذ استعادته وعيه، أغمض عينيه وتشهَّد للمرة الألف ودعا الله كثيرًا أن يُعجِّل بنهايته بدلًا

من هذا الانتظار القاتل، ولكن في تلك اللحظة تناهى إلى أذنيه صوتٌ يأتي من بعيد هاتفًا باسمه.

- فادي، لا تخف، تجلَّد سأخرجك من هنا فورًا، لا تمُتْ بالله عليك، اصبر، أنا أحفر سريعًا، أعطني إشارة عن مكان التابوت بالله عليك، هيا!

أرهف فادي أذنيه مرة أخرى فهو أصبح لا يدري صحوه من أحلامه حتى عاد صاحب الصوت إلى النداء بالطريقة نفسها، وسمع أصوات حفر بالقرب منه، فصرخ وقد امتلأت عيناه بالبكاء فرحًا عندما عرف صاحب الصوت بعد أن كادت أنفاسه تنتهي:

- سامح.. أنا هنا، لا أزال حيًّا ولكن في طريقي إلى الموت، أنقذني بالله عليك!

صرخ سامح فرحًا بعد سماع صوته:

- لا تزال حيًّا! انتظر، خلال دقائق ستخرج، اهدأ يا فادي وسامحني، اهدأ.

- سامحتك، أقسم بالله سامحتك ولكن هيا سريعًا هيا، فأنفاسي تكاد تختنق، إنني أموت.

بدأ الحفر يزيد حتى سمع بعض الدقات تأتي من أسفل التابوت ناحية قدميه، ثم توقف الصوت مرة أخرى.

صرخ فادي مناديًا سامح دون جدوى، وكرر النداء فلم يجبه أحد، عاود الصراخ عندما وسوس لنفسه أن الحفر كان مجرد حلم وبدأ في العويل، لكنه فجأة سمع صوت موتور سيارة تقترب، وفجأة سمع طرقات خفيفة على التابوت، فعاود الصراخ مجددًا وتحركت السيارة فخرج معها التابوت في عنفٍ إلى الخارج بعد أن سحبته.

وبعد دقيقة، بدأ سامح في كسر الخشب بعيدًا عن وجه فادي الذي أطلَّ فجأةً بمجرد فتح ثقبٍ في التابوت وقد بدأ يشهق سريعًا بعدما كاد يختنق، وبعد دقيقة أخرى كان واقفًا بجوار سامح الذي احتضنه متأسفًا على كل ما حدث، لكن فادي كانت كلمات العالم لا تعبر عن فرحته بإنقاذه، فأشار إليه سامح أن يهرع معه إلى السيارة، وبمجرد دخولهما انطلق بأقصى سرعة ناحية الكامب، فتساءل فادي:

- ماذا حدث؟ أخبرني؟

لم يجبه سامح بل صرخ فيه قائلًا:

- ليس هذا وقته أبدًا، أنصت لي جيدًا وحاول أن تنفذ ما سأطلبه منك بالضبط إن كنت تريد إنقاذكم، إن الجميع يظن مت، ولا بد أن تستمر الطقوس، فبعد أن ظن عبد الجليل أنه تخلص منك، خرج فاروق مُصرًّا على استكمال الطقوس، وقد أخبرته أنني سأفعل ذلك غدًا

كما أخبرني عبد الجليل بالاتفاق معه بعد أن نكتم خبر موتك عن زوجتك.

- أليسوا هم رجالك الذين وثقت بهم؟

- اسمعني ولا تقاطعني، فليس لدينا أي وقت، علينا الهروب جميعًا من ذلك المكان الملعون، فبعد أن ألقوا بك في التابوت علمت أنك لا تزال حيًّا، إذ اقتربت منك وقِستُ نبضك فأخبرتهم أنك مت، وكان على الرجال أن يتخلصوا منك بهذه الطريقة وقد كان، وبعدما ذهب الجميع إلى منازلهم أتيتُ لأنقذك ونهرب من هذا المكان الملعون.

- ولكن...

- ليس هناك أي لكن، أنصت، الكامب على مرمى البصر، سأنتظرك خلف السور ناحية منزلك بالقرب من المقابر، اذهب سريعًا لتحضر ابتسام وشريف على الفور وسأخبرك كل شيء في الطريق.

وبالفعل قفز بالقرب من أحد الأماكن غير الـمُسوَّرة جيدًا التي دله عليها سامح، وما هي إلا لحظات حتى كان يوقظ ابتسام وشريف بعد أن صرخت لاقتحامه الغرفة بهذه السرعة وشكله والتراب الذي يملأ ملابسه، فوضع يده على فمها خوفًا من تناهي صوتها قائلًا:

- ليس هذا وقته، إننا في خطر، كل ما أخبرتِني به صحيح، توجد مؤامرة ما، علينا التحرك سريعًا دون حتى ملابسنا، أحضري شريف وهيا.

وقفت ابتسام دقيقة وهي تنظر إليه في ذهول ولكنه صرخ في وجهها:

- هيا!

ولكن في أثناء ذلك تناهى إلى مسامعه صوت عيار ناري بالقرب منه، ارتعب من فكرة قتل سامح، فهو الوسيلة الوحيدة لهروبه. أمسك شريف بيده وابتسام باليد الأخرى مقتربًا من السور ناحية مكان الهروب، وبالفعل كانت السيارة بالقرب وسامح يشير إليهما بسرعة للقدوم، وعندما اقتربا وجد جثة أحد الرجال الذين يراقبون وقد شُجَّ رأسه بحجر غليظ.

أشار إليه سامح قائلًا:

- لن أستطيع القيادة، قُد أنت.

قفز الجميع إلى السيارة وجلس سامح بجوار فادي بعد أن انطلقت السيارة على الطريق، فأردف سامح وهو يتأوه:

- انطلق بأقصى سرعة بالله عليك، سأدُلُّك على الطريق.

- ما تلك الجثة يا سامح؟ ولكن لكن... هل أصابك مكروه أم ماذا؟ ما بك؟

- عمران أحد رجال الأمن في الكامب، يبدو أنه شعر بحركة ما ورآك فهب مسرعًا من خلفك واتصل بأحدهم، ولكني حاولت منعه من الاتصال بالفعل، إلا أنه أخرج مسدسه ليقتلني فأصابتني الرصاصة في بطني، ووقتها لم أجد إلا حجرًا ضخمًا كان بيدي، وبعد أن اختل توازنه لم أشعر بنفسي إلا وقد قتلته.

- هل إصابتك خطيرة؟

- لا، مجرد خدش من شظية، الأمر ليس خطيرًا. اسمع، سِرْ على هذا الطريق عدة كيلومترات، ستجد بعد ربع ساعة من الآن يافطة تشير إلى اتجاه بغداد، ادخل هذا المنعطف ووقتها كلما أسرعت كان ذلك في مصلحتنا.

- ولمَ تخبرني بذلك؟ ألن تأتي معنا؟

- سآتي معكم بالطبع، أقول ذلك إذ ربما يُغشى عليَّ من الدماء التي تنزف، لا تقلق، الأمر بسيط، وبمجرد دخولنا بغداد سنجد أي مقر طبي هناك، ولكن أسرع بالله عليك.

- وبعد ذلك؟

- يا أخي أخرجنا أولًا من تلك القرية الظالم أهلها ثم نفكر ماذا سنفعل!

وبالفعل، كأنها كانت الإشارة من سامح فزاد من سرعته حتى وصل إلى الطريق الرئيسي فدخله مسرعًا.

حانت منه التفاتة فوجد ابتسام وشريف لا يزالان يقظين وهما ينظران إليه كأنه يؤدي عملًا خارقًا، فابتسم قائلًا:

- بالطبع كل ذلك من أجلكما، أعلم أنني طمعت ولكن في اللحظة الأخيرة يا حبيبتي أدركت أن إحساسك صحيح.

ثم نظر مرة أخرى إلى سامح الذي كان بدأ عليه التأثر أو شعر ربما أنه على وشك أن يلقى حتفه، فهمس بصوت خافت لئلا تسمعه ابتسام:

- أنا السبب في كل ذلك وأعتذر لك يا فادي، وآسف أنني خدعتك، ولكن ليس بالصورة التي تظنها.

- حسنًا، إن قصصت الموضوع منذ بدايته قد أفهم، وقد ألتمِس لك العذر يا سامح.

- حسنًا، أنصت جيدًا، فأنا أشعر أنني لست على ما يرام.

- أرني إصابتك يا سامح، أنت تقلقني.

- ليس هذا وقته أو مكانه، سر بأسرع ما يمكنك، ففاروق لديه أعين في كل الأماكن، المهم أنصت من فضلك، كل ذلك كنت المقصود يا فادي، نحن من آخر نسل ملعون.

قاطعه فادي باندهاش ناظرًا إلى زوجته خوفًا من أن تسمعه:

- نسل ملعون؟!

- نعم، كل ذلك بسبب جدنا الغبي الأكبر الذي كان يهوى السحر، وبطريقةٍ ما وصل إلى تحضير إحدى ملكات الجن.

صرخ فادي ولكن نظرةً من سامح ألجمته، ليردف:

- أنصت ولا تقاطعني حتى تفهم، كان علينا أن نرضي تلك الملكة ما بقي لنا من عمر حتى ترضى عن أسلافنا وترضى عن ما نفعله، وللأسف أصبحت دماؤنا نادرةً بعد أن ضحيتَ بآخر فتاة من نسلي.

- نسلك؟

- نعم، تلك الفتاة التي ذبحتها كانت ابنتي، إن أطفال الكامب كلهم إناث وكلهن بناتي، والنساء اللاتي رأيتهن زوجاتي، أقصد منهن والباقي أنت تعلم، وقد حُذِّروا من التعامل معكم نهائيًّا، والرجال في المطعم كانوا مجرد ستارٍ لحبك القصة منذ بدايتها، أما الأطفال فلم يتبقَّ إلا ثلاث وتلك منهم.

صرخ فادي مقاطعًا:

- يا إلهي! إذًا أنا ذبحت المسكينة!

- اصمت عليك اللعنة حتى أنهى كلامي! وبعد ذبحها رفضت الملكة لأنها دومًا تحب الدم الذكوري، وبخاصة من نسلنا، وبالتالي لم يتبقَّ إلا دم ابنك.

- اللعنة! ولمَ أنا؟! لم كل ذلك؟! اللعنة عليّ! لمَ بحثت عنكم من البداية، سبحان الله! أنا السبب في كل ذلك.

ابتسم سامح بصعوبة قائلًا:

- هذا قدرك، قدرك الذي أصبح من المستحيل تغييره، هل كنت تظن أيها الغبي أنك من بحثتَ عنا؟! إنك تحت المراقبة منذ سنوات وسنوات في قطر، وبمجرد ميلاد ابنك شريف أصبحت تحت أعيننا طوال الوقت، وبخاصة عندما عجزت عن إنجاب صبي، وبالتالي كان علينا إنهاء عملك.

- يا إلهي!

- نعم، أجبرنا رشيد رب عملك على فصلك وإنهاء تعاقدك في قطر ورجوعك إلى القاهرة، وليس ذلك فقط، بل أيضًا جعلناك تعمل في إحدى المدارس، بل ضيقنا عليك الحال أكثر وأكثر.

وابتسم مرة أخرى قائلًا وهو يضغط بيده أكثر محاولًا إقاف الدم:

- بل صديقك السمج الذي نصحك بالبحث عنا، أنا من رشوته لحثِّك على ذلك، إننا أسوأ مما تتخيل يا فادي.

كان فادي ينظر إليه برعب ولم يصدق حديثه، فأردف سامح:

- لمَ لا تصدقني؟ أأكذب عليك لأرضيك وأنا الذي لم أرضَ عن ابنتي التي ذبحتها والأخرى التي ذبحتها بالخنجر نفسه منذ أسبوعين قبل مجيئك، وكنت ستذبح أنت أو أنا ابنك لمجرد إرضاء جدك...

توقف فادي مرعوبًا من تلك الجملة، قائلًا بفزع:

- جدي!

- انطلق بالله عليك اهرب، نعم فاروق بك هو جدك، فاروق الدهشوري يا فادي.

صمت فادي تمامًا بعد هذه الجملة، وانطلق مسرعًا هذه المرة عن ذي قبل، وساد الصمت عدة دقائق كأن على رؤوسهم الطير، ولم يقطعه إلا رنين هاتف متواصل في الطريق المظلم، أخرج سامح هاتفه بصعوبة وهو ينظر إلى رقم المتصل، وبدأت ملامحه تتحول إلى فزع وهو يسأل فادي وهو يرتعد ولا يزال الهاتف يرن:

- فادي أين هاتفك؟

بحث فادي في جيوبه لكنه لم يجده، فنظر إليه قائلًا:

- يبدو أنني نسيته في التابوت في أثناء خروجي، لماذا؟

فتح سامح مكبر الصوت وهو ينظر في مرآة السيارة على ابتسام وشريف اللذين لم ينطقا طوال الطريق، وأردف وهو يرتعد:

- ألو، من معي؟

لكنه لم يجبه إلا صراخ من الجهة الأخرى:

- أنجدنا يا سامح، أنجدنا بالله عليك، أين فادي؟! لم أجده وهاتفه مغلق، يوجد أشخاص يكسرون الباب علينا وأنا وشريف في خزانة الملابس، كانوا يريدون أخذ شريف لوالده ولكني رفضت وأغلقت الباب وهربت، أنجدنا بالله عليك، سامح!

وسمع الاثنان صوت صراخ وتحطيم، وما لبث أن أغلق الهاتف ودون وعي نظر الاثنان إلى كرسي السيارة الخلفي ليجدا ابتسام وشريف وقد تحولت ملامحهما إلى هيئة شيطانية ثم ضحكت في هيستريا وقد أمسكت برقبة سامح، ووقتها انحرفت السيارة سريعًا بداخل الصحراء وبدأت السيارة في التأرجح يمينًا ويسارًا وسط تلك الضحكات الشيطانية.

* * * * *

كان الطريق ممتدًّا إلى ما لا نهاية، كما رآه زيدان سائق الحافلة العراقي، ما بين بابل وكركوك في الصباح المبكر في هذا اليوم القائظ، فلم يلبث أن خرج من بابل منذ خمسين كيلومترًا، ليقطع المسافة المتبقية حتى بغداد، ليتوقف هناك لاحتساء قهوته المفضلة في ذلك المقهى الشهير ثم استكمال الرحلة التي تمتد إلى أربع مئة كيلومتر وسط الصحراء القاحلة إلا من بعد المناطق المسكونة.

كان السائق العجوز يستمع إلى صوت أم كلثوم الذي أتاه على مذياع صوت العرب وهو يلتفت إلى الركاب الغارقين في النوم تارة، وإلى الطريق تارة أخرى، وإلى هاتفه المحمول كثيرًا.

بدا الطريق مملًّا كئيبًا وهو يسير في رتابة، ثم فجأة مرقت بجواره سيارة سوداء مسرعة دون أن يلمحها، فأمسك المقود سريعًا وحمد الله أنه لم يصطدم بها وركز في طريقه المعتاد، لكنه لمح رجلين يتصارعان داخل تلك السيارة التي بدأت في التأرجح يمينًا ويسارًا، فاندهش أكثر، بخاصة عندما ركز بعينيه فوجد سيدةً وطفلها في المقعد الخلفي. زاد من سرعة الحافلة ليلحق بهما، لكنهما كانا قد اختفيا خلف أحد المنحنيات. ولدهشته، عندما وصل إلى المنحنى لم يجد السيارة، لكنه لمح عاصفة رملية تهب من يمين الطريق، ما جعله يستنتج أنها دخلت إلى الصحراء نتيجةً لفقد السائق السيطرة عليها، فهدأ من سرعة الحافلة واقترب من الرمال، وفوجئ بالسيارة تنقلب عدة مرات على جانبيها.

أوقف زيدان السيارة مسرعًا قافزًا للخروج من الحافلة لمساعدة من بداخل السيارة المحطمة، صائحًا على من حوله وهو يأخذ مطفأة الحريق من تحت كرسيه مهرولًا:

- استر يا ستار.. استر يا ستار.. النجدة، فليتصل أحدكم فورًا بالشرطة والإسعاف.

وما هي إلى لحظات وكان الجميع يهرعون إلى السيارة التي دارت حول نفسها عدة مرات، حتى استقرت منقلبةً ومن داخلها بدأت الأجساد تصرخ للنجدة.

كان الطفل خارج السيارة مكومًا وقد سقط من النافذة، وجاهدت فتاة -بدا أنه ابنها- للزحف إليه في منظر مرعب بعد أن خرجت من نافذة السيارة لتبحث عنه، وهرع إليها الركاب فاطمئنوا عليها وهي تمسك ولدها الذي وقف على قدميه مشيرًا إلى داخل السيارة وقد أجلسهما البعض خوفًا أن يكون أحدهما به كسر ما، لكن أعينهم ظلت معلقة على سائق السيارة ومن بجواره، إذ كانت الدماء تغطيه تمامًا، ثم بدأ يفيق رويدًا رويدًا من الحادثة، ويبدو أنه بدأ في الشعور بما حوله مندهشًا في بداية الأمر، ولم يدرِ ما الذي حدث، فنظر إليهم مندهشًا ومتألمًا وبدأ في التأوُّه.

هبط إلى جوارهم فورًا زيدان مناولًا يده لسائق السيارة، مشيرًا إليه أن يمسك يده محاولًا جذبه إلى الخارج، في حين انبرى آخرون لفتح الأبواب.

تأوه السائق مرة أخرى دون أن يكون لديه القدرة على الحركة، ففهم الرجل أن لديه كسورًا خطيرة، فهب على قدميه محاولًا فتح الباب بكل قوة.

التفت سائق السيارة لمن بجواره عندما شعر أن يده تمسكه بقوة، إذ بدا أنه كان في الرمق الأخير من حياته، فكان الدم ينزف بغزارة من صدره وفمه وجروح كثيرة تغطي أغلب جسده المتقطع، لكنه تحامل على نفسه وأمسك يد السائق قائلًا بصعوبة:

- بالله عليك يا فادي اعذرني، كل ما حدث كان رغمًا عني وعنك، هو ذلك القدر يا أخي، أقسم لك لو كنت أعلم أن الأمور ستتطوَّر إلى الأسوأ، لم أكن لأُشرِكَكَ معي منذ البداية، هي أقدارنا الملعونة يا فادي. سامحني بالله عليك، أنا لست منهم كما تظن، يومًا ما ستعلم أنني مظلوم بصورةٍ ما وأُجبِرت على فعل ذلك، وإن قُدِّر لك الخروج فستجدني تركت لك دليلًا هامًّا سيُجيبك عن آلاف التساؤلات لدى العم مستجير، العم مستجير يا فادي، ولا يعلم أي شخص أنه يملك هذا الدليل، منهم لله.. منهم لله!

وما لبث أن شهق شهقةً أخيرة وهمدت أنفاسه تمامًا، وسط اندهاش فادي نفسه لأنه لم يتذكر أي شيءٍ ولا حتى أين هو.

حاول فادي النطق لكن لم يلبث أن سقط في غيبوبة مرة أخرى وسط صراخ زيدان لإحضار النجدة.

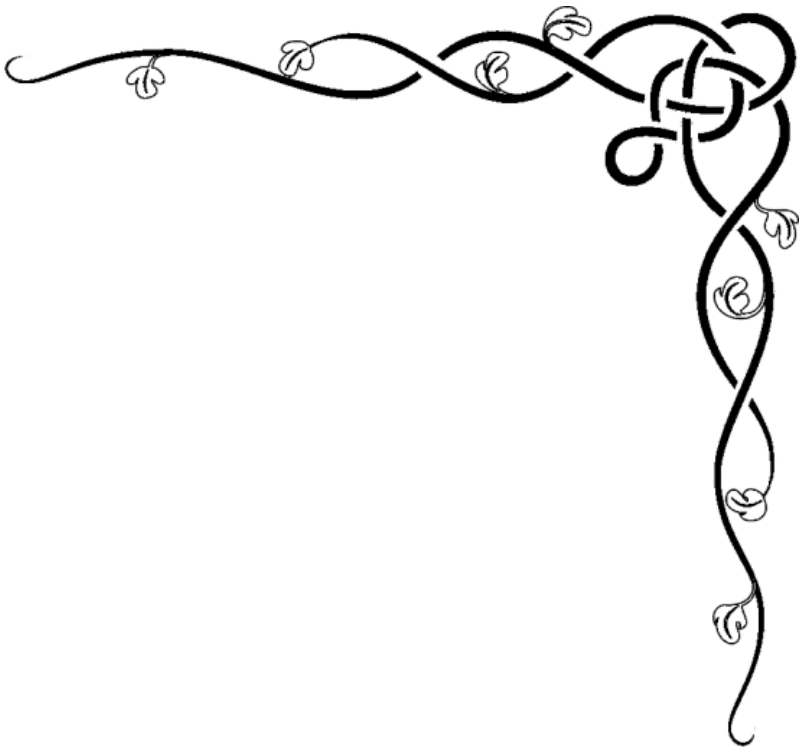

آزهار

بعد مرور عام على الحادثة

بدأت ميريت تنظر بغيظ إلى زوجها المستلقي بجوارها ويتصبب عرقًا رغم برودة الجو لفشله في إرضاء غريزتها الأنثوية كالعادة، رغم أن زواجهما منذ ستة أشهر. أشعلت له سيجارة قدمتها له ببرود، في حين توارى خجلًا وهو يدخنها بعصبية قائلًا:

- لا أعلم السبب، يبدو أن الأمر أصبح لا علاج له يا ميريت.
- لمَ تقول ذلك يا إلياس؟! لا يوجد شيء ليس له علاج، أنت فقط تهمل في نفسك وتذهب إلى ذلك الطبيب الفرنسي الغبي الموجود في الموصل بالقرب من مدرستك، وأخبرتك مئات المرات أن زوج صديقتي طبيب متخصص في مثل حالتك ويستطيع علاجك، وقد وصل إلى بغداد منذ عدة أسابيع والكل أجمَع على مهارته.
- هذا هو الطبيب الخامس الذي يتابعني يا ميري، وهو من أمهر الأطباء في هذا المجال، عملًا بنصيحة صديقي المدرس فؤاد، مع العلم أنه الوحيد الذي أخبرني أن ربما يوجد أمل ما، بعكس من أشرتِ عليَّ بهم قبل ذلك.
- ها.. والحل؟

- سأموت من كثرة الأدوية! انظري إلى جواري، يوميًّا أبلع أغلب تلك الحبوب دون جدوى، تؤثر على ضغطي وعلى عصبيتي، أملًا أن أعود إلى طبيعتي، لكن دون أمل. لقد سئمت! أعلم أن ليس لك أي دخل في ما أنا فيه، ولا أعلم هل حالتي هذه جديدة عليَّ أم ماذا، فهذا لم أفكر به أبدًا، لو استمرت الحال هكذا فعلينا الانفصال، ولن ترفض الكنيسة بالطبع إذا قدمتُ لهم كل تلك التحاليل الطبية والأدوية التي تثبت عجزي، أنا أفعل كل ذلك لكي أرضيكِ، وهذا الموضوع ليس له أي أهمية في حياتي على الإطلاق يا ميري يا حبيبتي.

نظرت إليه ميريت دون أن تنطق وقامت من جواره وارتدت قميصًا شفاف اللون على جسدها وخرجت متأففةً إلى الصالة، أنهى الرجل سيجارته وهو ينظر إلى صورة زفافه مع ميريت بجوار صورة مريم العذراء التي تزين جدار الغرفة.

ارتدى بنطاله وخرج جالسًا بجوارها وهي تشاهد التلفاز دون أن تكترث لجلوسه، فأمسك يدها مقبلًا إياها في صمت قائلًا:

- أتعلمين أنني أعشقكِ وأنت غاضبة؟ لم أرَ في حياتي ذلك الجمال اللبناني غاضبًا من قبل.

- أتتعمد إغضابي إذًا؟!

- لا، أقسم لك. ولتعلمي أنني أشد غضبًا منك، ولكن ما الحل؟ انظري إلى حالنا الآن وحالنا قبل سنوات في حبنا القديم كما أخبرتني، لا تقلقي، سنجد حلًّا، ربما كان عن طريق آخر ولكن بالطبع يوجد حل.

- عن أي طريق تتحدث يا إلياس؟ وهل بعد رأي الطب أي رأي آخر كما تقول؟

- توجد محاولة ما سأسعى إليها في القريب، وإن نجحت فسننتهي من كل تلك المشكلات، أعطني فرصة بسيطة، فقط شهر، وأن لم يحدث أي تحسن فسيكون لنا تصرف آخر.

- حسنًا يا إلياس، سأنتظر، فليس لدي حلول أخرى.

- حسنًا يا حبيبتي، ألن تنامي الآن؟

- لا، سأشاهد التلفاز قليلًا ثم أقرأ ثم أذهب للنوم، ما الفارق إذًا، فلتذهب أنت.

- ولكن ميعاد الكنيسة في الصباح ويجب...

قاطعته ميريت بغضب قائلة بحدة:

- إلياس، أنت لست مبشرًا، أخبرتك من قبل أنني أذهب بمحض اختياراتي ولن تكبلني بالقدوم معك كل أسبوع كما هي عادتك منذ زواجنا، عندما أود الذهاب سأذهب، لا داعي إلى تذكيري أنني خاطئة

وأن تتلو تلك الصلاة يوميًّا على مسامعي بالتحمل وشظف الحياة، وإن ضجرت تقول لي «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات»، وتملأ لي البيت بكل تلك الصلبان والصور، إننا لسنا في كنيسة يا إلياس، فلتدعني وشأني.

اندهش من رد فعلها فبادرها ببرود:

- اهدئي يا حبيبتي، الأمر لم يتعدَّ مجرد اقتراح مني، فلتنامي وقتما تشائين ولن أغصبك بالطبع على المجيء معي غدًا.

اقترب منها مصليًا وممسكًا رأسها قائلًا:

- يباركك الرب ويحرسك، يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلامًا.

قفزت من جواره وهي تنظر إليه بغيظ، فابتسم في وداعة وتركها ليدخل إلى غرفته، فيما بدأت هي في التأفف كعادتها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

في اليوم التالي، أفاق بمفرده وتناول فطوره وتناول عددًا من الحبوب والأدوية ثم جهز حاجياته وهو ينظر إلى ميريت المستلقية بجواره ثم أخذ حقيبته وخرج.

أشار إلى أحد التاكسيات وطلب منه الذهاب إلى إحدى الصيدليات القريبة من مدرسته، فهبط سريعًا ليبتاع دواءً معينًا، ما لبث أن أخرج شريط الحبوب ملقيًا العلبة الفارغة في أقرب سلة مهملات ووضعه في جيبه الداخلي ثم توجه إلى مكان عمله.

كان اليوم مملًّا في المدرسة، فلم يكن لديه سوى الحصة الثانية، وبعد أن فرغ منها تناول جريدة «الصباح» العراقية وبدأ في قراءة العناوين من دون اكتراث، تعالت الأصوات من حوله وبدأ الأطفال يلهون، فنظر إليهم بتأثر وطافت الذكريات في رأسه وبدأ في البكاء دون يلمحه أحد، لكنه تمالك نفسه رغمًا عنه، نظر متوترًا إلى ساعته وابتعد عن صخبهم، فجلس على أحد المقاعد الرخامية الموجودة بفناء المدرسة، لمحه زميله فؤاد الذي كان يمر بالقرب منه، فقال مبتسمًا:

- إلياس.. أين أنت يا رجل؟ لقد توقعت ألا تحضر اليوم مبكرًا لذهابك إلى الكنيسة، ألم تذهب؟

- نعم يا فؤاد، لقد لغيت ذهابي اليوم لأن ميري أصرت على عدم الحضور، وهناك بدأ الجمع يسألني عن السبب، وكل مرة أختلق الأعذار وسئمت الكذب، فآثرت عدم ذهابي وأدعو الله أن يهديها ويشرح صدرها.

ضحك فؤاد مليًّا بعد سماعه تلك الجملة قائلًا:

- يشرح صدرها! أقسم لك يا إلياس أن أحد أفراد أسرتك كان مسلمًا، لا يقول تلك الجملة إلا من رُبِّيَ وسط بيئة إسلامية يا صديقي.

اندهش الرجل من رد فؤاد فأردف:

- لا تنسَ أنني مصري الأصل يا فؤاد، وهناك لا تعلم المسلم من المسيحي، فكل المصريين يتحدثون بلغة واحدة.

- حسنًا حسنًا، أخبرني، هل الدواء له تأثير جيد أم ماذا؟

- لا، هي ماذا... انسَ كل تلك الحبوب والأدوية، سأتجه إلى طريق آخر.

حك فؤاد يده في رأسه قائلًا:

- أي طريق هذا؟

- اصبر، أنت أيضًا في القريب سترى نتائج باهرة. والآن، أليس لديك أي حصص؟

- بلى، سأذهب الآن إلى الفصل، دعني أراك قبل انصرافك.

- حسنًا.

وتركه فؤاد والآخر ينظر إليه بنظرةٍ لم يفهمها حتى غاب عن ناظريه، فنظر إلى ساعته وتمتم:

- أين ذهبت أنت الآخر؟

وبعد نصف ساعة دق هاتفه، فتزايدت ضربات قلبه سريعًا، تأكد أن ليس بجواره أحد، فتحدث بصوت هامس:

- أخيرًا، حمدًا لله على سلامتك. أين أنت الآن؟ نعم، بالله عليك؟! لا أصدق أذني، هذا جميل لن أنساه لك أبدًا... متى سنتقابل؟ يومان! يا إلهي، أسأصبر يومين كاملين؟! لقد تعبت، أقسم بالله تعبت من كل شيء... حسنًا حسنًا، لن أفقد أعصابي كالعادة، سأنتظرك صباح الأربعاء... نعم، لقد حفظت العنوان في بغداد، سيكون كل شيء جاهزًا، أعدك بذلك... نعم، لقد حفظت الطريق جيدًا، من هنا الطريق سهل إليك ونتقابل، إن ركبت التاسعة صباحًا فسأصل إلى بغداد بعد خمس ساعات تقريبًا، وساعة أخرى حتى ألاقيك هناك، وبخصوص المال... انتظر... اسمعني فقط... اصبر بالله عليك... يا سيدي مهما عشت لن أوفيك حقك... دعني أكمل... ولكن هذا حقك... حسنًا سأسكت... جزاكَ الله كل خير، شاكرٌ لك جدًّا.

وأغلق الهاتف وهو يدعو الله أن يكمل موضوعه على خير، وبدأ في إغلاق جريدته ذاهبًا إلى غرفة المدرسين ليلملم حاجياته واستأذن من ناظر المدرسة، وقبل أن يخرج من الباب تذكر فؤاد، فامتعض وجهه وخرج عائدًا إلى منزله.

* * * * *

في تلك الأثناء، كانت ميريت تجلس في سيارة سوداء ركنت في أحد المولات الشهيرة في الموصل، وجلس بجوراها شخص لم ينبث ببنت شفة طوال حديثها، فيما استمرت هي في الحديث بحدة:

- لا أمل، لا يوجد أي أمل، طبيب وراء طبيب وعلاج بعد علاج وأنتم نسيتم أنني بشر أنا الأخرى، وهو ليس منه أي رجاء، فلمَ كان الموضوع منذ بدايته؟! لقد تعبت، وهو أيضًا كلما فشل في إرضائي يفقد أعصابه، وأكاد أجن أنا الأخرى عندما يجلس على ركبتيه ويبدأ في تلاوة صلواته اليومية، وإن اعترضت يلقي عليَّ خطبة دينية عن تحمل الحياة وشظف العيش، ويتلو عليَّ أربع صلوات بعينها، ويكاد يسمعنا إياها ليل نهار حتى أكاد أُجَن، هو لا يعلم أنني لا أؤمن بأي شيء، ولكن كل شيء يدفعني إلى الجنون وأنتم كل ما عليكم.. انتظري، تمهلي، كل شيء سيحل... لقد تعبت!

تحدث الرجل الجالس بجوارها ببرود دون أن يلتفت إليها:

- ثم ماذا؟

- ما الحل؟ هل سأظل في تلك المأساة يوميًّا؟

- هل نسيت نفسك يا ميريت؟ هل ظننتِ أن الموضوع جديد عليك؟ أنت مجرد أداة أيها الحمقاء، فلا تنسي نفسك وتذكري مكانتك جيدًا، وهذه آخر مرة سنسمح لك بإظهار ضجرك، فيكفي ما نحن فيه. والآن اهبطي من السيارة ولا داعي أن نصب غضبنا عليك. أفَهِمتِ؟! ولا

تطلبي مقابلتي للتحدث عن تلك الأمور التافهة مرة أخرى، أخبرتك أن تطلبي مقابلتي في حالة واحدة فقط، أظن أنك تعرفينها.

وأشار إلى سائق السيارة بأن يفتح لها الباب، فهبط مسرعًا ليفتحه وكاد يمسكها من تلابيبها عندما أشار إليه الرجل بأن يقذفها خارجًا، لكنها أومات برأسها في ذعر وهي تهبط من السيارة مسرعة قائلة:

- حسنًا يا سيدي، في القريب.

- حسنًا في القريب، أفهمتِ؟ في القريب. وأرجو أن يكون لديك أخبار جدية تلك المرة.

ولم ينتظر ردها، بل أسرعت السيارة خارجةً من المكان، فيما تابعته بنظراتها وسبابها الذي لا ينتهي.

وفي المساء، تناول الاثنان طعام العشاء، في حين سارع هو إلى أخد دوائه المخفي في جيب جاكيته العلوي دون أن تلاحظه ميريت، التي أتت بتلك الملابس الشفافة كالعادة، وحاول أن يهرب منها لكنها حاولت وحاولت، لكن بقيت علته دون أي جدوى، فتركته وهي تكاد تنفجر لتنام في حجرة أخرى، ثم قام هو إلى دولابه وأخذ يقرأ بعض الأوراق الهامة التي تخصه ووضعها في حقيبة المدرسة، نظر إليها وتمتم بعدة كلمات واضعًا رأسه على الوسادة نائمًا، بعد أن دعا الله كثيرًا أن تمر الأيام القادمة على خير.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مر يومان حتى أتى صباح الأربعاء، تناول إفطاره بهدوء، في حين ظلت ميريت في السرير مستلقية كالعادة، طاف في أنحاء المنزل الذي له معه كثير من الذكريات هو الآخر.

اتصل فؤاد على غير ميعاد قبل أن ينزل إلى الشارع، فأجابه باقتضاب:

- صباح الخير يا إلياس، أين أنت؟

- أنا في المنزل كالعادة.

- هل أمر عليك؟ أنا بالقرب منك.

- لا.

- هيا تعالَ معي في السيارة قبل...

قاطعه بحدة:

- حصتي الخامسة وستبدأ الواحدة مساءً، فلمَ أذهب إلى العمل الآن؟!

- يبدو أنك منفعل يا صديقي، أخبرني، ألم يحدث شيء بينك وبين ميريت أمس؟

حاول الرجل أن يكظم غيظه فتحكم في كلماته قائلًا ببطء:

- بلى، حاولت وفشلت يا فؤاد، سأقص عليك كل شيء عند انتهاء اليوم الدراسي فسنخرج معًا، ها.. ما رأيك؟

- حسنًا، رائع يا إلياس سأنتظرك.

أغلق فؤاد الهاتف متمتمًا بعد' كلمات غاضبة، ثم عاود الاتصال برقم آخر وأردف عدة كلمات في أدب:

- الأمر سيئ يا سيدي، لم يحدث أي شيء، ورأيي الشخصي أن نفعل شيئًا آخر، فالوقت يداهمنا.

وتلقى فؤاد بعض كلمات أغلق على إثرها الهاتف ثم توجه إلى المدرسة، وفي تلك الأثناء، كان إلياس ينظر نظرة أخيرة إلى حقيبته التي وضع فيها جميع أوراقه ثم نظر مرة أخرى إلى ميريت، وأغلق الباب.

هبط إلى الشارع وسار إلى آخره ثم استقل عربة أجرة إلى السوق العام، ومنه تأكد أن لا أحد يراقبه. خرج من الباب الآخر مشيرًا إلى عربة أجرة ليخبره بالذهاب إلى موقف الحافلات في أسرع وقت، وبالفعل بعد عشرين دقيقة كانت السيارة تقف بالقرب من الموقف، فترجل ونظر حوله للمرة العاشرة، ودخل إلى الموقف وأخذ يبحث عن يافطة بعينها حتى وجدها.

«الموصل – بغداد»

انتظر بجوار إحدى الحافلات المتجهة إلى بغداد بعد أن حجز تذكرة، وابتعد عن الحافلة حتى ركب السائق وأدارها، فقفز مسرعًا إلى داخلها وقبع

في أحد الكراسي ناظرًا إلى الركاب، فلم يركب بعده أحد، وتحرك في الطريق الذي سيقطع فيه قرابة أربع مئة كيلومتر.

أغلق الستارة التي بجواره وشرع في النوم، حاول أن ينام لكن حانت لفتة منه إلى رمال الصحراء التي لاحت له بمجرد خروجه من الموصل، فبدأت الذكريات تتداعى أمام عينيه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

كانت الأتربة تتصاعد وبدأ بعض النساء في الصراخ حول السيارة المقلوبة، وبخاصة عندما حاول بعضهم استخراج سامح، لكن في أثناء جذبه إلى الخارج فُصِلت ساقاه بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة، أما فادي فكان يذهب في غيبوبة لعدة ثوانٍ ثم يفيق على أيدي زيدان السائق العجوز بعد أن حشر نفسه بداخل النافذة ليحل رباط فادي، وكلما ذهب في غيوبته كان يوقظه سريعًا مطمئنًا إياه بشفقة.

- لا تخف يا ولدي، ما هي إلا دقائق ويصل الإسعاف، لا تستسلم لغيبوتك، أفق، أفق وساعدني حتى تخرج من السيارة.

وبدأ يجذبه برفق خوفًا من انفجار السيارة، وكلما كان يزحزحه قليلًا يطلق فادي صرخاته، مما دل على أن الكسور أصبحت في كل أنحاء جسده. تحامل زيدان على نفسه أكثر وحمله بعدة أمتار بعيدًا عن السيارة، هرع أحد

الموجودين إلى إعطاء زيدان زجاجة مياه لغسل وجه فادي ومحاولة سقيه بعض رشفات قليلة، وبالفعل شرب بسيطًا، فسأله زيدان واضعًا يده لكتم الدماء التي كانت تنزف من جرح كبير في بطنه:

- أنت حي، احمد الله أنت حي، لا تخف، سيكون الأمر بسيطًا فلا تخف، من أنت يا ولدي؟ ألَكَ أسرة هنا أو معارف أتصل بهم؟

حاول فادي النطق لكنه نطق بصعوبة بينما كان زيدان يصرخ في الموجودين للاتصال بالنجدة والإسعاف سريعًا، همس فادي بصوتٍ واهنٍ في أذن زيدان مشيرًا إلى الجمع من خلفه:

- لا أعلم أي شيء، ولكن... لكن هنا تبدو كانت زوجتي، لا أعلم!

وأشار إلى بعض النساء اللواتي كنَّ يقفن على بُعد يشاهدن الحادثة، ولكن لم يلاحظ زيدان أن أحدهم يقترب أو مهتم بالحادثة، فظن أنه يهذي، فأعاد سؤاله:

- أنت مصري؟ أخبرني إذًا، أين أهلك أو أي جيران أتصل بهم؟ ما اسمك يا ولدي؟

- زوجتي... زوجتي!

نظر زيدان حوله مندهشًا فأردف:

- نعم، كنت أراها في السيارة لكنها غير موجودة الآن، اهتم لأمرك الآن فقط.

ودخل فادي في الغيبوبة مرة أخرى، لكن زيدان ربت على خده برفق حتى أفاق.

- بالله عليك استيقظ...

وصرخ مرة أخرى على الجمع ليتصل أحدهم بالإسعاف، فأجابه أحدهم أنهم في الشارع المجاور وسيأتون سريعًا، وعاد إلى فادي لمحاولة إيقاظه من غيبوبته خوفًا من استسلامه للموت، وأردف صارخًا:

- ابقَ معي ها، ما اسمك يا ولدي؟ من أين أتت؟ أين تذهب؟ هل أستطيع الاتصال بأي شخص يهمه أمرك؟

- لا أعلم، لا أتذكر أي شيء يا سيدي.

بحث زيدان داخل ملابس فادي فلم يعثر على أي شيء يدل على شخصيته أو حتى هاتفه، وصلت سيارة الإسعاف وبدأ المسعفون يقتربون سريعًا من السيارة وفحص جثة سامح، اقترب زيدان من فادي بعد أن وضعوه في السيارة وربت على قدميه قائلًا:

- إن احتجت إلى أي شيء، اسمي زيدان الكوفي، أعمل سائقًا على خط حافلات بغداد - بابل، سأزورك عاجلًا. لا إله إلا الله، لا تخف، إصابتك بسيطة.

نظر إليه فادي ثم سقط في غيبوبة عميقة لم يفق منها إلا بعد مرور شهر في المستشفى العام في الموصل.

لم يتذكر إلا بعضًا من ذكريات الحادثة السوداء التي كانت تطوف داخل عقله في أثناء نومه، فيجد نفسه والسيارة تنقلب به نتيجة إمساك رقبته من امرأة مجنونة كانت خلفه، لكن حتى وجهها لا يعرف، وكذلك الشخص الذي بجواره، حاول أن يتذكر أي شيء دون جدوى، أغلب التفاصيل لم يعرفها أو يعرف أي شيء، وكلما اقترب منه أحد الأطباء ليسأله عن أي شيء لا يجيبه إلا باقتضاب، كان كل جسده يحتوي على كسور، فهناك كسور مضاعفة في الساق وكتفه وقفصه الصدري، ولا يتحرك من السرير إلا بصعوبة بالغة، لكن حاول الأطباء طمأنته بكل الطرق بخصوص ذاكرته وأن ما لديه مجرد فقدان ذاكرة مؤقت نتيجة للحادثة البشعة التي مر بها، حتى تلك الحسناء التي كانت تزوره أسبوعيًّا مع آخر عجوز وتحاول أن تتحدث معه لم يعرفها، لكنها بمجرد حضورها في الآونة الأخيرة كان قلبه يرقص طربًا بعد أن أصبحت تجلس طوال النهار معه لتخبره عن قصة ارتباطه بها، فبدأ في الارتياح لها وأخبرها بكل ما لديه من مخاوف، وكيف ولا وهي حبيبة القلب كما أخبرته بقصة حبهما منذ مجيئه من القاهرة مع

أسرته للعيش في العراق منذ سنوات كثيرة وعمله بإحدى المدارس مدرسَ تاريخ، ثم هذه الحادثة الغامضة التي ألمَّتْ به، وأخبرته أنه كما جاء في تقرير الشرطة فقد وقعت الحادثة بطريق بغداد بعد أن حاولت لصة ركوب سيارته مع شريك لها بحجة توصيلهما، ولكن لسبب ما انقلبت السيارة ومات الشريك دون أن يكون معه أي أوراق، وأما اللصة فقد هربت من مكان الحادثة.

أما اسمها فهي ميريت، خطيبته ميريت، التي كان مجرد ذكر اسمها أمامه يخفف من ألمه، ورويدًا رويدًا علم أن العجوز الذي يزوره أيضًا هو والدها، وهو يعمل في العراق منذ أن نزحوا من لبنان. لم يتذكر أهله أبدًا، فأخبراه أن أهله ماتوا جميعًا في أحد الانفجارات في بغداد منذ بداية الحرب. لم تتركه يومًا هي وذلك القس الذي كان يزوره يوميًّا بناء على نصيحة حماه، لينتهز تلك الفرصة لأنه كان بعيدًا عن الدين، وبالفعل في الآونة الأخيرة بدأ يقرأ كثيرًا في الإنجيل.

مر شهر فاثنان فثلاثة أشهر حتى بدأ يتحرك بصعوبة، لكن كان شيءٌ ما يحلم به يوميًّا، ذلك الطفل الذي يلهو معه في القاهرة وتلك الجميلة التي بدأ يتذكر اسمها، ابتسام.

لكن من هي ابتسام؟ أجابته ميريت باقتضاب وبغيرة أنه مجرد اسم، يبدو أنه لحبيبته السابقة، ضحكا معًا وأقسم لها أنه لم ولن يكون في حياته غيرها.

وفي مساء تلك الليلة وفي أثناء نومه، شعر أن شخصًا ما معه في الغرفة، فحاول أن يصيح على إحدى الممرضات، لكن يبدو أن الكهرباء كانت مقطوعة، فأضاء هاتفه المحمول الذي أتت به خطيبته ميريت، فذُهِل عندما وجد سيدة عجوز ترتدي عباءة بيضاء وعلى رأسها كانت عمامة خضراء تنظر إليه بعينين زرقاوين صافيتين ممسكةً مسبحتها وهي تتمتم ببعض الكلمات التي لم يسمعها وتضع يديها الدافئتين على رأسه متمتمة ببعض الآيات القرآنية، اندهش من وجودها فقال:

- مساء الخير يا أمي، هل أستطيع أن أقدم لك أي خدمة؟ يبدو أنكِ أخطات الغرفة، أخبريني، غرفة مَن تريدين؟ فأنا هنا منذ ثلاثة أشهر وأعرف جميع المرضى والأطباء.

فقاطعته العجوز قائلة:

- أنا أزهار، وتقابلنا من قبل مراتٍ عديدة وأنت.. أنت فادي.

دق قلبه بسرعة عندما همست له بهذا الاسم دون أن يعلم السبب، فقال:

- معذرة! فادي من؟

- ألا تعرف صاحبه؟ ألا تعرف تلك المصيبة التي وقعت بها يا ابن الرشيدي؟ ألم أحذرك من قبل؟!

كانت الأرض تميد به وشعر أن سقف الغرفة بدأ في الاقتراب منه، لكنه تماسك وهو يحاول أن يمسك مخدعه بيديه قائلًا:

- لا أعرف عن أي شيء تتحدثين، أقسم لك، ولكن ومضاتٍ تدور في عقلي وأنت تحدثينني بكل تلك الأسماء، هل تعرفين مَن أنا يا ست أزهار؟ أنا اسمي إلياس.

صرخت أزهار بصوت مسموع شعر معه أنها لحظات فقط وستمتلئ الغرفة بكل المستشفى، لكنها اقتربت منه وهي تهمس في أذنه بعد أن تحولت عيناها إلى اللون الأبيض وهي تشير إلى سقف الغرفة وتبدأ في خط بعض الكلمات:

- أنت في وهم، أنت لست إلياس، أنت لست نصرانيًّا، أنت فادي، مسلم سني، لكن أنت في طريقك إلى الكفر، إنهم يوهمونك أنك مسيحي حتى يحدثوا لك بلبلة ولا تدري ديانتك الأصلية، فتصبح متذبذبًا، وبعدها سيجعلونك تكفر بالمسيحية بعد مدة قليلة ثم يمحوا أي هوية دينية لك، ووقتها لن تكون مسلمًا أو مسيحيًّا أو حتى يهوديًّا،

لأننا جميعًا نعبد الله، أما هم فإنهم يجذبونك لعبادته، إنهم أتباعه يا ولدي، اهرب وإلا سيكون مصيرك مثل مصير الملعون جدك!

- جدي؟!

- نعم.

بدأ في الارتعاد وهو لا يعلم ما الذي يحدث، وفجأةً فُتِح الباب ودخلت فتاة جميلة ومعها طفل صغير ممسكًا بيدها، وبمجرد أن رآه الطفل قفز إلى سريره صائحًا:

- أبي!

- شريف!

قالها فادي من دون وعي، بمجرد رؤية الطفل قفزت تلك الكلمة إلى لسانه، فابتسمت الفتاة واقتربت منه واضعةً يدها على رأسه مبتسمة:

- حبيبي، ستكون بخير، ستُشفى إن شاء الله، اشتقنا إليك كثيرًا، لقد زرناك كثيرًا وأنت في غيبوبتك.

- أنت... أنت...

- ابتسام يا فادي، زوجتك، لا ترهق نفسك، ستتذكر كل شيء.

وضع فادي يده على رأسه وحاول أن يتذكر، وبدأت الأفكار تتدافع داخله، كأن في رأسه من يضغط عليه، لتظهر كلها سريعًا، وبدأ في الصراخ مع تزايد الصداع داخل رأسه، وفجأة لم يجد ابتسام ولا شريف، ولكنه وجد أزهار تمسك جبهته وتميل إلى أذنه قائلة:

- إنهم يخدعونك، إياك أن تُظهِر لأولاد الأبالسة أنك تذكرت كل شيء، كلما أنكرت زادت فرص حياتك، أنت مجرد أداة لإنجاب الذكور يا ولدي، اهرب من إناثهم، اسمع نصيحتي الأخيرة ولو مرة، إياك أن يختلط ماؤك بمائهم، لا تعاشر أي فتاة منهم وإلا كانت النهاية، تظاهر بعجزك، وتلك الأدوية الملعونة، لا تتناول أي دواء من المستشفى.

- لا أفهم أي شيء!

- انهم يريدون محو ذاكرتك لخلق شخصٍ آخر لسبب، وتلك الأدوية تساعدهم على محو ذكرياتك ليُحِلُّوا محلها إلياس، وليس فادي، فلا تتناول أي أدوية هنا مرة أخرى.

- يا ربي! أقسم أنني لا أفهم أي شيء.

- ستفهم، هناك أمر آخر.

- حسنًا، ما هو؟

- سأعطيك طرف خيط سيساعدك على الخروج من هنا، ابحث عن السائق الذي أنقذك قبل موتك.

- العجوز؟

- نعم العجوز، أتتذكره؟

- العجوز... سائق... نعم، تذكرت، اسمه الكوفي، زيدان الكوفي، نعم، في طريق العراق بابل.

- من هناك ستبدأ طرف الخيط، لا تتناول أدويتك ولا تعاشر أي فتاة وإلا...

- حسنًا.

- ولتظل إلياس حتى تحين اللحظة ليظهر فادي.

- ولكن...

- ولكن ماذا؟ هيا إن الوقت يمر.

- أين زوجتي وابني؟

لم تجبه أزهار ولكنها نظرت إليه في حزن قائلة:

- هناك في تلك الاستراحة وبالقرب من مكان دفني، أخبرتك رسالة، هل تتذكرها؟

حاول فادي التذكر فوضع يده على رأسه مغمضًا عينيه محاولًا التذكر، وشيئًا فشيئًا بدأ المشهد يتحول داخل عقله عندما توقفت السيارة في الاستراحة وهو يعدو خلف شريف الذي كان يطارد قطة سوداء، وعندها سمع صوت العجوز، وفجأة تذكر ما قالته وفتح عينيه عن آخرهما وهو يقول:

- نعم، تذكرت! أخبرتِني بتلك الكلمات «سينتهي مستقبلكم، سينتهي عمركم يا سلالة ملعونة بلعنة الخُنَّاس في القريب، وزوجتك ستُذبَح كالبهيمة، مصير ابنك مظلم وأنتم السبب، لعنة آلاف السنوات أيقظتموها يا ملاعين، لعنة الله عليك وعلى آبائك! دماء، نار، حضرة، لعنة، عذاب طول العمر، كفر كفر كفر، الملعونة ابنة الملعون، زيف وخداع وغش، عد إلى بلدك يا ابن الدهشوري، احفظ ولدك في قمقم وإلا...». اللعنة! كل ذلك حدث! كل كلماتك حدثت! ولكن أين ابتسام؟ وأين شريف؟ ولكن...

نظر فادي حوله فكانت الغرفة مضاءة بلونها الطبيعي ولا أثر للسيدة العجوز، دق الجرس لاستدعاء إحدى الممرضات فأتت مسرعة:

- صفاء أخبريني، هل دخل أحد ما إلى غرفتي منذ دقائق؟

- لا يا مسيو إلياس، فأنا في وردية الليل وليس هذا ميعاد أي زيارة.

- هل يوجد أي مرافقين في الغرف التي بجواري؟

- نعم بالطبع.

- حسنًا، هل في إحدى الغرف سيدة عجوز؟

- لا يا مسيو، إن بجوارك غرفة مدام آنجيل وزوجها بعد أن عملت عملية قيصرية، وبعدك بغرفة هناك مسيو إبراهيم وهو يقيم مع ابنه الذي...

قاطعها فادي:

- أيًّا كان، هل مر أحد على غرفتي الساعة الماضية؟

- لا يا مسيو، أنا فقط وأعطيك الأدوية، هل حدث أي شيء؟!

- لا، لا يا صفاء، شكرًا جدًّا، سأخلد إلى النوم، يبدو أنه حلم آخر.

- حسنًا، إن احتجت إلى أي شيء فأخبرني فورًا.

قام مستندًا إلى عكازيه وحلس على أحد المقاعد الموجودة بغرفته ووضع يده على رأسه وبدأت الذكريات كلها تتداعى داخل عقله.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بعد عدة أشهر، تمت مراسم الإكليل فتزوج إلياس بميريت، كما تظاهر بذلك، فبدأ يتحول رويدًا رويدًا إلى ذلك المدرس المسالم إلياس صفوان، المصري الأصل الذي تخرج في جامعة المستنصرية ببغداد من كلية الآداب،

كما أخبروه تمامًا، وظل يتردد على الكنيسة أسبوعيًّا رغم اعتراض ميريت ووالدها، إلا أنه كان يظهر أمامهما أنه لا أمل إلا بالخلاص وعليه أن يتسلح بالإيمان ربما أدى ذلك إلى رجوع ذاكرته.

وعلى النقيض تمامًا، كانوا من وقت إلى آخر يحثونه على ما كتبه الطبيب المعالج له حتى تعود ذاكرته، كما أوهموه، وبالطبع كان يوهمهم أنه يتناول أدويته يوميًّا ويخبرهم أن تلك الومضات البسيطة التي كانت تظهر في عقله بمشهدٍ ما أصبحت نادرة الحدوث.

وكما أوهموه بدأ يوهمهم هو الآخر بعجزه الجنسي، فهم يريدون أن ينجب ذكرًا بأي شكل ليستكملوا ما كان يفعله جده الملعون، وعلى ذلك بدأ في استشارة طبيب آخر ليصف له أدوية تجعله غير قادر على المعاشرة بأي شكل، وسط اندهاش الطبيب، لكنه قدم له ما يريد وقد كان.

كان يشعر أن بين فؤاد وميريت علاقة ما، وخصوصًا أنه أشار عليه بأحد الأطباء المتخصصين في علاج حالات العجز الجنسي، وإمعانًا في تضليلهم ذهب فعلًا إلى الطبيب وأخذ العلاج ووضعه أمام ميريت وتظاهر بأنه يتناوله يوميًّا، فيما كان يتناول الأدوية التي تجعله غير قادر على الممارسة، ونجحت الطريقة رغم مئات المرات التي فشلت فيها ميريت في إثارته حتى بدأت تشفق عليه هي الأخرى عندما كانت دموعه تتساقط لعجزه.

ولا يعلم أحدٌ أن دموعه كانت على زوجته وابنه اللذين لا يعلم عنهما أي شيء ولا يريد أن يتخيل ما حدث لهما في تلك الليلة السوداء.

لكن لماذا الموصل؟ لا يعلم، عديد من الأشياء كانت تثير تساؤلاته التي حاول تفسيرها آلاف المرات دون جدوى، تذكر فرصة سفر ميريت مع والدها، لا يعلم إلى أين، لكنه تحجج بعدم قدرته على السفر معهما، وسافر إلى بغداد ومنها إلى بابل حتى مكان الكامب، وكما توقع تمامًا، لا يوجد أي أثر، لا للكامب أو الموقع، أما ذلك المنزل الملعون فبالطبع لن يصل إليه، فخلال المرتين التي ذهب فيهما كانت السيارة تسير في الصحراء دون أن يحفظ الطريق، لذا فلن يصل إليه أبدًا.

وفي ذلك اليوم، كان عليه البحث عن ذلك العجوز الذي كان السبب في نجاته، وبالفعل وصل أخيرًا إلى موقف الحافلات في بغداد، وظل يبحث عن ذلك السائق، لكنه للأسف لم يجده قط، لكن أعطاه أحد زملائه رقم هاتفه المحمول.

حاول الاتصال به عدة مرات حتى بعد وصوله إلى الموصل، وأخيرًا نجح في الوصول إليه ولم يتوقع تلك الحفاوة من العجوز العراقي:

- يا إلهي! أين أنت يا ولدي؟! لقد بحثت عنك بعد عدة أيام من المستشفى، فأخبروني أن أقرباءك نقلوك إلى مستشفى آخر ولا يعلم

أحد مكانك، لقد استجوبتني الشرطة بمجرد قدومي إلى المستشفى وأخبرتهم بما رأيته. المهم، أين أنت؟ أخبرني كيف صحتك.

- أنا بخير يا عم زيدان، ولكن كنت مدينًا لك بالشكر، والآن كم كنت أود أن تركتني أموت في هذه الليلة، لمَ...

قاطعه زيدان متالمًا:

- لا إلٰه إلا الله! لمَ تقول ذلك يا ولدي؟! إن لكل أجل كتاب، وأجلك ليس الآن.

أجابه فادي ببرود:

- أود مقابلتك يا عم زيدان فهناك عدة تساؤلات أرجو أن تجيبني عنها، ألا تستطيع القدوم إلى الموصل؟

- ياه! إنها بعيدة جدًّا يا ولدي وليست من طرق سفري، ولكن إن سمحت الظروف فسنتقابل بإذن الله، سلني إذًا، ما الذي تود معرفته؟ عن الحادثة، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن قبل ذلك أود سؤالك عن السيارة، فأنت كنت أول الواصلين إلى مكان الحادثة، فهل...

قاطعه زيدان مردفًا:

- أعلم ما ستقوله، إن الأمر يثير حيرتي جدًّا، فالسيارة مرقت بجواري فجأة وكان بها رجل يجلس بجوارك وفي الخلف...

أردف فادي مسرعًا:

- نعم يا عم زيدان، تذكر جيدًا، كانت امرأة في الخلف، أليس كذلك؟

- بلى، هي وطفل صغير، ثم رأيتك أنت ومن معك تتصارعان تقريبًا ثم اختفت السيارة من أمامي حتى وجدتكما في الصحراء، وكنتُ بالفعل أول الواصلين ولم أجد سواكم في السيارة، والأغرب أنك أخبرتني قبل أن تسقط في غيبوبتك أن زوجتك هنا، وعندما نظرت إلى النسوة الموجودات لم تتحرك إحداهن، وعندما سألت من كان معي من ركاب الحافلة، أخبرني أحدهم أنه رأى امرأةً وطفلًا يزحفان خارج السيارة بسلام، ووقفا دقيقة وبعدها اختفيا كأن انشقت الأرض وابتلعتهما، ما الأمر يا ولدي؟!

- الموضوع كبير جدًّا يا عم زيدان، ليس هذا مجال لقصِّه لك، ولكني سأخبرك بكل شيء في حينه، والآن أريد منك خدمة أخرى.

- تفضل.

- في الطريق بين بابل وبغداد شركة مقاولات كانت في الموقع رقم 124 من تقسيم الفتح، تُسمَّى شركة الأصليين لصاحبها فاروق الدهشوري أو أي اسم آخر، هل تعلم عنها أي شيء؟

- لا يا ولدي، لم ألمح هذا الاسم من قبل، ولكن أعرف مهندسين أراهم يوميًّا في الحافلة، سأسالهم لك في أقرب فرصة فربما يعرف أحدهم تلك الشركة، وإن عرفت أي شيء سأتصل بك. أهذا رقمك؟

- لا لا، لا تتصل بي أبدًا، سأعاود أنا الاتصال بك كل يوم خميس، الموضوع هام جدًّا يا عم زيدان.

- أنا لا أفهم شيئًا، ولكن سأبحث لك عن تلك الشركة دون أن أعلم السبب.

- في القريب، في القريب ستفهم كل شيء، ربما استطعت أن أضع حملي على كتفيك، فأنا لم أجد في حياتي إلا كل خذلان.

وبالفعل لم تمض عدة أسابيع أخرى حتى كان زيدان بالقرب من الموصل لأداء واجب العزاء لزميل له، فانتهزها فرصة لمقابلة فادي، الذي قابله في مكان بعيدٍ عن المدرسة لأنه شعر أن فؤاد يراقبه ليل نهار ويوصل أخباره بالطبع إلى الجهة الأخرى، وبعد أن كان اللقاء حارًّا كقريبين لم يلتقيا منذ مدة بعيدة، شعر فادي أنه أزاح عن كاهله الكثير والكثير عندما

أخبره بكل ما حدث له منذ رحيله من قطر، مما خفف عنه ولو قليلًا من الجحيم الذي يعيش فيه.

وللأسف، أخبره زيدان أن الشركة لم يصبح لها أي وجود، وحتى بعد أن سأل عنها لم يدله أي شخص على أي شركة بهذا الاسم، وأصبح كمَنْ يبحث عن إبرةٍ في كومة من القش.

- اهرب يا فادي، اهرب يا ولدي، عد إلى موطنك واخرُج من دائرة الجحيم تلك، كل الأعين عليك، وخصوصًا بعدما أخبرتني أنهم يريدون منك أن تنجب و...

- اهرب؟! إلى أين؟! إن نصف الحقيقة لا تزال وسط الصحراء يا عم زيدان، أأهرب وأترك زوجتي وابني ولا أحد يعرف مصيرهما؟!

- لا أريد أن أكون قاسيًا، لكن ما أخبرتني به وما فعله جدك قبل أن يأمر بقتلك يشير إلى...

وسكت هنيهة، فقال فادي ناكسًا رأسه:

- إن زوجتي وابني قد قُتِلا أشرَّ قتلة على أيدي تلك الجماعة المخبولة، وإن كان، فهل ترى أنني من النوع الذي يمكنه أن يعود هاربًا من مصيره أم ينتظر هنا حتى يجدهم ليذيقهم أشد الانتقام؟!

- وهل انتظارك هنا هو المجدي يا فادي؟ أتظن أنهم سيسمحون لك بالوصول إليهم حتى لو عن طريق زوجتك كما تريد؟!

لم يجب فادي، بل ظل ناكسًا رأسه ثم ما لبث أن بكى بكاءً حادًّا، حاول العجوز التخفيف عنه قليلًا دون جدوى، فهو الآخر يشعر بمرارة فقْدِ الابن، فقد مات ابنُه الطالب في الجامعة منذ عدة سنوات في أحد الانفجارات قبل استقرار العراق الآن. احتضنه متأسفًا وحاول أن يخفف عنه، لكن دون أن يشعر بدأ في البكاء هو الآخر.

وذات ليلة، بعد تلك المقابلة بعدة أسابيع، هبَّ فادي من نومه فجأةً عندما عاد إليه حلم الحادثة مرة أخرى، وتذكر تلك الكلمة التي كان صداها يتردد في عقله كجرسٍ لا يسكت أبدًا، لكنه تذكرها الآن:

«بالله عليك يا فادي اعذرني، كل ما حدث كان رغمًا عني وعنك، هو ذلك القدر يا أخي، أقسم لك لو كنت أعلم أن الأمور ستتطوَّر إلى الأسوأ، لم أكن لأُشرِكَكَ معي منذ البداية، هي أقدارنا الملعونة يا فادي. سامحني بالله عليك، أنا لست منهم كما تظن، يومًا ما ستعلم أنني مظلوم بصورةٍ ما وأُجبِرت على فعل ذلك، وإن قُدِّر لك الخروج فستجدني تركت لك دليلًا هامًّا سيُجيبك عن آلاف التساؤلات لدى العم مستجير، العم مستجير يا فادي، ولا يعلم أي شخص أنه يملك هذا الدليل، منهم لله.. منهم لله!»

وضع فادي يده على جبهته متذكرًا ذلك الاسم الذي قفز إلى ذاكرته سريعًا.

- عم مستجير! نعم تذكرت، ذلك العجوز الذي قابلته في الفيلا وأخبرني سامح أنه يعرف الأسرة، عم مستجير نعم! لكن أي دليل الذي تقصده يا سامح؟ أيكون حلًّا للغز الغامض الذي أبحث عنه؟ أيكون عنده أي وسيلة لأعرف مصير ابتسام وشريف؟

شعر بخطوات ميريت تقترب من الغرفة، فنام سريعًا عازمًا على السفر إلى القاهرة بأي طريقةٍ كان، ولكن كيف والأعين من حوله في كل مكان؟!

وبالفعل، في صباح اليوم التالي في المدرسة، استغل وجوده بمفرده في غرفة المدرسين فتحدث مع عم زيدان ليفكر معه في كيفية الخروج من هنا تنفيذًا لحديثهما السابق، لكنه لم يصرح له أبدًا بموضوع عم مستجير، وكل ما أخبره به هو سماع نصيحته.

انفرجت أسارير زيدان الذي قال:

- الحمد لله، أخيرًا اقتنعت بسفرك! حسنًا، سأدبر لك خطةً للهروب إلى خارج العراق، فالأردن، فمصر، لاستحالة خروجك من هنا بجواز سفرك هذا. لا تقلق ودَعْ هذا الأمر لي، في القريب سأتصل بك قبلها بأسبوع، بعد أن أمهد لك كل شيء.

- حسنًا يا عم زيدان، ولكن كيف؟!

- ليس هذا من شأنك، سأُدبِّر كل شيء، توكل على الله ثم عليَّ، وليأذن الله بما يريد.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

- يا سيد، لقد وصلنا، هيا! هل نمت أم ماذا؟!

أفاق فادي -أو إلياس- على يدٍ تهزه برفق، فنظر إلى صاحبها فإذا هو سائق الحافلة، فنظر في ساعته فوجد أنه فعلًا قد مرت عليه خمس ساعات ونصف دون أن يشعر، اعتذر بأدبٍ للسائق وأخذ حقيبته.

هبط من الحافلة ولم يجد أي شخص بالجوار، وما هي إلا لحظات حتى سمع صوت العجوز يصيح عليه، وأقبل عليه يسلم بحرارة شديدة ثم أخده من يده إلى أحد المقاهي حتى جلسا، وطلب له قهوة مخصوصة، لكن كانت ملامح فادي متجهمة بشكلٍ لم يره العجوز في المرة السابقة.

- ما بك يا ولدي؟

- لا شيء يا عم زيدان، فقط أضع قدمي نحو المجهول مرة أخرى، منذ أشهر طويلة ألحَّت عليَّ زوجتي بعدم السفر، كل ذلك لم يكن لولا أنني أصررت على ذلك.

- قدر الله وما شاء فعل.

- ولمَ يفعل ما يوذينا إلى هذه الدرجة؟! أكُلُّ ذلك من أجل حسن نيتي؟! أكُلُّ ذلك لأنني كنت أسعى إلى رزقي كما يؤمرني؟! هل يكون جزائي أن أفقد زوجتي وابني الوحيد من أجل السعي؟! هل تسمي ذلك عدلًا؟!

- أستغفر الله العظيم يا ولدي، هو لا يُسأَل عما يفعل وهم يُسأَلون.

زفر فادي في ضيقٍ قائلًا بصورةٍ أثارت اندهاش زيدان:

- حسنًا حسنًا، دعنا من أمورك الدينية الآن، ما الحل وقد أصبحت في بغداد؟ هل أنت واثق أنني يمكنني الوصول إلى القاهرة خلال يوم؟

اندهش زيدان قائلًا:

- يوم ماذا يا ولدي؟! إن وصلت خلال ثلاثة أيام فسيكون كرمًا من الله، أنت طلبت أن تكون رحلتك برية، وهي أكثر أمنًا من تتبع خطواتك في المطار، أليس كذلك؟ أتودُّ أي تغيير آخر؟

- بلى، البري أفضل للسفر، ممم حسنًا، خلال ثلاثة أيام، إن تم الأمر على خير، أليس كذلك؟

- بلى، بإذن الله. أنا أنتظر فقط سائق حاوية كبيرة ستركب معه إلى مدينة الرويشد الأردنية، فلتعلم أن الطريق سيكون طويلًا ومرهقًا وسوف تقطعه من هنا أولًا إلى طريبيل، فمعبر الكرامة على مسافة ست مئة

كيلومترٍ تقريبًا، وستصل في الواحدة أو الثانية صباحًا، أنت وعمك فريد.

- سائق الحافلة؟

- نعم، أخبرته أنك زميل ولدي، وسوف تسافر إلى الأردن معه. المهم أنكم ستمشكون تلك الليلة في مكان بسيط هناك في طريبيل، وفي صباح غدٍ إن شاء الله سيستكمل سفره بالحاوية إلى الرويشد الأردنية عن طريق المعبر.

- حسنًا، وصلت إلى الأردن إذًا.

- بعدما تصل إلى الأردن، ستبحث عن أي وسيلة مواصلات إلى العاصمة عمَّان، وهي تبعد قرابة مئتي وستين كيلومترًا، لتصلها مساء غدٍ إن شاء الله، وبمجرد وصولك إلى عمَّان اتصل بهذا الرقم.

- أي رقم؟

أخرج زيدان ورقة مدون عليها رقمان كُتِب تحتهما «الشيخ يوسف المصري»، قرأها فادي ثم وضعها بداخل جيبه مردفًا:

- وصلت إلى عمَّان، أتصل بيوسف المصري، أليس كذلك؟

- بلى، هو من سيقودك إلى مصر في طريق صعب، ولكن أنت تريد كل شيء في عجالة.

- وما مدى صعوبته؟

- حسنًا، ستخرج من عمَّان إلى العقبة بحافلة عادية من موقف الحافلات في عمان.

- ألن أقابل الشيخ في عمان؟

- ركز بالله عليك، أخبرتك أنك ستصل إلى عمان ثم تخبره أنك من طرفي وسأحاول الاتصال به، وعليه توصيلك سالمًا إلى طابا، وسوف يلاقيك في العقبة، أو في أي مكان سيكون، اذهب أنت إلى العقبة، أفهمت؟

- حسنًا فهمت، ثم ماذا؟

- أخبره بمجرد اقترابك من العقبة لكي يستعد لملاقاتك فيها، عندئذ ستقطع الطريق من عمَّان إلى العقبة في أربع ساعات تقريبًا، لأنها مسافة نحو ثلاث مئة وخمسين كيلومترًا.

- يا إلهي!

- لا تتعجب، هناك الأصعب، ولذلك أخبرتك أولًا أن الطريق صعب وأنت لا تريد أي طيران.

- حسنًا.

- سيكون في انتظارك في العقبة يومها أو في صباح اليوم التالي إن لم يكن موجودًا هناك، وعليك سؤاله أين ستبيت ليلتك وهو سيتكفل بكل شيء.

- حسنًا، ومن العقبة إلى أين سنتجه؟

- ستركب الحاوية معه على أنك مساعده، لأن تلك المنطقة هي أصعب ما يكون، ووقتها ستبدآن رحلتكما من العقبة ثم إيلات في فلسطين وأخيرًا طابا في رحلة أخرى شاقة وطويلة منذ البداية، ولكن لا بديل لك، وبمجرد وصولك إلى طابا ستكون في الأراضي المصرية وهذا أقصى ما يمكن أن أقدمه يا فادي.

نظر إليه فادي ولم يعقب، وأومأ برأسه فقط متمتمًا:

- ليس ذلك مهمًّا، المهم أن أصل إلى طابا وأخيرًا منها أدبِّر أمري حتى أصل إلى القاهرة، فهمت.

- وفقك الله يا ولدي، أدعو الله أن أظل في ذاكرتك إلى الأبد.

- أرجو من الله أن أقدر في يوم ما يا عم زيدان أن أوفيك حقك، فلقد تعبت معي منذ البداية، وإنني...

قاطعه العجوز بإشارة من يده قائلًا:

- أنا مشفق عليك من مصيرك! ولكي يطمئن قلبي، بالله عليك، إن كان لديك أي تفكير للانتقام فدعك منه، الانتقام يا ولدي نار تحرق صاحبها قبل الغير، وكل ما أريده أن أطمئن عليك، فليكن ذلك مقابل مساعدتي لك.

- لمَ تقول ذلك أيها العجوز؟! اطمئن، فأنا أريد أن أعيش ما بقي لي من عمري في أمان، ولا داعي إلى أن أبحث بنفسي عن المتاعب.

- أتُقسِم على المصحف أمامي على ذلك؟

توقف فادي هنيهة ناظرًا إلى المصحف الذي أخرجه العجوز من حقيبة سوداء جلدية بجواره، ووقتها دار صراع في عقل فادي، إلا أنه أمسك المصحف بكل هدوء أمام الرجل وأقسم أنه لن يبحث عن شيء أو يسعى إلى الانتقام من شيء، وأن رحيله إلى القاهرة لمجرد الهروب من مسرح الأحداث وبدء حياة جديدة.

وبمجرد انتهائه دخل إلى المقهى رجل عجوز آخر، ما إن رأى زيدان حتى بدأ في التهليل والصياح والسلامات، أشار زيدان إلى فادي قائلًا:

- هذا هو عمك فريد الذي ستسافر معه حتى الأردن، تحمَّلْه يا ولدي، فهو ثرثار لن يُغلِق فمه طوال الرحلة!

- وأنت يا فريد، فلتضع فادي في عينيك، فهو بمثابة ولدي، وأكرمه أشد الكرم، وأخبرنى بمجرد وصولكما إلى الأردن.

ابتاع فريد علب سجائر كان يضعها في حقيبته وابتسم وهو يحيي زيدان مودعًا:

- لا تقلق أيها العجوز، سأعاود الاتصال بك، وبعد يومين سنتقابل في بغداد مرة أخرى حتى نذهب للمهمة إياها.

غمز له زيدان مُحرَجًا فضحك فريد في جزل ونظر إلى فادي:

- لا تقلق، إن عمك زيدان ليس له في الحريم منذ عشرات الأعوام، هو فقط يريد أن يبتاع بعضًا من الحشيش الجيد.

ابتسم زيدان في خجل وهو يدفع فريد خارجًا:

- هيا ارحل أيها الملعون، لم تلبث خمس دقائق وفضحتني! لا تصدقه يا فادي في كل ما سيرويه طوال الطريق، هو كذَّابٌ أَشِر.

لم يعلق فادي، بل كان ينظر إليهما ببرود وتوجه ناحية أحد محلات البقالة ليبتاع عدة زجاجات ماء، وسار مع فريد حتى نهاية الشارع إلى الموقف الواسع، ليشير إلى إحدى عربات النقل الثقيل، قائلًا بود:

- هيا يا ولدي، فلنتوكل على الله.

وقفز في السيارة فاتحًا الباب لفادي الذي صعد إليها دون أن يفتح فمه، في حين بدأ هو في حديثٍ بدا أنه لن ينتهي.

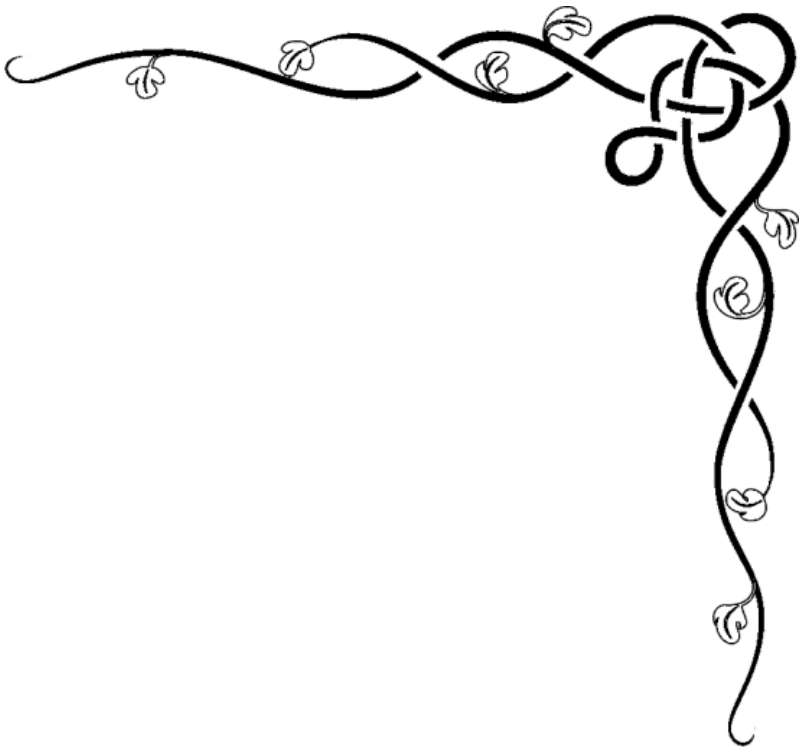

الزيف

يومان كاملان قضاهما فادي في العقبة في أحد الفنادق الرخيصة بجوار محطة القطار، بعد أن وصل أخيرًا إليها بعد رحلة استغرقت ثماني وأربعين ساعة ذاق فيها أشد أنواع العذاب؛ من وعورة الطريق والحر والتوقف كل نصف ساعة، حتى وصل بعد جهد إلى عمان واتصل بالشيخ يوسف الذي أخبره لا يزال للأسف في مكان ما بالأردن يُعبِّئ حافلته تمهيدًا لنقلها إلى مدينة العاشر من رمضان بمصر، ووصف له أحد الفنادق لينتظره فيه حتى ميعاد وصوله بعد يومين. وخلال هذين اليومين قضى فادي الوقت كله في انتظار الرجل وهو على أحر من الجمر، ولم يجد أي شيء يفعله سوى ذلك الانتظار الطويل، حتى أتاه الاتصال أخيرًا بأن الرجل ينتظره في موقف الحاويات فجر غد.

سارع فادي بعدها بمغادرة الفندق والذهاب إلى موقف الحاويات حتى وصل إلى الرجل، كان يقترب سنًّا من عم زيدان، له لحية كثيفة ويرتدي جلبابًا أبيضً يعلوه جاكيت أسود. اقترب الرجل مُحيِّيًا فادي بحرارة شديدة، مخبرًا إياه أن زيدان اتصل به وأوصاه عليه، واعتذر له بشدة عن تأخره لإعداد البضاعة ونقلها، إذ إنه يقوم بتلك الرحلة مرة كل عشرة أيام، ومن حسن حظ فادي أن العطلة ستبدأ بعد تلك الرحلة.

حاول العجوز طمأنته ونادى أحد الشباب فهرع إليه سريعًا غامزًا:

- اسمعني جيدًا يا محروس، هذا السيد فادي، سائق جديد على هذا الطريق، سننقله معنا في الحاوية إلى طابا، خذ منه الحقيبة واتجها إلى الحاوية وأَخْفِه في الصندوق.

انزعج فادي من كلمة الصندوق، فقال فجأة:

- صندوق! أيُّ صندوقٍ يا شيخ يوسف؟

تناول كوب الشاي الذي ناوله إياه محروس وجلس على أحد الكراسي القريبة مستكملًا لفادي:

- سنمُرُّ على الحدود بعد خمسة عشر كيلومترًا إلى مدينة إيلات، أو أم الرشاش كما نطلق عليها نحن، وأيضًا اسمها المرشرش أو إيلاي، وسوف يكون التفتيش روتينيًّا، فأنا أعبر هذا الطريق طوال عشر سنوات وأحفظ كل الجنود هناك.

- فلسطينيون؟

نظر إليه الشيخ يوسف مندهشًا قائلًا:

- للأسف لا، فهي مدينة وميناء إسرائيلي على ساحل خليج العقبة في البحر الأحمر، وهي في أقصى جنوب إسرائيل، بين مدينة العقبة الأردنية من الشرق وبلدة طابا المصرية من الغرب، والحرس بالطبع إسرائيليون،

ولذلك سأجعلك تتخفى في الحاوية حتى نعبر الحدود، بدلًا من يروا أوراقك فنظلُّ في تحقيقٍ ينتهي بتهمة تهريب أفراد.

- هل في ذلك خطورة؟

- ليس كما تظن، فطوال عشرات السفريات لم يشك فيَّ أحدًا، بالإضافة أن التفتيش يكون روتينيًّا، فأنا أنقل موادًّا غذائية لتصديرها من مصر إلى الأردن والعكس، مرورًا بإيلات، فلا تقلق.

- وكم من الوقت سنستغرق حتى سنصل إلى لمصر؟

- ياه! سؤالك مبكر جدًّا يا ولدي، تقريبًا في مساء غد بإذن الله، المهم لا تقلق فالأمر بسيط.

احتسى يوسف الشاي مسرعًا وأشار إلى محروس قائلًا:

- هيا كما أخبرتك يا محروس، وسوف أذهب أنا لإحضار السجائر وبعض الفحم من محل البقالة القريب.

اقترب فادي من محروس قلقًا في بداية الأمر وصعد معه إلى مقطورة السائق، فلاحظ وجود سرير رفعه محروس فظهر من تحته شيءٌ أشبه بالتابوت، فانزعج بعد تذكره أنه كان على وشك أن يقضي مصرعه داخله من قبل. مد محروس يده قليلًا فأزاح حاجزًا خشبيًّا بسيطًّا أفضى إلى أي تابوتٍ آخر به عدة ثقوب من خلف المقصورة، ثم مد محروس يده إليه قائلًا:

- لا تخف يا اسطى فادي، الأمر سهل جدًّا، ربع ساعة فقط حتى نعبر أولاد الأبالسة.

- فلننتظر إذًا قبل المعبر ثم أجلس هنا.

- لا بالطبع، الطريق كله ممتلئ بالكاميرات وربما شاهدك أحد الملاعين.

- وما هذا الصندوق؟

- سجائر وحشيش وبعض زجاجات الخمر الذي نقدمه لهؤلاء الملاعين نظير تسهيل إجراءاتنا سريعًا.

اقترب منهما الشيخ يوسف مشجعًا فادي، فنظر إليهما ثم دخل إلى الصندوق داعيًا الله ألا يلفظ أنفاسه الأخيرة هذه المرة.

- هيا يا محروس، لا نريد أن نتأخر، هيا.

قفز محروس بجوار الشيخ يوسف وبدأت الحافلة في التحرك ناحية الحدود الأردنية، وبمجرد أن مروا بالحدود في سهولة توقفت الحافلة بالقرب من الكمين الإسرائيلي، فهبط الشيخ يوسف مع محروس لفتح الصندوق وختم الأوراق.

كان الشيخ يوسف يضحك مع أحد الضباط الإسرائيلين وهو يختم الأوراق بعدما أشار إليه أحد الجنود بأن الحافلة تحتوي على بضائع فقط، وبمجرد ختم الأوراق أشار يوسف إلى محروس بإشارة فهم معناها، فقفز

ناحية السرير وفتحه أمام الضابط وأمسك الصندوق المحتوي على الهدايا، فتهللت أسارير الكمين بمجرد رؤيته وأشار إليهما الضابط بالمرور، فقفز الاثنان مرة أخرى إلى مقصورة القيادة.

بعد مرورهم بنحو عشرة كيلومترات، فتح محروس الصندوق مسرعًا، فسعل فادي بضيق محاولًا الخروج، فمنعه الشيخ يوسف قائلًا:

- مهلًا مهلًا! الأمر لم ينتهِ، اصبر قليلًا يا ولدي، لمَ الاستعجال؟!
- ألم نعبر الحدود؟ لماذا عليَّ أن أظل في تلك المقبرة؟!
- الحدود المصرية يا فادي، إن التفتيش سيكون دقيقًا هذه المرة، وأنت تعلم الظروف المحيطة، فلا بد من تأكدهم من عدم حمل متفجرات أو شحن مخدرات، هم يعرفونني جيدًا ولكن الأمر مطلوب.
- حسنًا، ولكن ألن يروني؟
- لن يروك لا تخف، اصمت فقط أقل من نصف ساعة، حاول أن تنام بالله عليك.
- أنام! إنني أكاد أختنق هنا.
- لا تنزعج، سأمر سريعًا بإذن الله.

عاد فادي إلى الصندوق مرة أخرى، وبدأ الشيخ يوسف في التحرك ناحية الحدود المصرية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وبعد نحو ساعتين، كانت الحاوية في الطريق من طابا إلى القاهرة بعدما مرت بسلامٍ من النقاط الحدودية، وبعد أن استيقظ فادي من النوم على السرير الصغير الموضوع خلف السائق، أشار إليه محروس أن يأتي حتى يستلقي هو مكانه ليرتاح بعد أن ظل يقود الحافلة قرابة ساعتين كاملتين ولم ينم طوال الليل.

تناول الشيخ يوسف المقود وبدأ في القيادة بعد أن جلس فادي بجواره، ولأول مرة يلاحظ فادي أن المقصورة واسعة، فبدأ ينظر بضجر إلى الصحراء المترامية الأطراف، وكانت إذاعة القرآن الكريم تصدح بصوت الشيخ محمد رفعت في هذا الصباح.

لاحظ الشيخ يوسف شرود فادي فأشار إلى الصحراء متمتمًا:

- لا تتعجل يا ولدي، إن الطريق طويل، وهذه الصحراء المترامية الأطراف تبدو كأنها بلا نهاية، سوف نقسم الطريق أنا ومحروس كما اعتدنا، فدوري الآن حتى السويس، ثم سنتوقف هناك لمدة ساعة حتى

ترتاح الحاوية ونحتسي بعض الشاي والطعام، ثم يعود محروس للقيادة مرة أخرى حتى المصنع في العاشر من رمضان.

وأخرج الشيخ يوسف سيجارة من علبته المعدنية القديمة وقدمها لفادي في حرج قائلًا:

- هذه هي العادة السيئة الوحيدة في حياتي، كم حاولت أن أقلع عنها لكن دون جدوى! كأن تلك الملعونة أصبحت تتحكم في عقلي وقلبي. أتعلم، كاد يتوقف ذات مرة عندما أقلعت عنها يومين، ووقتها هرع الطبيب بنفسه إلى إعطائي سيجارة.

قاطعه فادي كأن الأمر لا يعنيه، قائلًا ببرود:

- عم يوسف، دعنا في الأهم من فضلك، إذًا سنظل في هذا الطريق حتى نصل إلى...

- السويس ثم العاشر من رمضان بعد نحو ساعة ونصف.

- حسنًا، سأهبط هناك وأدبر أمري.

- بإذن الله يا ولدي.

سكت الاثنان، وأنصت فادي لبرنامج في إذاعة القرآن الكريم كان يتحدث عن كيف دَنَت الأرض لسيدنا سليمان وقصته مع بلقيس ملكة سبأ، فأردف فادي في ضجر:

- بالسحر.

نظر إليه الشيخ يوسف متعجبًا ولم يعقب، فلاحظ فادي ذلك فشعر بالحرج، فأردف في محاولة لتخفيف الكلمة:

- أخبرني يا عم يوسف، لا أقصد شيئًا ولكن ألم تُطوَّع الأرض والجبال والطير بسبب سحر سيدنا سليمان؟

- حاشا لله يا ولدي! هو نبي الله، لم يكن أبدًا ساحرًا ولا كاهنًا، تلك الأمور قد خَصَّه الله سبحانه وتعالى بها دون غيره من الأنبياء والرسل، فكل رسول ونبي أعطاه الله ما لم يُعطِ غيره، إلا سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام...

لم يهتم فادي بحديث الشيخ، بل تذكر وقتها كلمة سامح عن سحر سليمان، وكيف كان يخفي أوراق السحر تحت كرسيه، وتذكر اندهاشه وقتها، فحاول أي يفهم أكثر، فأنصت للشيخ يوسف الذي كان لا يزال يكمل:

- السبب في ذلك بعض الإسرائيليات التي خاضت في هذا الأمر وطرق الشيطان، مثل واقعة ذلك الرجل الصالح الذي أشار لقوم سيدنا سليمان بأنه كان يمارس السحر...

قاطعه فادي مسرعًا:

- مهلًا مهلًا! أريد أن أفهم هذا، أيهما خرافة وأيهما حقيقي؟

- يبدو أن الموضوع يهمك يا ولدي.

- ليس مهمًّا كما تتصور ولكن يهمني أن أعرف موضوع ذلك الرجل الصالح الذي زعم بسحر سليمان.

نظر الشيخ يوسف إلى فادي مندهشًا وقال:

- صالح!

أشار إلى «ترمس» شاي كان بجوارهما قائلًا:

- فلتصب لي كوبًا من الشاي الساخن مع هذه السيجارة لأقص عليك ما حدث وقتها.

حاول فادي أن يخفي فضوله قدر المستطاع، فصبَّ كوبين من الشاي فيما أشعل العجوز سيجارته وبدأ ينفث دخانها بهدوء مرتشفًا بعضًا من الشاي، فحثه فادي على الحديث، فبدأ العجوز:

- ماذا تقول سورة البقرة يا فادي.. ها؟

لم يفلح فادي في إخفاء ضجره فتمتم في حنق:

- هذا ليس اختبارًا بالله، إن كان لديك قصة عن هذا الموضوع فلتقصها.

- فلتهدأ يا ولدي، ماذا بك؟! اسمع، قال الله تعالى في سورة البقرة: {وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}[1].

- ثم؟

- حسنًا يا ولدي، نحن نعلم أن الله أعطى قدرات خارقة وقوة وسلطة لسيدنا سليمان، وسخر له الرياح تجري بأمره، وفهم منطق الحيوانات، وكانت تحت إمرته جيوش من الإنس والجن، وكانت الشياطين تخشاه وعاجزة عن إيذائه، وكانت تحترق إذا ما خالفت أوامره، وقد أرسله الله لتبليغ رسالته، وتلك الآية نزلت لنَفْي تهمة السحر عن نبي الله، وأتت كما نعلم لإظهار حقيقة السحر، ولنعلم قصة كُتُب السحر التي كانت تحت عرشه، وعجزت الشياطين عن استخراجها إلا بعد وفاته.

---

(1) سورة البقرة، آية (102).

- عظيم جدًّا، هذه هي النقطة التي أود التحدث فيها عن أوراق سيدنا سليمان، ماذا تعرف عنها؟

- ليست أوراقًا يا ولدي، بل هي كُتُب سحر كُتِبَت من السحر بلغتهم، وإلى الآن فالكتب الأصلية للسحر منشقة عنها.

- كيف ذلك؟

- لتعرف ذلك سأبدأ معك منذ البداية، حتى نزول تلك الآية على سيدنا محمد كان لتبرئة سيدنا سليمان من شُبهة السحر، وهي فتنة أرادها الله لسيدنا سليمان.

- حسنًا، أنا منصت لك، أكمل.

- يقول تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ}، أي اختبرناه بأن سلبناه الملك {وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا}، وقال ابن عباس وسعد بن جبير رضي الله عنهما، إن ذلك يعني شيطانًا. {ثُمَّ أَنَابَ}، أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأُبَّهتِه، ويقال إن اسم ذلك الشيطان «صخر». [2]

- وكيف بدأت تلك الفتنة إذًا؟

---

(2) سورة ص، آية (34): {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}.

- إن سيدنا سليمان يا ولدي كان له خاتَم ملكه، وكان فيه اسم الله الأعظم، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيرًا لاسم الله تعالى، فنزعه يومًا ودفعه إلى جارية، فتمثل لها شيطان في صورة سليمان وطلب منها الخاتم، فدفعته إليه بالطبع لأنها ظنت أنه نبي الله، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي. فقالت له: يا ولدي لقد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبت، لست سليمان. فجعل لا يأتي أحدًا يقول له: أنا سليمان. إلا كذبه، وبدـ يطوف في البلاد لا يصدقه أحدًا عندما يخبرهم أنه سليمان، حتى بدأ الصبيان يرمونه بالحجارة. فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله وعرف أنها الفتنة التي يختبره بها، ووقتها بدأ الشيطان يحكم بين الناس بعد أن جلس يا فادي على كرسي سليمان، فساح سليمان في الأرض وظل الشيطان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان، ومنعه الله من نساء سليمان فلم يقربهن وأنكرنه، وزاد بين الناس الظلم والجور والسحر، فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، وكان سيدنا سليمان يطلب الطعام من الناس فيقول: أتعرفوني؟ أطعموني، أنا سليمان. فيكذبونه، حتى أعطته امرأة يومًا سمكة كبيرة فوجد خاتمه في بطنها، وكان الشيطان قد رماه في البحر، فلبس سليمان الخاتم. سبحان الله يا فادي، فلما لبسه دنت له الجن والإنس والشياطين، وعاد إلى حاله وهرب الشيطان الملعون حتى دخل جزيرةً من جزر البحر، فأرسل سليمان في طلبه وجاؤوا به إليه، فأخذ صخرًا الذي أخذ خاتمه،

وحفر له صخرة وأدخله فيها، وسدَّ عليه بأخرى وأوثقها بالحديد والرصاص، وختم عليها بخاتمه وألقاها في البحر، وقال: هذا محبسك إلى يوم القيامة. سبحان الله، ففتنة سيدنا سليمان يا فادي على هذا النحو هي ما حدث له من سلب مُلكِه، والجسد الذي أُلقِيَ على كرسيه هو الشيطان الذي قعد عليه، وسماه جسدًا لأنه تصوَّر في صورة إنسان.

ضحك فادي ساخرًا وهو ينظر إلى الشيخ يوسف الذي كان يرمقه بغضب قائلًا:

- وهل تصدق أنت ذلك بالطبع؟ أنا لم أسألك عن فتنة سليمان.

نظر إليه الشيخ يوسف غاضبًا قائلًا:

- لديك تفسير الطبري، ابحث فيه أولًا ثم جادلني، معظم التفاسير تؤيد كلامي، وتوجد تفاسير أخرى متضاربة، لكني أقول لك ملخص ما قرأته طوال عمري، ويجوز أن أذكر هذا القَدْر من هذه الرواية من باب الاحتمال وليس من باب الثبوت يا فادي، ولا يخالف هذا عصمة سيدنا سليمان عليه السلام، ولا يخالف أيضًا من كيد الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفًا.

- حسنًا لا تغضب، أكمل فأود أن أعرف موضوع الأوراق، أقصد كتب السحر التي كانت تحت الكرسي.

ابتسم الشيخ يوسف ابتسامةً غريبةً لم يفهم فادي معناها، وأشار إلى بقعة على جانب الطريق قائلًا:

- هناك، سبحان الله، شعرت والله بذلك!

نظر فادي إلى حيث يشير العجوز فلم يجد شيئًا ولم يفهم فقال:

- لا أفهم يا عم يوسف، ما الذي هناك وشعرت به؟

- لا تشغل بالك يا ولدي، سأركن في تلك البقعة، أريد أن أرتاح قليلًا.

- هل أصيح على محروس لتتبادل معه بدلًا من التوقف؟

ربَّت الشيخ يوسف بحنان على مقود سياته قائلًا بابتسامة لم ترُقْ لفادي:

- وهذه المسكينة ألم يَئِن لها أن تستريح هي أيضًا؟!

وبعد دقائق افترش يوسف مفرشًا قديمًا وبدأ يحتسي كوبًا من الشاي للمرة السابعة منذ تحركه، وأشعل سيجارة وأسند رأسه إلى الحافلة وأكمل:

- لما انتُزِع الملك من سيدنا سليمان في تلك المدة التي حكم خلالها الملعون، انطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر، وقالوا للناس إن هذا كلام نبي الله سليمان، ولما رجع سيدنا سليمان يا فادي جمعها ودفنها تحت كرسيه، ولم يكن أحد من

الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي وإلا احترق، وبعد موته تمثل الشيطان في صورة إنسان.

قاطعه فادي فجأةً متذكرًا قول سامح عن ذلك الرجل الصالح الذي أخبر الناس عن أوراق سليمان:

- شيطان؟! إذًا هو شيطان وليس رجلًا صالحًا؟

- نعم بالطبع، أي رجل صالح يا ولدي! لعنة الله عليه، من أين تأتي بهذه الأكاذيب؟! المهم، تشكل ذلك الشيطان في صورةٍ آدميةٍ ثم ذهب إلى جَمْعٍ من بني إسرائيل، فقال لهم: هل أدلكم على كنز لم يسبق لأحدٍ منكم أن رآه؟ أتريدون أن تعرفوا كيف كان سليمان يحكم ويتحكم في الدنيا؟ فقالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي. وذهب معهم فأراهم المكان، فوقف من بعيد وتذكر يا فادي أن كل شيطان يقترب كان يحترق، فاندهش القوم، فقالوا له: لماذا لا تقترب؟ قال: لا، ولكني ها هنا بين أيديكم، لماذا تشعرون أنني أكذب؟ ابحثوا جيدًا، فإن لم تجدوه فاقتلوني. فحفروا فوجدوا تلك الكتب. هل تعرفها؟

- نعم، التي كتبها السحرة في أثناء فتنة سليمان.

- عظيم. وعندما أخرجوها يا فادي، قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يسيطر على الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار فذهب وأذاع في الناس أن سليمان كان ساحرًا وأن هذه كلماته، واتخذت بنو

إسرائيل تلك الكتب وأقبلوا على تعليمها ورفضوا كتب أنبيائهم، حتى بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان وأظهر براءته مما رمي به، فقال سبحانه وتعالى: {وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ}، وقال أيضًا: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ}، وما أكثر الافتراءات التي أصابت سيدنا سليمان، وللأسف نراها في كل مكان حولنا.

واعتدل كمن سيلقي سرًّا خطيرًّا قائلًا:

- هل تعرف العهود السليمانية التي تتداول بين العامة بشكل حجاب للحماية من الجن والشياطين والحسد؟

- نعم، أعرفها.

- حجاب السبعة عهود السليمانية والله يا ولدي خزعبلات وأكاذيب، ووجوده في البيت خطر، فإنه يجلب الشياطين ويبعد الملائكة، كثير منا يا فادي قد ينساق خلف خرافات وخزعبلات دون أن يتأكد من صحتها، ويبني عليها آمالًا وحججًا ترسخ في قلوبهم، وعلى الرغم من عدم تأكدهم منها ينقلونها إلى أصدقائهم ومعارفهم بالصورة التي نراها، والتي تودي بهم في أغلب الأحيان إلى أمراض نفسية، فيعملونها ويشترونها فتُفضِي بهم في آخر المطاف إلى الجنون والمَسّ، فعندما تركب أي وسيلة مواصلات تجد بائعًا له لهجة غريبة يبيع أوراقًا

وكتيباتٍ وهو لا يعرف الضرر الذي ستوقعه على الناس، كأنه أزاح الستار عن سر من أسرار الكون لينقذ به الناس، فيجذب ضحاياه لشراء تلك الكتيبات بقصد أن يكسب المال دون النظر إلى الضحية، هل سيصيبها الأذى منها أم لا أم تغرمهم المال، ومن هذه الخرافات حجاب السبعة عهود السليمانية الذي نال قدرًا من الشهرة، وظن الناس أنه سيُنجِيهم من الشياطين. وكما تأكدنا جميعًا، إن الله عز وجل حفظ كتابه العزيز، إذ قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}[3].

- ولماذا هذه الآية تحديدًا؟ وما علاقتها بحديثنا يا شيخ يوسف؟

- معناها يا فادي أننا نحن نزَّلنا القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأننا نتعهد بحفظه مِن أن يُزاد فيه أو يُنْقَص منه، أو يضيع منه شيء. هو عهد من الله بحفظ القرآن الكريم وآياته، فلا يجوز أن يكون القرآن في صورةٍ إلا بما يليق به كما أمرنا الله، فنلاحظ في السبعة عهود السليمانية أن بعضًا من آيات الذكر الحكيم وُضِعت داخل رسومات وسيوف وطُبِعت بجانبها بعض الأرقام والحروف التي توحي بأنها طلاسم شيطانية. ولكننا لا نعقل ولا يليق ذلك يا ولدي، فالقرآن الكريم لا يستهان به بهذا الشكل، ووضع الآيات الكريمة

(3) سورة الحِجْر: آية (9).

بجوار تلك الحروف هو معصية والعياذ بالله. وهذا أكبر دليل على عدم مصداقية السبعة عهود السليمانية، وكل ذلك من أفعال الشياطين التي تُسخِّر من يتبعها من البشر المخدوعين في السلطان أو الجاه، الشيطان يغويك لكي يفعل كل ما هو ضرر لك، وكم من مهازل ارتُكِبت استهزاءً من الصنف الآدمي الذي فضله الله عليهم. الشيطان لديه القدرة على نقلك إلى عالم آخر غير الذي تعيش فيه، ونقل صورة مزيفة تمامًا لما حدث أو يحدث أو سيحدث لك حتى يخدعك، هو يلعب دومًا على عقلك يا فادي، فحذارِ يا ولدي من تصديقه، حاذرِ!

لم يجب فادي، بل نظر إلى ما لا نهاية قائلًا:

- وأنا أيضًا يا عم يوسف، في كل خطوة كان الجميع يستهزئ بي.

وطاف في عقله ذلك الشيطان الذي قُيِّد إلى الأبد، فأردف:

- أخبرني يا عم يوسف، أين صخر الآن؟ بالطبع مات.

- بين الجن والشياطين فرق، فأنا أعلم أن عمر الشياطين أضعاف عمر الجن، ولكن يا ولدي بالنسبة إلى أعمارهم وما إذا كانوا يعيشون آلاف السنين أو عشرات الآلاف فإن ذلك من الأمور الغيبية التي لا يصح الكلام فيها إلا بدليلٍ من الكتاب والسنة، ولم نقف على شيء من ذلك.

سمع الاثنان صوت محروس وهو يغلق الباب من الناحية الأخرى، فانتظراه، لكنهما سمعا صوته بطريقة لم يعهداها منه، إذ قال دون أن يظهر:

- ولمَ أخبرته أيها العجوز؟! ألا تعلم أن آلافًا من الغيبيات لا يجب أن يعلمها ذلك الغبي؟!

نظر الاثنان برعب إلى محروس، الذي ظهر خياله وهو يقترب زاحفًا على يديه وقدميه، فرجع فادي بظهره فجأةً، في حين لم يتسنَّ للعجوز الهرب من محروس الذي بدا بملامح مختلفة تمامًا، كأن شياطين الأرض تلبسته، فاستسلم لأمره، وجثم محروس فوق صدره ضاحكًا بهيستريا وهو ينظر إلى فادي مادًّا يده قائلًا:

- هل ظننت أنك هربت مني أيها الغبي؟! سأجعلك أنت من تتمنى ملاقاتي. انظر، بسببك ماذا فعلت في كل من ساعدك، نحن قتلاك أيها الغبي!

ارتعد فادي من صوت ووجه محروس ويده التي كانت تكتم أنفاس الشيخ يوسف، فصرخ بعد أن اكتشف أنه غير قادر على التحرك وتيبست قدماه في الأرض كأن شياطين الأرض التصقت بهما، وشعر أنه في طريقه إلى الموت هو الآخر.

فصرخ فادي في يأس:

- انتظر، ماذا فعل المسكين؟!

- مسكين! كلنا مساكين وسنموت بسببك، زيدان ذلك الكلب كان يجثم فوق قدمي كي لا أذبحه، وهذا العجوز أيضًا.

نظر فادي والشيخ يوسف إلى محروس الذي أخرج الخنجر الذهبي الذي يحفظه فادي عن ظهر قلب وبدأ يمرر النصل ببطء على رقبة العجوز حتى نحرها تمامًا، فتركه محروس يرتعد ارتعادته الأخيرة لينزف ما تبقى من دمائه، واضعًا يديه على رقبته دون جدوى، مُصدِرًا ذلك الخواء الذي يخرج من رقبته المنحورة، وما هي إلا لحظات حتى همدت أنفاسه تمامًا.

اقترب محروس زاحفًا من فادي الذي أغمض عينيه برعب وشعر بأنفاسه الحارة على وجنتيه تتشممه، وبدأ يتحرك حوله، فلم يجرؤ فادي على فتح عينيه متوقعًا نحره هو الآخر، لكنه فتحهما على اتساعهما عندما سمع صوت الخوار نفسه ومحروس يلفظ أنفاسه الأخيرة تحت قدميه.

تحررت قدما فادي فجأة، لم يدرِ ماذا يفعل، كان عليه الهروب فورًا لكنه تذكر أوراقه في المقصورة.

نظر من حوله فلم يلحظ أي سيارة في الطريق، فأمسك قدمي محروس وجرَّه ليجاور العجوز حتى لا يلمحه أحدهم في أثناء هروبه، وقفز إلى الداخل وبحث عن أوراقه حتى وجد حقيبته الصغيرة فأخذها. نظر إلى العجوز المسجى في دمائه ولم يعلم كيف يتصرف، إن ظل معهما فسوف

يُتَّهَم بأي شكل، وبالطبع لن يصدقه أحد لو روى ما حدث منذ دقائق، وإن تركهما فستأكلهما الذئاب بالطبع، نظر إلى نقطةٍ ما بجوار السيارة وأردف بتهكم:

- سأتركهما بالطبع.

اقترب من العجوز ومد يده إلى جيبه الداخلي وأخذ ما لديه من نقود، ثم نظر حوله وبدأ في التحرك ناحية طريق القاهرة، ظل يسير طويلًا طويلًا حتى توقفت سيارة نقل صغيرة لتقله، وما هي إلا دقائق حتى كان في الطريق إلى القاهرة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

كانت الشمس قد غابت منذ مدة وأسدل الليل ستاره عندما هبط فادي من سيارة أجرة أقلَّتْه إلى ناصية شارعه، فهبط مختبئًا خلف إحدى السيارات دون سبب، فقد بدا متوترًا بعد أحداث القتل التي مرت أمامه منذ عدة ساعات، وليتأكد أنَّ لا أحد يتبعه، فقد أصبح لديه وسواس تجاه كل من يمر بجواره أنه يريد به الأذى. ولما تأكد أنه لا يوجد أحد، هرع سريعًا إلى باب عمارته، فوقف قليلًا وقد تزايدت دقات قلبه، فهناك كانت تسكن حبيبته وابنه الوحيد وقد فقدهما إلى الأبد، وحانت منه التفاتة إلى نافذتهم فوجد الضوء يخرج منها، تذكر ذلك الوقت عندما كان يجمعهم ذلك المكان

وهذا الوقت تحديدًا مع عودته من أحد الدروس الخصوصية التي كان يعمل بها، وبدأ في قلبه وعقله السؤال الوجودي:

- لو... آهٍ لو سمعتُ نصائح ابتسام! آهٍ لو كنا رضينا بالقدر ولم نبحث عن الميراث! آهٍ لو كنت أطعتكِ وعدنا إلى أهلك في قطر!

أطلق تنهيدةً حارةً ونظر إلى ساعته، كانت تقترب من السابعة والنصف مساء، صعد إلى شقته في الطابق الأخير بخطوات متثاقلة حتى وقف أمام الباب، مد يديه بتلقائية إلى جيب بنطاله لكنه بالطبع لم يجد مفاتيحه، اقترب من باب عداد الكهرباء ليفتحه آخذًا مفتاحًا احتياطيًّا اعتاد أن يضعه هو زوجته هنا بعد أن تكرر نسيان المفتاح بالداخل.

وضعه في الرتاج، لكن لدهشته لم يجده مغلقًا بالكامل، لمع عقله بفكرة مجنونة، لكن سرعان ما هز رأسه نفيًا ليطردها بلا رجعة.

فتح الباب ودخل سريعًا إلى الصالة التي كانت مضاءة هي الأخرى، رفع حاجبيه في دهشة، فالشقة كانت نظيفة كأنها لا تزال مسكونة، وبخاصة عندما تصاعدت رائحة إعداد طعام، اقترب على أطراف أصابعه من المطبخ لكنه وجد ما عجز عقله عن استيعابه.

كانت ابتسام تقف بكامل هيئتها مولية ظهرها إليه وهي تضع بعضًا من ملح الطعام في القِدر الذي كانت تُسوِّي فيه اللحم، ثم تتذوق بطرف

ملعقتها، وكل ذلك وهو متجمد من الفرح والرعب والدهشة وكل ذلك في شعور واحد.

- أيكون كل ذلك...؟!

قطع حبل أفكاره فجأة صراخها عندما هوى إلى أذنيه كسر شيء في الداخل، لتخرج مسرعة دون أن تلمحه من خلفها:

- شريف! ماذا حطمت أيها الغبي؟!

همس لنفسه في فرح:

- ابتسام حية؟ شريف حي؟ يا ربي هل أحلم؟!

هرع هو الآخر خلف ابتسام إلى غرفة شريف الذي وجده يقف ملتاعًا بعد أن كسر كوبًا زجاجيًّا كان على طرف مكتبه، فيما وقفت ابتسام تصرخ فيه وهي تلملم ما بقي من زجاج على الأرضية.

- ابتسام!

قالها فادي بمزيج من الحب والرعب والفرح والتمني، لكن لم تلتفت إليه، واستمرت في الصراخ في وجه شريف:

- أخبرتك ألف مرة، عندما تنتهي من شرابك فعليك وضع الكوب في المطبخ بدلًا من إهمالك. أرأيت عاقبة عملك أيها الغبي؟!

كرر مرة أخرى وهو يقترب منها:

- ابتسام، حبيبتي!

شعر أنها لم تسمع صوته، إذ استمرت:

- أصبحتَ صورةً طبق الأصل من أبيك، لقد تعلمت منه الإهمال والصراخ والعند، هيا أعطني هذا الكيس لأضع فيه بقية الزجاج.

هرع شريف إلى إعطائها كيسًا كان بالجوار، وبدأت تضع فيه ما تبقى من الكوب وهي تمسح الأرض بقطعة قماش قديمة، في حين بدأ فادي يفقد أعصابه، فصرخ دون وعي حتى تسمعه للمرة الأخيرة:

- ابتسام!

تردد صوته في الغرفة دون أن تسمعه زوجته أو شريف، فيما أردفت:

- عليك الانتهاء من واجبك قبل أن يعود والدك، أعلم أنك جوعان ولكن ما هي إلا دقائق وسوف يكون هنا، فها قد اقتربت من السابعة والنصف.

تناهى إلى أسماعهما صوت باب الشقة يُغلَق وصوت يصيح عند الباب:

- شريف، ابتسام، أين أنتِ يا حبيبتي؟ إنني جوعان جدًّا!

ذعر فادي عندما سمع ذلك، لكن ذعره تحول إلى دهشة عندما نظرت ابتسام إلى باب الغرفة، مكان وقوف فادي، ولم تلتفت إليه، في حين هرع شريف عدوًا إلى الخارج ولم يقترب منه أو ينظر إليه من الأصل، وأجابت ابتسام بصوتٍ عالٍ:

- حبيبي، دقيقة فقط، أنا هنا.

ووضعت الكيس في سلة مهملات كانت بجوار المكتب وخرجت من الغرفة فجأة، وقتها عبرت فادي كأنه هواء أو كأن لا وجود له، حاول أن يمسكها لكنه كمن كان يمسك طيفًا أو هواء، استند إلى حافة الباب وبدأ في الطرق عليه، فسمع تلك الدقات الخشبية تصدر من كفه يده، فلم يفهم أكثر، توقف دقيقة غير مستوعب ما حدث وخرج إلى الصالة ليرى من القادم، لكن دهشته تحولت إلى رعب بمجرد رؤية من القادم، فلم تقوَ ركبتاه على حمله، فاستند إلى الجدار هابطًا على الأرض واضعًا يده على رأسه وبدأ في التربيت عليها وهو يبكي.

فقد رأى سامح وهو يُجلِس شريف على ركبته، فيما كانت ابتسام تتحدث معه عن كيف قضت يومها.

تمالك فادي نفسه وبدأ يقترب منهما واضعًا يده على أذنيه، فلم يقوَ على سماع كلمة «أبي» وهي تخرج من فم ابنه الوحيد إلى سامح، أو زوجته وهي تضع قبلةً حانيةً على وجنة سامح.

سامح الذي لقي مصرعه أمام عينيه في تلك الحادثة القاتلة، حانت منه التفاتة إلى تلك الصور المعلقة على الجدران، التي جعلته يفتح عينيه عن أخرهما دهشةً، فقد وجد صورة زفاف كل من سامح وابتسام، وصورة أخرى مع والدته وهو يقبل يديها يوم تخرجه، وصورة ثالث مع والدته وابتسام وهو وشريف الرضيع جالسًا أمامهم.

اقترب فادي منهم محاولًا لمس ابنه لكن يده بدلًا من أن تمسك كتفه أمسكت الكرسي، حاول أن يجرب طرقًا أخرى فسمع صوت طرقه، لكن لم يسمعه غيره، أمسك فازة كريستالية كانت على المنضدة وهوى بها إلى الحائط، فتهشمت إلى ألف قطعة كما شعر، لكن بعد ثانية واحدة رآها مرة أخرى على المنضدة، كرر ما فعله مرات ومرات وهو على وشك الجنون، وفي كل مرة كانت الفازة تعود مرة أخرى إلى مكانها.

هوى جالسًا على الكرسي الموجود في الصالة وهو يرى أسرته في أحضان سامح الذي تحول اسمه دون أن يفهم إلى فادي، ومهنته إلى مدرس، بل رأى ابتسام تقص عليه حرفيًّا ما كانت تقصه عليه من قبل، حتى تلك الذكريات مع عمتها، تلك القصص التافهة سمعها طوال الليل وسمع إلحاحها بالطريقة نفسها بالعودة إلى قطر، والمرعب أن سامح كان يجيب بإجاباته نفسها التي حفظها فادي عن ظهر قلب.

أغمض عينيه وشعر أن الأيام تدور وتدور مع إشراق الشمس والليل الذي أتى مسرعًا وبدأ الجميع يتحركون في سرعة شديدة، ثلاثتهم أمامه في الشقة وهو متيبس على الكرسي، كأن الأيام تمر وتمر ويتحرك الزمن إلى الأمام وتمر، حتى توقف فجأة.

حانت منه التفاتة إلى ساعة الصالة الكبرة فوجدها تشير إلى ميعاد السابعة والنصف، ولكن في تلك المرة كانت أصوات صياح في الشقة مع تحطم بعض الأثاث، فقام من جلسته ليجد سامح وهو يقوم من جوار ابتسام التي كانت في السرير وتنزف من أنفها ثم تقوقعت على نفسها وهي تبكي بحرقة من آثار الضرب الذي بدا على جسدها العاري، حاول فادي أن يدافع عنها دون جدوى.

سمعها تتحدث بلغة غريبة لم يفهمها على الرغم من أنها عربية، والآخر يرد عليها بالطريقة نفسها وهو يستشيط غضبًا، فهم فادي تلك اللغة بأنها العربية ولكن الحروف مقلوبة دون سبب، كانت كل الدوافع تؤدي إلى الجنون المطبق، وبخاصة عندما هرع شريف من غرفة نومه على صوت صراخ ابتسام، فهوى عليه سامح بلكمةٍ ألقته أرضًا، وكالعادة بدأ فادي يكيل لكمات إلى سامح مدافعًا عن أسرته، لكنها لم تصل إليه أبدًا.

قام خلف سامح الذي بصق على ابتسام وخرج مسرعًا إلى المطبخ وسط صراخ فادي الذي توقع بالطبع ما سيحدث، وفزع أكثر عندما رأى سامح

يفتح أحد الأدراج ليخرج منها ذلك الخنجر الذهبي الملعون ويعود مرة أخرى إلى الغرفة، ليمسك شريف وسط رعب ابتسام وفادي الذي كان يحاول منعه مرات ومرات يائسًا، فبدأت ابتسام في اللطم والصراخ وهي تنقض على ذراع سامح الذي بدأ يحرك النصل على رقبة شريف، فبدأ في الانتفاض وهو ينزف بعد أن نحر رقبته، لم تتحمل ابتسام ما حدث فهوَتْ مغشيًّا عليها.

وقتها ابتسم سامح ناظرًا إلى فادي ثم أردف:

- انظر!

أمسك ابتسام من رقبتها كما يمسك ذبيحة، ثم أردف لفادي:

- ليست الأخيرة!

ثم تركها بعد أن نزع رأسها بالكامل ليلقيه على الأرض، وسط صراخ فادي وابتسامة سامح التي بدأت في الاتساع وهو جالس على الأرض بجوارهما ويضحك ويضحك بصوتٍ عالٍ كاد ينفجر معه رأس فادي.

حينها دوت في أذنيه كلمة العجوز من قبل، كأنها أجراس تكاد تنفجر داخل رأسه:

«سينتهي مستقبلكم، سينتهي عمركم يا سلالة ملعونة بلعنة الخُنَّاس في القريب، وزوجتك ستُذبَح كالبهيمة، مصير ابنك مظلم وأنتم السبب، لعنة آلاف السنوات أيقظتموها يا ملاعين، لعنة الله عليك وعلى آبائك!»

اقترب منهم في يأس قاتل وبدأ يحرك يديه عليهما ناظرًا إلى سامح الذي بدأ في التلاشي رويدًا رويدًا، ووقتها بدأ فادي يحس بجسد ابتسام، وفجأة اختفى سامح وأصبح فادي مكانه وفي يده ذلك الخنجر والدماء تغطي ملابسه هو، كأنه من فعل هذه الجريمة منذ دقائق.

انفجر فادي في الصراخ والعويل وقفز من جوارهما وهو يجري في أنحاء المكان دونما وعي، وهرع إلى الحمام ليغسل يديه والخنجر، وكلما غسلهم كانت الدماء تتدفق من يديه مرات ومرات، واستمر على هذا الوضع قرابة عشرين دقيقة، وقلبه يكاد يتوقف فزعًا. ألقى بالخنجر على الأرض ثم تناول منشفةً وعاد سريعًا إلى الخارج، لكن لدهشته لم يجد أي شيء.

كانت الشقة يملأها التراب، والأضواء مغلقة، ورائحة الجو الخانق تملأ المكان، نظر حوله ثم إلى ساعته التي كانت تشير إلى السابعة والنصف، ومفتاح الشقة في يديه والباب لا يزال مفتوحًا، كأن كل ما مر عليه من أحداث، صار خلال تلك الثواني بمجرد فتحه الباب.

ألقى بجسده إلى أقرب كرسي وهو يتنفس بصعوبة ويشعر أن أنفاسه تكاد تنتهي، وبمجرد جلوسه تصاعدت رائحة الطعام في المطبخ مرة أخرى، فلم يتحرك، وما هي إلا دقائق حتى وجد سامح يدخل من باب الشقة ويصيح أمامه بالطريقة نفسها.

– شريف، ابتسام، أين أنتِ يا حبيبتي؟ إنني جوعان جدًّا!

وقتها أقسم أنه لن يبيت ليلةً في شقته، وهرع إلى السلم ليهبط سريعًا كأن شياطين الأرض تعدو خلفه، وبخاصة عندما رأى ابتسامةً على وجه سامح وهو يخرج مسرعًا من الشقة.

توقف قليلًا ليلتقط أنفاسه في أثناء صعود جاره إلى الدور الثاني، فوقف الأخير عدة ثوانٍ وهو ينظر إلى فادي الذي كاد يُصاب بأزمة قلبية بسبب كل ما رآه، فاقترب منه سريعًا ساندًا إياه قائلًا:

– أستاذ فادي، خيرًا؟ ما بك؟!

حاول فادي أن يتحدث، لكن قلبه كان يؤلمه بشدة، فجذبه الرجل إلى الداخل مجلسًا إياه على كرسي الصالون، ودخل سريعًا لإحضار كوب ماء وناوله لفادي الذي شربه وبدأت أنفاسه تهدأ، فقال الرجل:

– حمدًا لله على سلامتك، أين كنت يا رجل؟ هل أنت أحسن الآن؟ هل أستدعي لك طبيبًا؟

نظر فادي حوله وعرف جاره السيد عبد الله، فهو كان يراه يوميًّا في صلاة الجمعة وله معه كثير من الذكريات الطيبة، فربت على يده في حنان وقال:

- شكرًا يا أستاذ عبد الله، مجرد أزمة بسيطة.

- الحمد لله، متى وصلت من العراق؟

- منذ عدة ساعات.

- حسنًا اهدأ، ساجعل والدتي تجهز لنا بعضًا من العشاء الساخن، فبالطبع شقتك ليس بها أي طعام.

- لا لا، لا تشغل بالك، سأنزل لأبتاع بعض الأشياء، لا أريد أي قلق.

- ماذا تقول يا رجل؟! أقسم لك أنك لن تنزل إلا بعد أن نتناول العشاء معًا، نحن جيران يا أستاذ فادي، والنبي عليه الصلاة والسلام أوصى على سابع جار، انتظر من فضلك.

وقام من الصالون مناديًا أمه ليخبرها أنْ لدينا ضيوف على العشاء، حاول فادي أن يهدأ ويتنفس ببطء حتى تمر تلك الأزمة التي شعر قلبه بها.

وجد السيدة العجوز ترحب في المطبخ وهي تستند إلى عصاتها الخشبية.

- فادي، أهلًا أهلًا ونِعمَ الجيران، أخيرًا، كنت أود تعزيتك بعد وفاة زوجتك لكنك هربت ولم نعرف لك أي طريق.

كانت السيدة تقترب من خلف الباب الزجاجي وصوتها يقترب من الصالون، حتى فتحت الباب ووقفت في منتصفه قائلة:

- لقد اشتقت إليك يا فادي!

شُلَّ فادي تمامًا عندما وجد أمه هي من تحدثه وتبدأ في التحدث بتلك الكلمات المقلوبة، ثم رمت عصاها وبدأت في التحرك ناحيته على يديها وقدميها كالكلب المسعور، وبمجرد أن اقتربت منه بدأت في شمشمته، لم يقدر على الحركة أو التحدث، هي فقط من جلست بجواره وبدأت في الحديث:

- أنت لا تحلم، أنا والدتك يا فادي، أنا فدوى، أنا لم أمت، لقد دفنوا أحدًا غيري، وقد بحثت عنك حتى وجدت بيتك، وعندما سألت عنك أخبروني أنك هربت، وآواني هذا الرجل الطيب، أتعلم لماذا هربت يا فادي؟ لقد هربتُ يا حبيبي بعد أن ذبحتَ زوجتك كالبهيمة، كما أخبرتك تلك العجوز ذات يوم، وابنك شريف أيضًا، ثم هربتَ بعد أن كسر الجيران باب الشقة ووجدوك على تلك الحالة بعد أن سمع الجميع صراخ زوجتك وابنك، لمَ قتلتهما يا فادي؟! ابتسام كانت طيبة، وابنك، ربما علمت...

واقتربت أكثر وهي تضع فمها بالقرب من أذنه وتهمس:

- ربما علمت أنه ليس ابنك من الأساس يا فادي! لقد هزأت ابتسام بك، هل سألت نفسك يومًا لمَ لا يشبهك يا حبيبي؟ هو ليس من صلبك، أتعلم من أبوه؟ هو مديرك في العمل، السيد رشيد. أنت عاقر يا ولدي، لن تستطيع أن تنجب أطفالًا، فلتسأل ميريت، اسأل ميريت... أتعلم يا فادي أين الرجل الطيب الآن؟ هو في الداخل يتحدث مع امرأة عجوز، وهي تخبره بضرورة إبلاغ الشرطة عنك، وكيف لا وأنت من قتلت زوجتك وابنك، هيا يا فادي، فلتسرع ولا تدعه يخبر الشرطة، سيعدمونك يا ولدي، هيا هيا، إنني أنتظرك هنا.

نفض فادي تلك الأفكار من رأسه ونظر إلى أمه فوجدها تشير إلى الباب المغلق في آخر الرواق، فقام على أطراف أصابعه ثم نظر ناحية الباب الموارب، فوجد عجوزًا تهمس في صوتٍ ضعيف:

- لا يا عبد الله، ليس لنا شأن يا ولدي، فلتدعه ينصرف، أي عشاءٍ لهذا القاتل؟!

- يا أمي، إن الرجل قتل زوجته وابنه وهو ليس في قواه العقلية، سأجعله ينتظر حتى تأتي الشرطة وهي التي ستتصرف معه. علينا أن نساعده، وليس طرده في الشارع، فلتجهزي أي طعامٍ فقط وأنا سأتصل بهم مرة أخرى، لا أدري لمَ لا يجيبون.

دفع فادي الباب فجأة، فوقف أمام الاثنين فتراجع عبد الله ممسكًا هاتفه، فيما قامت الأم على عجل وهي تحاول إظهار شجاعتها قائلة:

- أهلًا يا أستاذ فادي.

تجاهل فادي يد العجوز الممتدة إليه ونظر إلى عبد الله في جنون قائلًا:

- ماذا تفعل يا عبد الله؟

- اهدأ، لا أفعل شيئًا، فلتهدأ.

- ألقِ بهذا الهاتف الآن.

وفي أثناء ذلك، أجاب الطرف الآخر على الهاتف، فرفع عبد الله صوته لربما يلاحظ أحدهما، وبخاصة عندما بدأ في قول:

- اهدأ يا فادي، كلنا نريد أن نعرف لماذا قتلت امرأتك وابنك يا فادي وعدت بعد هروبك، وعدت لتسكن في شقتك التي توجد...

في اللحظة نفسها أمسك فادي بالعجوز من رقبتها ودون وعي وجد يده تمتد إلى مقصٍّ كبيرٍ كان على المكتب الخشبي، فوضعه على عنقها بكل قوة فوقعت على الأرض وهي تتحسس رقبتها، في حين قفز عبد الله محاولًا إنقاذها وهو يصرخ هو الآخر محاولًا كتم النزيف من رقبة أمه، وفي أثناء مكوثه أرضًا بجوارها رفع فادي تمثالًا برونزيًّا ثقيلًا على شكل رأس حصان

وهوى به على رأس عبد الله فتهشم تمامًا ليخرج مخه في مشهد مرعب، وبمجرد أن رأت الأم ابنها في هذه الحالة ماتت على الفور.

خرج فادي مسرعًا من غرفة الأم، ليُفاجأ أن أمه لا تزال على جلستها في الصالون، فاقترب من الباب وأغلقه عليها.

نظر إلى ساعته بهدوء هذه المرة، فكانت تشير كالعادة إلى السابعة والنصف، تلك الساعة الملعونة التي حدث وقتها كل شيء، تلك الساعة التي قابل فيها الشيخ عبد الجليل، وفي الوقت نفسه قادته قدماه إلى الأسفل، وهو الوقت نفسه الذي وجد فيه الشيطان ريمون.

نظر مرة أخيرة إلى مسرح الأحداث وفتح باب شقة عبد الله، ثم تحرَّى وجود أي شخص على السلم، وعندما لم يجد أحدًا خرج مسرعًا من العمارة كلها مهرولًا إلى آخر الشارع، لم يرَ أي شخص بالجوار على الرغم من أن الوقت لم يكن يتحرك، فلاحظ أن جميع الحوانيت مغلقة، سار حتى آخر الشارع لكنه فوجئ بقدميه تقودانه إلى المقابر، لكنه كان يعرف تلك المقابر جيدًا، فهي المقابر التي دُفِن فيها والداه.

- ماذا؟ هل أنا في قطر أم مصر أم ماذا يحدث؟!

توقف في منتصف الشارع فوجد بعضًا من الأشخاص الذين كان يعرفهم جيدًا، وبمجرد أن رأوه اقتربوا منه يعزونه في والدته، لم يفهم أي شيء، كيف ذهب إلى هناك؟ أم هم الذين أتوا؟! ومَن...

قطع حبل أفكاره أحد الجيران الذين كان يعرفهم طوال عمره في الدوحة، يهمس في أذنه قائلًا:

- هيا يا فادي، فأنت محرمها الوحيد وعليك بحملها إلى داخل القبر.

رجع فادي إلى الخلف مذعورًا لم يفهم، فرد:

- أي قبر؟ وأحمل من؟ ومحرم لمن؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! تجلد يا ولدي، إن الحاجة فدوى غالية علينا كلنا، هيا هيا...

وجذبه من يده حتى نعش أمه الذي كان بجوار باب القبر المفتوح، ومن حوله وقف أغلب جيرانه وزملائه، وأيضًا أهل ابتسام، حاول أن يشير إلى أحدهم دون جدوى. أشار إليه التربي بأن يحملها معه وينزل إلى القبر أولًا، وعلى الرغم من أنه قد سبق وفعل ذلك من قبل بالتفاصيل الموجعة نفسها، فقد رفع أمه ونزل بقدميه إلى القبر ومن أمامه كان التربي وأحد المساعدين.

وضعوا أمه بجوار أبيه وبدأوا في خلع الأربطة وبدأوا في تلقينها الشهادة، في حين اقترب فادي منها، وكان يشعر أنها لا تزال حية. ثم خرج الرجلان وانتظرا فادي، ولكن قبل أن يخرج سمعها تتأوه، فاقترب منها مرة أخرى، ففتحت عينيها وبدأت في السعال، لتقول:

- أخبرتك أنهم دفنوني حيةً يا فادي، حسبي الله ونعم الوكيل! ألا يفرق أحد منهم غيبوبة السكر من الموت؟! هيا احملني إلى الخارج يا ولدي.

- أمي؟!

- نعم، أيها الأبله، هيا هيا قبل أن يغلقوا الفتحة.

وكالمجبر على فعل ذلك اقترب منها وحاول أن يجذبها إلى الخارج، لكنها كانت ثقيلة، هو نفسه لم يكن يعلم ما الذي يفعله، كل ما كان يريده هو إخراج جثتها بأي شكل، وحاول ذلك لكن فجأةً شعر أن الفتحة أُغلِقَت عليه من الخارج، فنظر برعب إلى أمه التي بدأت في النحيب والعويل، هرع إلى الباب محاولًا فتحه وبدأ في الطرق عليه بعنف من الداخل، نظر حوله فلم يرَ إلا ظلامًا دامسًا، بدأ في محاولة تحطيم قفل الباب فلم يفلح، حتى أتته فكرة كسر حافة الفتحة، وبدأ في تكسيرها ومن خلفه صوت أمه التي بدأت في الصراخ لإنقاذها، وانفرجت فتحة بسيطة في جدار القبر من الخارج، وعلى الضوء المتسرب منها نظر خلفه، فوجد أن جميع من بداخل القبر يجلسون بأكفانهم البيضاء وبدأوا في العويل أيضًا دونما سبب.

زاد ذلك من إصرار فادي على كسر القبر، حاول وحاول ونحى الخوف والرعب جانبًا حتى فتح جزءًا كان يكفي لخروجه وسحب أمه خارجًا، وبالفعل بدأت هي الأخرى تحثه على الخروج، فبدأ في دفعها أولًا وأخذت هي الأخرى تزحف على بطنها خلال الفتحة حتى خرجت، ثم مدت يدها

إلى فادي للخروج، فخرج سريعًا، وبمجرد خروجه بدأ الصراخ يتعالى من أحد البيوت القريبة من المقابر:

- النجدة! لصوص المقابر! يا عم عثمان، لص يسرق أحد الموتى يا عم عثمان!

لم يفهم فادي ما الذي يدور حوله إلا بعد أن هرع إليه عدة رجال وفي يد أحدهم بندقية حاول أن يضربه بها، فهوى فادي إلى الأرض متخفيًّا خلف أحد القبور، في حين كان الرجل ومن معه يقتربون سريعًا. حانت منه التفاتة إلى جسد أمه الذي بجواره، فلم يجد سوى جثة فاروق الدهشوري الذي جلس ضاحكًا مستهزئًا به هو الآخر.

دارت الدنيا في عيني فادي، ولكن قبل أن يسلم نفسه للغيوبة سمع طلقة أخرى تمر بجوار أذنه، فهب سريعًا وبدأ في الهروب حتى لا تصيبه طلقات عثمان القاتلة، وقتها تأكد أنه ليس في حلم، بل واقع مرير ولا يدري كيف قادته قدماه إلى المقابر ومتى وأين، هرب وهو ينوي الذهاب إلى شخصٍ واحدٍ كان يعلم أن لديه كل الأسرار.. عم مستجير.

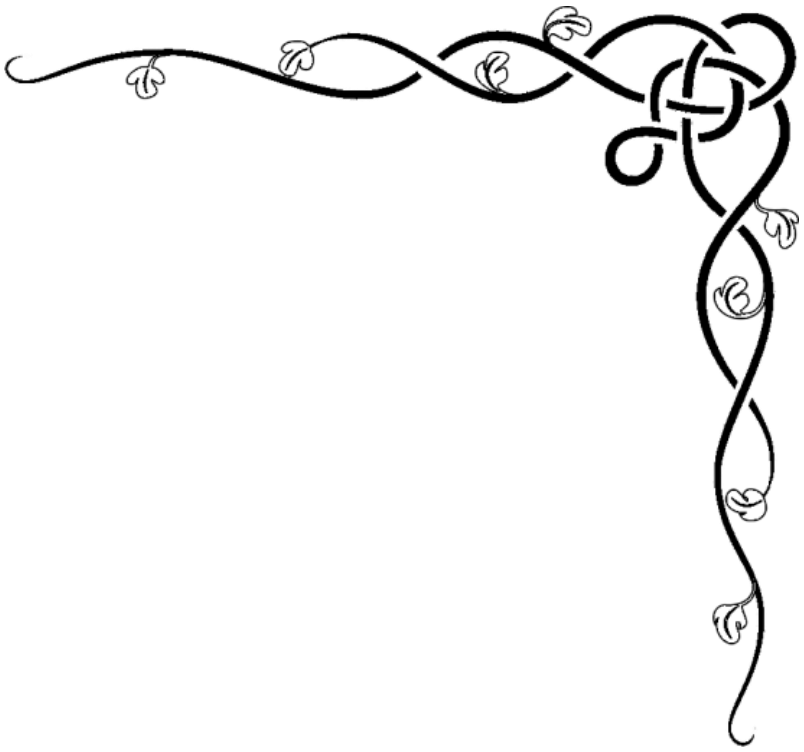

الملتزم

توقفت السيارة التي تقل فادي عند أول الشارع كما أخبر السائق، وهبط وسط السكون من حوله مترجلًا حتى يدور حول الفيلا، ففكرة وجود ريمون بالداخل أو جده كانت ترعبه، لكن بمجرد وصوله كانت تقبع في ظلام دامس ولا أثر لأي حياةٍ فيها. اقترب من الباب الموارب وأطل برأسه إلى الداخل فلم يسمع أي صوت، نادى مستجير واقترب من استراحة الحديقة التي يسكن فيها، فوجد قفلًا كبيرًا موضوعًا عليها، وقبل أن يتلفت وجد شخصًا آخر يرتدي جلبابًا بلديًّا يقف خلفه تمامًا، وما لبث أن فزع بمجرد رؤيته، فقال الرجل صارخًا:

- من أنت؟ وماذا تفعل في هذه الفيلا؟ ولمَ تحوم حولها؟! لقد راقبتك منذ اقترابك منها منذ عدة دقائق.

تنهد فادي قليلًا واضعًا يده على قلبه من الفزع الذي سببه له الرجل وأجابه:

- لقد أفزعتني! مهلًا، أنا قريب عم مستجير وكنت أعلم أنه يسكن في هذا المكان، ولقد جئت إليه برسالة من قريب له من بلده، ولكني لم أجده، ألا تعرف مكانه؟

- وما كل تلك الأتربة التي تغطيك وملابسك الرثة؟! وما هو بلده إنت كنت صادقًا؟

أخبره فادي بالبلد فهدأ الرجل قليلًا بعد أن ظنه لصًّا يحاول اقتحام الفيلا، فاعتذر بأدب وأكمل:

- معذرةً يا ولدي، أنت تعلم أن الفيلات المهجورة تصبح مطمعًا لكل لص عابر، وأنا...

قاطعه فادي مسرعًا:

- مهجورة؟! غريب هذا الأمر! فقد زرت عم مستجير منذ عام مضى وكان في هذا المكان شركة تقريبًا.

- لا يا ولدي أنت مخطئ، مستجير يقيم هنا منذ عشر سنوات على الأقل بمفرده، وأنا خفير في الفيلا المجاورة لهذه، وطوال عمري الذي قضيته هنا، والذي يقارب ثلاثين عامًا، لم يقترب أي شخص من هذه الفيلا إلا مستجير، الذي أخبرني أنها كانت لإحدى العائلات الكبيرة في بلده، ولما مات عمود الأسرة ارتحل الأبناء إلى الخارج، ويتولى محامي العائلة دفع راتبه، وكل عدة سنوات يأتي ليمر عليها لمعرفة حالتها، وفي آخر مرة أخبر مستجير أن أحد أبناء الرجل قد توفي وأسرته ستأتي للإقامة في هذه الفيلا مع مطلع العام القادم، ولذلك بدأ مستجير في تجهيز الحديقة وطلب إلحاق عمال لمساعدته.

لم يبدُ على فادي أي رد فعل سوى نظرة البلاهة التي أصبحت تعلو وجهه بمجرد رجوعه إلى القاهرة، ورغم ذلك ثارت في عقله نشوة عارمة،

اجتاحته لرؤية دم الرجل المسكين دونما سبب، فبدأ ينظر حوله متطلعًا إذ ما كان يراه أحد ما، حاول مقاومة تلك الرغبة القاتلة في سفك دماء الرجل الواقف يتحدث أمامه بلا انقطاع، فوضع يده على رأسه محاولًا رفض الفكرة، فيما ظل العجوز يتحدث ويتحدث، وعندما شعر فادي بأن بينه وبين قتل الرجل دقيقة، قاطعه في ضيق:

- حسنًا حسنًا، أين عم مستجير الآن؟

- أخبرني أنه سيكون في واجب عزاء من بعد صلاة العشاء، وهو على وصول، تعال معي حتى يأتي وسنحتسي شايًا ونكمل كلامنا.

مد الرجل يده بتلقائية جاذبًا فادي معه، لكنه دفع يده مرغما خوفًا من تحقيق ما يحلم به، فيضيف ضحية أخرى إلى ضحاياه، وعندما اندهش الرجل أجابه باقتضاب:

- شكرًا، لا تشغل بالك بي، سأمر عليه في وقت آخر، فلدي موعد في الجوار.

وودع الرجل وانصرف سريعًا، فخرج الرجل من الحديقة وأغلق الباب الحديدي من خلفه.

ظل فادي يدور في الشوارع دون هدف منتظرًا عودة مستجير، حتى قاربت الساعة على الواحدة صباحًا، فعاد مرة أخرى إلى الفيلا، ليجد الضوء

يسطع من الداخل، حاول كظم غيظه وعدم العراك مع العجوز لأي سبب، فهذا العجوز لديه الكثير والكثير من الأسرار التي لم يتفوه بها في المرة الأولى، وعليه أن يصارحه حتى وإن استعمل القوة.

هذا ما حدَّث به فادي نفسه وهو يقف على باب الرجل، ولكن قبل أن يطرق الباب فتحه مستجير فجأة وهو ينظر إليه وقال:

- كنت أنتظرك، كنت أعلم أنك ستأتي يومًا ما.

دفعه فادي بعنف إلى الداخل وهو ينظر في الأنحاء قائلًا:

- حسنًا، هل سنظل نتحدث على الباب أم ندخل ونتحدث فيما حدث منذ عشرات السنوات؟!

- اهدأ قليلًا يا ولدي، أنا لست حمل أي عنف، ما تريد معرفته سأرويه لك، اهدأ وسأعد لك قليلًا من الشاي حتى تفهم كل ما حدث، أخبرني، هل تناولت عشاءك؟

- ليس لك شأن بأكلي أو شربي!

- لا، أنت في بيتي ولذلك سوف...

قاطعه فادي متأففًا:

- حسنًا حسنًا، سأحتسي شايًا ولكن لديك أمانةٌ ما أريد...

قاطعه العجوز:

- أعلم أعلم، هو شريط تسجيل أعده لك سامح ابن عمك، سأحضره لك، فقد أقسم عليَّ أن أحفظه بين جلدي وجسدي. قم فلتغتسل من تعبك ثم تعال.

قام فادي إلى دورة المياه، إذ كان فعلًا يحتاج إليها، ثم غسل وجهه ورأسه من التراب الذي كان يعلو ملابسه، وفي أثناء خروجه نظر إلى المكان البسيط الذي يقيم فيه مستجير، فكان عبارة عن غرفتين، إحداها مقفولة والأخرى بها مطبخ بسيط. سمع صوت العجوز يناديه وقد أحضر جهاز تسجيل قديم وأعطاه الشريط وكوب الشاي ثم استأذنه ليسمع الشريط بفرده.

قام العجوز ودخل إلى الغرفة المغلقة تاركًا فادي مع سامح، الذي بدأ صوته يتلو آية قرآنية في بداية حديثه، سمعها فادي وعلى وجهه علامات التهكم والسخرية.

«فادي، قبل أي شيء، إن وصلك هذا الشريط الذي سجلتُه قبل سفرك إلى العراق، فاعلم أنني توفيت، وكل ما أطلبه منك هو أن تسامحني، وأن تطلب لي الرحمة التي لا أستحقها، لا منك ولا من الله. أعلم أنني في مستنقع طين، وكلما حاولت أن أخرج منه غرزت فيه أكثر فأكثر، أسجل لك هذا الحديث قبل سفرك إلى الموقع والعمل، العمل الذي كان كل الغرض منه هو دم ابنك شريف.

لا تتعجل، سأقص عليك قصتنا الملعونة منذ بدايتها، لكن لا تندهش إن قلتُ لك من أولها، أنت وأنا وأسرتنا كلها سلالة ملعونة من نسل الجن، قد لا أعلم كل التفاصيل ولكني سأقص عليك ما قصَّه عليَّ والدي قبل أن يموت.

تعود القصة إلى بداية القرن الماضي، كان جدنا الأكبر ساحرًا ملعونًا في إحدى قرى الصعيد، وعندما فاح شرُّه لم يرضَ عن ذلك أهل قريته فطردوه منها شرَّ طردة، ثم أتى إلى القاهرة ليمارس كفره وفجوره. وبصورةٍ ما تمكن من تحضير إحدى بنات الجن، ثم حملت منه، أين ومتى ولماذا؟ لا أعرف. المهم، أن تلك العلاقة كانت نتيجتها جدك فاروق الدهشوري، الذي وُلِد في القرن الماضي، نعم لا تندهش، وكيف؟ لا أعلم. المهم، كان جدك نصفه بشري والآخر من الجن، وكان عليه بصورة ما أن يكمل ما بدأه والده الملعون الأكبر الذي كل ما نعلمه عنه أنه مات شر موتة ذات ليلة. تزوج جدك فاروق عدة مرات، وأنجب عشرات من الذكور والإناث، ولم يتبقَّ منهم إلا ثلاثة، والدي ووالدك وعمنا الأصغر الذي هرب هو الآخر بمجرد أن وقع الاختيار على ابنه هاني ليكون الضحية الجديدة.

تكررت قصتك بحذافيرها، إلا أننا فشلنا تمامًا في العثور على هاني وعمي، أما الباقي فكان عليه أن يتخلص منهم كقربان، نعم قربان دموي ليرضي عشيرته وأهله من الجن مقابل الخلود والعمر والصحة والقوة، وللأسف، بعدما ذبح أبناءه بنفسه وكبر

في السن لم يكن يستطيع أن ينجب غيرهم، فتحول إلى أحفاده، ووقتها هرب عمك ووالدك ولم يتبقَّ إلا والدي الذي طاوعه في كل أعماله القذرة، رغم أنه حاول أن يتوب في آخر أيامه كما أرجو أن أتوب قبل موتي الذي أشعر أنه بات قريبًا.

وكما أطاع والدي والده، كان عليَّ أن أطيع والدي بدوره، فأصبحتُ ماكينةً لإنجاب الذكور والإناث، الذين لا أعلم كم أصبح عددهم، دون أن ألتزم بزواج أو غيره، فكل ما عليَّ أن أقدم ذبيحتين سنويًّا إلى جدي بعد وفاة والدي الذي كانت نهايته مأساوية هو الآخر، فيبدو أن كل من تطوله لعنة الدم كانت عاقبته في الدنيا والآخرة.

أقسم لك أننا كنا نتمنى له الموت بعدما عجزت مسكنات الأرض عن إيقاف صراخه، وقبل موته أخبرني بكل ذلك، على الرغم من أن موته حدث على يدي، نعم، لقد ألح عليَّ كي أريحه من آلامه ومن الدنيا. وبعدما فشل حتى جدي في منحه الشفاء أو القوة التي طالما زعم أنها ستصبح متوارثة في أسرتنا، شجعني على ذبحه هو الآخر ربما زاده ذلك شبابًا، لكن دون جدوى.

إن ذلك العجوز الذي لا يزيد على ثمانين عامًا يا فادي، سنه الحقيقية قرابة مئتي عام، فهو مُخلَّد بصورة مبسطة ويستمد قوته من تقديم القربان البشري إلى أمه التي هي من الجِن، والتي كلما تذوقت الدم البشري أعطت ابنها مزيدًا من الحياة، وقد كان.

حتى توقفنا جميعًا وأصبحت كل أسرتنا مذبوحة وأنا أصبحت غير قادر على الإنجاب نتيجة مرضٍ أصابني. ألم أخبرك أن آفة أسرتنا اللعنة؟!

كان علينا التحرك، فبدأنا بالبحث عن أعمامي حتى وجدناك أخيرًا في قطر وبدأنا نجذبك إلينا دون أن تشك، فلو حدث وشككت في أي شيء لهربت، ووقتها سيصيبنا جميعًا غضب الأم، كما كان يحذرني أبي دائمًا.

تلك الجدة، أو الأم، لم أرها إلا مرة واحدة في حياتي، رغم الذبائح التي كنت أقدمها إليها، ولا أنسى تلك المرة التي ظهرت فيها وبدأت تزحف نحوي عندما قدمت لها توأمين لم يتعديا السنتين، شعرت وقتها أنها تحاول أن تجعلني أميل إليها، ولكني أغمضت عيني رعبًا عندما شاهدتها، فعلى الرغم من جمالها الذي لا ينضب، هي من الجن، وما أدراك ما لعنة الجن لو أصابتك!

وبدأت أنسج خيوط شبكتنا حولك، وكان عليَّ تقديمك لريمون الذي هو من نسلها هو الآخر، لكنه ليس بشريًّا، فهو مَن يستنشق رائحة الدم، وإن أعجبته يخبرنا بقبولها التضحية وقد كان. وسُرَّ عندما رآك في الفيلا التي أنت داخلها الآن كما أظن، لأن هذا يعني وجود ماكينة جديدة لإنجاب الذكور يا فادي، وبخاصة أن لديك ابنًا، ويلزمنا التضحية به خلال الشهر القادم في العراق. ولمَ العراق؟ لا أدري، هذه تعليمات الأم التي ننفذها

دون مناقشة وينفذها جدي، فدومًا كنا نقدم قرابيننا البشرية في شتى أنحاء مصر وعديد من الدول العربية، وغالبًا الستار موجود بأي حجة.

وللأسف يا فادي، سواء قبلت أم رفضت فابنك هو الدم الجديد الذي سيضخ الحياة إلى جدنا، ولذلك حتى لو هربت إلى باطن الأرض فسيحضروك إليهم، فبعد ظهورك لهم لن تستطيع الاختباء أبدًا، ووقتها ستصبح مثلنا رغمًا عنك.

أعلم أنك في طريقك إلى العراق، وسأسبقك إلى طائرة المساء وسأقابلك في الكامب الذي أُعِد خصيصَى للتضحية بابنك، ولا أدري ما الذي حدث لكن أرجو ألا تسوء الأمور، فلا أدري إذا ما سأكون حيًّا عند سماعك هذا الشريط أم لا، إن كنت مت فسامحني، وإن حضرت إلى العراق وبدأت في التعاون معنا سأخبرك كل شيء عندما يأتي الوقت المناسب لذلك، وإن سمعته فمعناه أيضًا أنك هربت وأنهم في أعقابك، فتوخَّ الحذر، وبدلًا من هروبك حاول أن تبدأ حياتك الجديدة مع قربان الدم.

وفي كل الأحوال، سامحني».

انتهى الشريط.

وضع فادي رأسه بين كفيه وهو مندهش مما سمعه منذ دقائق، وأصبح عاجزًا حتى عن التفكير في ما سيفعله.

كان الصداع يكاد يشق رأسه، كأن عشرات المطارق تهوي عليه، وشعر معه أن الأرض بدأت تميد به، حاول أن يقوم لكن وجد قدميه قد تيبَّستا، شعر أن ذلك الملعون مستجير وضع له شيئًا ما في الشاي، لكنه لم يلتفت له وشربه دون أن ينتبه إليه وهو يستمع إلى الشريط.

شعر فادي بيد رقيقة تمسح على كتفه وصوت هادئ يحدثه:

- ما بك يا فادي؟ أتشعر بشيء؟

- أوضعت شيئًا ما في الشاي أيها الملعون؟!

والتفت وهو يكاد ينفجر غيظًا منه، لكن شعور الغيظ انقلب إلى دهشة عندما وجد أن السائل هو ريمون، وقد تبدلت ملامحه إلى وجهٍ أهدأ بكثير، ولأول مرة يجلس بجواره هادئًا كأنه يجلس بجوار صديق له، مما أفزع فادي فدارت مشاعر كثيرة بداخله، ما بين الغضب والرعب والدهشة والفضول، فحاول تهدئة نفسه، وبخاصة حين شعر أنه في طريقه إلى الغيبوبة، والله أعلم إلى أين ستؤدي به هذه المرة. فأردف:

- ولكن كيف؟!

- كيف ماذا يا فادي؟

- كيف وصلت إليّ؟

- هل تعلم أننا نراقبك منذ خداعك لنا بإظهار عجزك أمام ميريت، أصدقك القول، نعم لقد خدعتنا ولا ننكر ذلك، ولكن بمجرد أن أخبرتنا بهروبك عرفنا طريقك وها نحن بجوارك، إننا أقرب إليك مما تتصور في كل وقت وزمن.

- أنتم؟! مَن أنتم؟

- ماذا تريد أن تعرف؟

- كل شيء وأي شيء يتعلق بزوجتي وابني، أين هما الآن؟

- دعك من زوجتك وابنك.

قاطعه فادي قائلًا بعصبية لا تتناسب مع قلبه الذي بدأ في الخفقان:

- بل هما أول شيء ولن أهتم بأي شيء إلا بعد معرفة مصيرهما!

- أنسيت يا فادي؟

- نسيت ماذا؟

- اسمح لي أن أقترب منك وسأذكرك.

- ماذا نسيت أن أخبرني؟

- مجرد ذكريات، ولكني أخاف عليك من ذكرياتك.

- ليس لكم شأن، أريد أن أعرف ماذا حدث، أنا بالفعل لا أتذكر شيئًا.

اقترب ريمون من فادي الذي أصبح غير قادر حتى تحريك جسده، عدا لسانه، وشعر أن الخدر يسري في أوصاله، ثم وضع يده على جبهته، فشعر فادي بالبرودة تجتاح جسده وبدأت الذكريات تطوف داخل رأسه كما أراد ريمون تمامًا.

تغيرت الغرفة تمامًا، ورأى فادي نفسه بداخل السيارة التي كان يقودها مسرعًا وسامح بجواره، وبدا الجميع مرعوبين وهم يهرعون هربًا من الكامب وصوت سامح صارخًا بجواره:

- انطلق بالله عليك اهرب، نعم فاروق بك هو جدك، فاروق الدهشوري يا فادي.

شعر فادي كأنه يشاهد فيلمًا يُعرَض أمامه، ولم يختلف عنه إلا أنه كان بداخل السيارة جالسًا بجوار ابتسام التي سمعها تتمتم بآيات قرآنية وهي تحتضن شريف الذي بدأ في البكاء. حاول أن يكلمها لكن ساد الصمت عدة دقائق كأن على رؤوسهم الطير، ولم يقطعه إلا رنين هاتف متواصل في الطريق المظلم، أخرج سامح هاتفه بصعوبة وهو ينظر إلى رقم المتصل، وبدأت ملامحه تتحول إلى فزع وهو يسأل فادي وهو يرتعد ولا يزال الهاتف يرن:

- فادي أين هاتفك؟

بحث فادي في جيوبه لكنه لم يجده، فنظر إليه قائلًا:

- يبدو أنني نسيته في التابوت في أثناء خروجي، لماذا؟

فتح سامح مكبر الصوت وهو ينظر في مرآة السيارة على ابتسام وشريف اللذين لم ينطقا طوال الطريق، وأردف وهو يرتعد:

- ألو، من معي؟

لكن لم يجبه إلا صراخ من الجهة الأخرى:

- فادي، أنا جدتك عائنة، إلهتك، مَن تنتظرك في مملكتها لتصبح ملكها المتوج، انظر إلى يسارك!

نظر الجميع إلى خارج السيارة فوجدوا خيالًا أسود يطير بجناحيه بالقرب منهم، وبدأ الخيال ينفث بعض ذرات التراب الأسود إلى فادي الذي كان ينظر كالمسحور إليه، ثم أغمض عينيه وابتسم وهو ينظر إلى شبيهه الجالس بجوار ابتسام، ثم انحرف بالسيارة فجأة وسط دهشة الجميع، وبدأ يتحرك بها بسرعة ناحية الرمال جاذبًا فراملها اليدوية، فانقلبت السيارة عدة مرات وسط صراخ ابتسام وشريف.

انقلبت السيارة وما هي إلا لحظات وبدأ جمع من العباءات السوداء تقترب من السيارة جاذبة ابتسام وشريف، حاول فادي أن يفهم ما يدور

حوله وإلى أين يأخذونهما، وبخاصة أنه كان مجرد روح تهيم بالمكان، وبدأ يسمع سامح يحتضر وهو يمسك يد فادي.

نظر فادي برعب إلى المشهد الذي يدور أمامه، فهل قصد قتل زوجته وابنه وسامح في الحادثة؟ هز رأسه نفيًا محاولًا إنكار ما رآه منذ دقائق، فانقلبت الصورة أمامه سريعًا مرة أخرى إلى داخل المقهى الموجود في العراق، ليجد نفسه واقفًا وبجواره زيدان وفريد وهما يتبادلان الحديث وصوت فريد الجهوري يشير إلى زيدان:

- لا تقلق أيها العجوز، سأعاود الاتصال بك، وبعد يومين سنتقابل في بغداد مرة أخرى حتى نذهب للمهمة إياها.

غمز له زيدان مُحرَجًا فضحك فريد في جزل ونظر إلى فادي:

- لا تقلق، إن عمك زيدان ليس له في الحريم منذ عشرات الأعوام، هو فقط يريد أن يبتاع بعضًا من الحشيش الجيد.

ابتسم زيدان في خجل وهو يدفع فريد خارجًا:

- هيا ارحل أيها الملعون، لم تلبث خمس دقائق وفضحتني! لا تصدقه يا فادي في كل ما سيرويه طوال الطريق، هو كذَّابٌ أَشِر.

لم يعلق فادي، بل كان ينظر إليهما ببرود وتوجه ناحية أحد محلات البقالة ليبتاع عدة زجاجات ماء، ومن خلفه كان فادي يتبعه وسمع صوت فريد يناديه، لكنه تحجج أنه نسي إعطاء رقم هاتفه لزيدان.

فدخل إلى المقهى، فلم يجد زيدان، وحين سأل عنه أخبروه أنه بداخل دورة المياه، فهرع إليه واقترب منه وهو يغسل يديه، فاندهش من عوده فادي مرة أخرى وهتف:

- أنسيت شيئًا يا ولدي؟ أتريد شيئًا؟

لم يرد فادي، بل اقترب منه مبتسمًا تلك الابتسامة الشيطانية التي لم يعهدها منه من قبل، ونظر حوله فوجد عمودًا حديديًّا طوله قرابة نصف متر، ودون أن يستطيع زيدان الصراخ حتى، هوى فادي على رأسه عدة مرات حتى تهشمت جمجمة المسكين تمامًا. نظر فادي حوله فلم يجد أحدًا، فخرج مسرعًا من دورة المياه متجهًا ناحية فريد الذي كان ينتظره بالقرب من القهوة، ومن خلفهما كان فادي بروحه وهو ينظر ملتاعًا إلى العجوز الذي فاضت روحه بواسطته.

نظر إليه ريمون وهو يبتسم في شفقة قائلًا:

- وقتلت فريد أيضًا يا عزيزي، وهربت، وليس هذا فحسب أيها البشري، انظر أيضًا إلى ما اقترفت يداك.

تحول المشهد إلى وسط الصحراء، وفادي يجلس بجوار الشيخ يوسف الذي كان يحكي عن سيدنا سليمان في تلك الأثناء، وكانت روح فادي تطوف حولهما وترى المشهد من الخارج، ووقتها سمع الجميع صوت محروس وهو يغلق الباب من الناحية الأخرى، فانتظراه، لكنهما سمعا صوته بطريقة لم يعهداها منه، إذ قال دون أن يظهر:

- ولمَ أخبرته أيها العجوز؟! ألا تعلم أن آلافًا من الغيبيات لا يجب أن يعلمها ذلك الغبي؟!

نظر الاثنان برعب إلى ذلك الخيال الأسود الذي بدأ يزحف بجوار السيارة، فقد رأى فادي محروس من قبل يقول هذه الجملة وهو يزحف بجوارهم، لكن الآن كان الخيال الزاحف هو من يقترب منهم ومن فادي الذي تحول إلى تلك الهيئة الشيطانية ثم تحول هو الآخر إلى الزحف مقتربًا من الشيخ يوسف الذي فتح عينيه على اتساعهما وهو يتمتم بآيات القرآن، فيما شرع فادي يهمس في أذنه:

- كنت تشعر أيها البشري أنني سأُخرِج روحك في هذا المكان، هذا المكان الذي أخبرتني أننا سنجلس فيه. وأنا لن أُخيِّب لك رجاء.

نظر فادي إلى نفسه وهو يمد يده بالخنجر الملعون نفسه الذي كان في يديه، ثم وضعه على رقبة الشيخ يوسف ناحرًا إياها في سعادة، ثم زحف على

بطنه كالأفعى حتى وصل إلى الحاوية وفتحها ليدخل إلى محروس النائم ويُجهِز عليه بالطريقة نفسها على الفور، ثم عاد مرة أخرى إلى جوار جثة الشيخ.

وهنا رأى فادي نفسه، فابتسم القاتل في ابتسامةً ساخرةً وقال مشيرًا إلى الجسد المذبوح أمامه موجهًا حديثه إلى روحه التي تطوف حولهم في رعب:

- الأمر لم ينته، الأمر لم ينته!

وبعد أن انتهى من قول تلك الجملة عاد إلى الجلوس على الأرض مرتعدًا كأنه خارجٌ لتوه من نوبة صرع، فبدأ في التشنج على الأرض وبدأ الزبد يخرج من فمه ثم أفاق، وتحررت قدما فادي فجأة، لم يدرِ ماذا يفعل، كان عليه الهروب فورًا لكنه تذكر أوراقه في المقصورة.

نظر من حوله فلم يلحظ أي سيارة في الطريق، فأمسك قدمي العجوز مخفيًا إياه تحت السيارة حتى لا يلمحه أحدهم في أثناء هروبه، وقفز إلى الداخل وبحث عن أوراقه حتى وجد حقيبته الصغيرة فأخذها. نظر إلى العجوز المسجى في دمائه ولم يعلم كيف يتصرف، إن ظل معهما فسوف يُتَّهَم بأي شكل، وبالطبع لن يصدقه أحد لو روى ما حدث منذ دقائق، وإن تركهما فستأكلهما الذئاب بالطبع، نظر إلى نقطةٍ ما بجوار السيارة حيث كان يقف فادي بروحه الملتاعة وهو يبكي مما رآه منذ دقائق وأردف بتهكم:

- سأتركهما بالطبع.

أفاق فادي على يد ريمون تربت بحنان متُصنَّع على وجنته بعد أن كان بادئًا في البكاء، ثم قال ريمون:

- وليس هؤلاء فقط يا فادي، هناك عبد الله وأمه، لقد أصبحت ملعونًا بلغتكم البشرية، صدقني، اترُكْ هذا العالم الطيني وتعال إلى الخلود، أنت على بُعد خطواتٍ منا يا فادي، إن اقتربت منها امتلكت الدنيا وما فيها، وقبل كل شيء ستعيش أنت وزوجتك عيشةً لن تتصورها.

صرخ فادي كمَن لدغته عقربة قائلًا:

- زوجتي! هل ابتسام حية؟ شريف.. أخبرني، هل هو حي هو الآخر؟

- اهدأ يا فادي، هل كنت تظن أننا سنتركك؟ هل كنت تظن أننا سنضحي بأسرتك التي تحبها مقابل حياة وصحة وقوة جدك؟! كلا بالطبع، فبمجرد انقلاب السيارة هرع إليهما عديد من أعواننا لجذبهما والاحتفاظ بهما في مكانٍ أمين، هما بخير، لا تقلق.

- ماذا؟! هل شريف وابتسام حيَّان؟

ابتسم ريمون مربتًا على كتفه في حنان:

- بالطبع يا فادي، بالطبع، لا ينقصك للحياة معهما إلا بعض الشكليات يا عزيزي، إننا وراءك ولن نتركك أبدًا.

- لا أصدقك!

- حسنًا، تستطيع الاتصال بها، أليس لديك رقم هاتفها في مصر؟ حاول الاتصال بها من هاتف العجوز، ها هو بجوارك.

لم يصدق فادي نفسه وبدأت يداه تتحركان بناء على إشارة من ريمون، فأمسك هاتف مستجير وبدأ الاتصال بها، لامَ نفسه لأنه لم يُجرِ هذا الاتصال بمجرد وصوله إلى القاهرة، ولكن قلبه توقف حرفيًّا بمجرد سماع صوت ابتسام على الجانب الآخر، وبمجرد سماع صوتها بدأ في الصراخ فيها وبدأ الاثنان في الصراخ والبكاء معًا، في حين وقف ريمون مبتسمًا ابتسامة ملائكية ناظرًا إلى فادي الذي كان على وشك أن يخرَّ ساجدًا أمامه. استمرت المحادثة دقيقة واحدة ثم أمسك ريمون الهاتف مغلقًا إياه، ناظرًا بودٍّ إلى فادي مقتربًا من أذنه وبدأ الهمس قائلًا:

- ها، هل رأيت؟ هل صدقتنا؟

- نعم، ولكنكم أردتم قتلي ودفني حيًّا، أنسيت؟!

هز ريمون رأسه نافيًا بشدة قائلًا:

- لا لا أبدًا، ما حدث أنه عندما رفضت جدتك دم طفلة سامح ابن عمك، أدركت أنه لا بد من التخلص من جدك وبدء حياة جديدة معك أنت، وبخاصة بعد عجز سامح عن الإنجاب. ووقتها يبدو أن جدك فاروق علم بذلك، ومن دون أوامري أصدر الأمر بقتلك، وعلمت عندما أخبرني سامح بعد ذلك، فأنا لا أوجد معكم طوال

الوقت، فلدي عديد من الأعمال الهامة يا صديقي، أمرته وقتها أن عليه إنقاذك فورًا والمجيء بك أنت وزوجتك وابنك إليَّ لحمايتك، لكن يبدو أن سامح هرب وأصدر فاروق سحره لك كما رأيت لتقتل الجميع. ألم تر بنفسك؟

- بلى، ولكن إن كان كلامك صحيحًا، فمن الذي قتل...

قاطعه ريمون قائلًا:

- أعلم ما يدور بخلدك، إن كانت ابتسام وشريف لا يزالان حيين، فمَن الذي قتلهما في شقتك، أليس كذلك؟

- بلى، كان سامح يؤدي دوري ولا أعلم كيف.

- هو الملعون جدك يا فادي، لا تنس أنه ساحر، وهو من سحرك وهو من جعلك ترى كل تلك الكوابيس حتى ينتهي أمرك ويظل هو في الحسبان، وعندما علمت جدتك أصدرت أوامرها لكل خدمها بعدم مساعدته في أي شيء، وعاد إنسانًا طينيًّا زائلًا بلا أي أهمية، لكن أنت من سيؤدي الدور الجديد، أنت فقط، ومقابل ذلك ستكون الملتزم.

- الملتزم؟

- نعم، وقتها سنضع الدنيا بين يديك، كل ما تشتهيه من أموال وأولاد ومكانة اجتماعية أنت وابنك، ابنك الذي كنت تريد أن تؤمن مستقبله بشتى الطرق، أليس كذلك؟

- أنتم أنتم أنتم، من أنتم؟!

- ستعرف كل شيء وسأخبرك بكل شيء.

- أريد أن أعرف، هل حديث سامح صحيح؟ ومن جدتي؟ وكيف جرت الأمور؟

أمسك ريمون كرسيه الخشبي مقتربًا من فادي ليهمس في أذنه القصة منذ بدايتها:

- حديث ابن عمك من بدايته صحيح بأكمله إلا شيئًا بسيطًا، ربما هو لم يعلمه على وجه الحقيقة، وهو جواب سؤالك «من نحن»، ولأنك ستصبح منا فسأخبرك.

- وما هو؟

- إننا لسنا بجِنّ، نحن شياطينٌ يا فادي، جدتك ليست من أهل الجن العاديين، جدتك الملكة عائنة ابنة القدير أبينا المجيد إله المعرفة والسحر حامل الضياء المبجل عزازيل.

ذعر فادي بشدة وحاول أن يتحرك، لكن ريمون أردف مشيرًا إلى يديه:

- لا تقلق يا فادي، هو مجرد مخدر بسيط سيأخذ قرابة ساعة حتى تغيب عن وعيك، فدعني أكمل ولا داعي إلى الذعر، فسترى الفرق بين عالمك الزائل وعالمنا الذي سيعطيك الخلود.

- شيطان! نحن من نسل شيطان وتريد أن تقنعي بذلك؟! مستحيل! لا يحدث زواج أصلًا!

- فلتدعني أكمل ولا تقاطعني وربما فهمت. أولًا، بخصوص الزواج، ليس كما تظن، هو ليس زواجًا بطقوسكم، ما يحدث هو ممارسة على هوى ملكتنا عائنة، هناك فرق بين المستجلبة، بمعنى التي تحضرها لتلبية طلباتك وهذه يستحيل أن تمارس معها أي علاقة، وبين التي تريد هي ذلك، وهذا ما حدث.

قام ريمون عن كرسيه ووقف في منتصف الغرفة كأنه سيلقي محاضرة، وقال بحماس:

- الدم يا فادي هو سائل الحياة، ومجرانا من ابن آدم الطيني الزائل، فمنذ نزول آدم على الأرض وإلى وقتنا هذا والدماء تسيل من أجل الصراع على الدنيا، وبسبب الحسد والحقد والغل والكره والأنانية إلى آخر تلك الصفات، التي تتحلون بها والتي تأكل قلوبكم. وما أرى سفك الدم

إلا أنه أعظم قربان لأبينا المبجل، بخاصة الدم المؤمن من مسلميكم أو مسيحييكم أو حتى اليهود منكم، المهم دم مؤمن بدين سماوي، والدم هو وسيلة السحرة للتعميد ونيل رضا إلهِنا المبجل، وحتى يتنازل ويعلمهم السحر ويحقق لهم آمالهم الشريرة، وذلك بواسطة أبنائه وأعوانه ووزرائه، لذلك نبحث دومًا عن ضعاف النفوس ونوسوس إليهم، لذلك كان عليَّ البحث عن ضحايانا من السحرة الكفرة الذين لا يؤمنون بأي شيء ولا يؤمنون إلا بمن يحقق لهم كل ما يريدونه، وعليه وقع اختياري على جدك الأكبر عبد الرحمن الدهشوري، الذي غيَّر، أو غيرنا اسمه إلى «داسم» تيمُّنًا بابن المبجل عزازيل الذي يفرق بين الأزواج ويثير الفتنة، وغالبًا ما يحدث اتفاق ما بين الساحر والجن على أن يقدم الساحر العهد للجن والشياطين، كما تقولون علينا. وغالبًا ما يكون هذا العهد هو اتفاق على تقديم القرابين الممثلة في بعض الأمور الشركية وأعمال الكفر الصريح من قبل الساحر، حتى نخدم الساحر أو نسخر من يخدمه، لأن الاتفاق يحدث غالبًا بين الساحر وابن زعيم أو قائد إحدى قبائل الجن، وزعماء وملوك الجن ليسوا فقط من الذكور، بل منهم إناث أيضًا، وهن ملكات الجن اللاتي يستعين بهن السحرة في أعمالهم، وعلى رأسهن ملكات الجن بنات المبجل عزازيل، ومنهن الملكة عائنة بنت عزازيل. المهم، داسم كان ساحرًا كافرًا بكل شيء، وبدأت أوسوس إليه لمَ لا يُحضِر بنت إلهنا المبجل ليحصل على كل ما يريده ويعاشرها، وزادت الوسوسة مرة واثنتين وعشر وألف مرة

حتى أصبح لا يحلم إلا بتحضيرها، وبدأ يبحث عن الطقوس ويكررها حتى تمت بالكامل، ووقتها حضرت سيدتنا عائنة بصورة أجبرته على أن يعاشرها، والساذج يظن أنه هو الذي أحضرها لذلك، لكنها هي مَن كانت تريد الدم البشري والجنين البشري.

- ولكن ذلك منذ مدة كبيرة كما قال سامح، فكيف؟!

أشار إليه ريمون بالصمت مردفًا:

- نعم، حدث ذلك قبل قرنين من الزمان، وبخصوص الحمل، فأولًا تحمل الجنية من الجني في شهور عددها خمسة عشر شهرًا بميقاتنا نحن، ولكن حمل الجنية من الإنسي يكون خلال خمسة عشر شهرًا بتوقيت أهل الأرض. وفي العادة، عندما تكون الجنية متشكلة على الهيئة الإنسية، يكون شكلها كأي أنثى بشرية، وخصوصًا لأنها تتشكل لكل ساحر بأي أنثى يتمنى الحصول عليها أو أفضل عشرات المرات ممن كانت يحلم بها، أما عند أهلها فتكون هيئتها غريبة، لأنها تجمع بين شكلها الجني والحمل البشري، ويمكن أن يُرى الجنين بداخلها واضحًا، وتلد الجنية في بيئتها وترضع ولدها، وتستغرق الرضاعة عمر الإنسان البشري، والطفل هنا ينام كثيرًا، لا يتكلم ولا يتحرك، ويتعلم هناك كل العلوم والمهارات الشيطانية والبشرية وأحدث العلوم واللغات البشرية والشيطانية، والولد يكون له هيأتان: جنية شيطانية

عند معشر الجن، وإنسية عند البشر. وله مهمة شيطانية، وهي تدعيم قوى إلهنا عزازيل على الأرض وفرض سيطرتنا عليكم، أقصد بقية البشر الطبيعيين، ولذلك يتميز بطول العمر، فيصبح مخلدًا نسبيًّا بصورة ما. وهنا حملت سيدتنا عائنة من داسم جدك الأكبر، وهذا كل ما كانت تريده، ولم تظهر له إلا تلك الليلة التي عاشرها فيها. ورغم أنه هو الذي حضَّرها، قررت الانتهاء منه، فقتله أعواننا بتقطيعه إربًا بعد مدة بسيطة، وحملت في فاروق، وبدأ تعليمه حتى ظهر على الأرض البشرية منذ قرابة مئة عام، ولكي يُخلَّد أكثر كان عليه التزاوج وإنجاب ذكور وتقديمهم قرابين لأمه لكي تعطيه من سحرنا وقوتنا وحياتنا التي لا تنتهي. قربان الدم يا صديقي، أعظم إرضاءٍ لإلهنا المبجل، دم البشر، دم من فُضِّلوا علينا ها هو يراق تحت أقدام ابنة عزازيل. مرت أعوام كثيرة وهو يقدم لها كل ما تريده، وفي المقابل كانت تعطيه الحياة والقوة والخلود، حتى بدأت قرابينه تقل فبدأ مع ذلك حرمانه من بعض صفاتنا، وبدأ هو الآخر في التخبط والبحث عن أي قربان من دمه وقد كان، ثم مرت سنوات كثيرة دون جدوى، ولذلك كان علينا الانتهاء من فاروق الملتزم والتمهيد لملتزم آخر من دمه، إنهاء كل رجال الحقبة القديمة وبدء عصر جديد تقوده أنت، وأنت فقط الذي سنعول عليه المرحلة القادمة، الآن.. ما هو قرارك؟

كان فادي في تلك الأثناء يقاوم النعاس الذي كان يدب في أوصاله، وقبل أن يتلفظ بأي شيء ذهب في غيبوبته بعد سريان المخدر في أنحاء جسده كافة. اقترب ريمون منه متحسسًا رأسه، ثم صاح على مستجير الذي أتى فورًا لينتظر أوامره، فأردف ببرود:

- مستجير هيا، عليك بتجهيز السيارة ونقله إلى جده، السائق ينتظرك في الخارج، فلستدعه ليحمله معك، أمامكم طريق طويل جدًّا.

أجابه مستجير وهو يرتعد:

- حسنًا، حسنًا يا سيدي أوامرك.

نظر إليه ريمون وهو يشعر أن العجوز لديه ما يخفيه، فقال:

- حسنًا فعلت يا مستجير بإخباري بموضوع شريط سامح، أعلم أن داخلك أشياء تريد البوح بها ولكن...

- لا، لا يا سيدي، أنا على العهد.

ابتسم ريمون ساخرًا:

- على أي عهد يا مستجير؟! ألم تؤدِّ الصلاة اليوم؟

ارتعد العجوز أكثر وقال وهو يكاد يبكي:

- طقوس فقط يا سيدي، فقد كنت ذاهبًا لدفن أحد الأقـ...

أشار إليه ريمون ليسكت، وما هي إلا دقائق حتى هرع العجوز إلى الخارج مناديًا السائق ليحملا فادي إلى أول مكان حُضِّرت فيه عائنة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أفاق فادي على الظلام من حوله إلا من ضوء بسيط في مشعل موضوع على الحائط، سمع صوت ريمون وهو يخاطب أحدهم:

- ها هو فادي قد أفاق.

بدأ فادي يستعيد الوعي بما يدور حوله، فوجد نفسه جالسًا على كرسي خشبي في غرفة واسعة مظلمة في أغلب أركانها، وبدأت الرؤية تتضح أمامه، فوجد ريمون واقفًا أمام نار بدأ في إشعالها واضعًا صاجًا حديديًّا مسطحًا فوق النار كمن يوقد فُرنًا، ووجد مستجير جالسًا على الأرض دون حراك وهو ينظر إلى النار كالمسحور، وبدأ يسمع همهماتٍ من خلفه، فنظر فوجد مشهدًا لن ينساه طوال عمره.

وجد عديدًا من الأشخاص يرتدون العباءات السوداء دون أن يكون لهم أي ملامح وهم يحيطون بجسدٍ مصلوبٍ على صليب خشبي على شكل حرف إكس (X) عارٍ تمامًا ويئن من الألم ومن القيود التي تكبله، وما إن رأى فادي حتى صرخ:

- فادي، أنقذني أنا جدك! مهما حدث بيننا أنا من دمك! أنقذني!

مسح فادي عينيه ليتأكد أنه ليس بداخل حلم أو كابوس مشيرًا إلى المكان من حوله قائلًا لريمون:

- أين أنا؟!

- في مكان لا أحد يعرفه على وجه العموم، لكنه معلوم لنا ولأناسٍ محددين فقط. أنت هنا بداخل الصحراء الغربية المترامية وعلى مشارف واحة سيوة، داخل أطلال قصر عتيقٍ مُنزَوٍ كالشبح، وفي خلفيته جبل الموتى. امتلكَ ساحرٌ هذا القصر منذ مئات السنوات، وهو أول من حضَّر مولاتنا عائنة هنا، وأول من تزوجها في بلدكم، ولكن لم تحمل بجنين واحد، بل بتوأمين، وهي لم تتخلَّ عنه قط، حتى أمرت بقتله بعد أن أشاع سرها. نؤدي الطقوس كل عام لعبادة المبجل عزازيل وأعوانه في هذا القصر، وسنؤدي كل تلك الطقوس في خلال الثلاثة أيام القادمة.

واقترب ريمون من فادي مشيرًا إلى العجوز المصلوب قائلًا:

- والآن انظر إلى هذا المسخ، إنه يئن الآن بعد أن تركناه وتحول إلى جسده البشري الطينى الزائل، يئن ويصرخ ويبكي ويتألم، إياك أن تتعاطف معه أبدًا، هذا المسخ أصدر أوامر بقتلك وإلقائك في التابوت إلى الأبد،

عمل كل ذلك عندما شعر أنه في الرمق الأخير، ولولا نجدة سامح لك ولزوجتك...

صرخ فاروق في ريمون قائلًا:

- لا تصدق ذلك الشيطان يا فادي! نعم، أنا كافر وكفرت بكل ما هو مقدس وفعلت أسوأ ما تتخيل من قرابين وأمور كافرة وذبح أطفال ودماء له ولأسرتنا من نسل الشيطان، لكن لم أتصور أبدًا أنها نهايتي. انظر إليَّ جيدًا، إن أطعته فستكون نهايتك يومًا ما مثلي تمامًا، لا تصدق أيًّا مما يقوله، هو كاذب، يصور لك أمورًا مزيفةً لكي تتحالف معه.

اقترب ريمون من وسط الغرفة قائلًا لفادي بحركة مسرحية:

- أعطيناه الصحة والخلود والقوة والمال والأولاد وكل ما كان يجعله ملكًا طوال عمره، لكنه الطمع الذي أعمى عينيه ولم يكتفِ بذلك، بل سعى إلى قتلك وقتل كل أفراد أسرتك بمجرد معرفته أن ملكتنا ستتخذك كبيرنا وكبير أبنائها بدلًا من ذلك العجوز. هيا يا فادي، أدِّ طقوسَ الاستدعاء وسوف تحظى بزوجتك وابنك إلى الأبد.

قاطعه فاروق وهو ينظر إلى ريمون بتحدٍّ:

- لا تصدقه يا فادي، هذا شيطان ملعون، لا تصدقه، هل أخبرك أن زوجتك وابنك على قيد الحياة؟ هذه أول كذبة!

وبدأ فاروق في الضحك بسخرية وألم، مستكملًا:

- كالعادة، لديهم القدرة على اللعب داخل عقلك وتصوير ما لم يحدث كأنه حدث بالفعل، لقد ذبحتُ ابنك بنفسي قربانًا لتلك العاهرة.

وبدأ في الضحك الهيستري قائلًا:

- وزوجتك سُحِلتْ على الأرض بسيارة حتى تقطعت إلى خمسة أجزاء، وإن كنت لا تصدقني فلدي الدليل على كلامي، كل ذلك موجود على...

قفز فادي من كرسيه قائلًا لريمون:

- أهذا صحيح؟!

هز ريمون رأسه نفيًا قائلًا:

- وهل تصدق شخصًا يقترب من حافة الموت ويريد الوقيعة بيننا؟! هل تحب أن أحضر لك زوجتك وابنك هنا تكذيبًا لهذا الإنسي؟ هيا يا فادي، لا تُضِع وقتك، علينا إنهاء الطقوس، فلتكُنْ ملتزمنا يا صديقي.

- لن أفعل أي شيء قبل أن أتأكد من وجود زوجتي وابني.

صرخ فاروق متهكمًا:

- كيف أيها الأبله؟! أخبرتك أنني ذبحت ابنك شريف ورويت الأرض بدمه قربانًا لأمنا عائنة، وزوجتك قُتِلت، فمن سيأتوا بهما أيها الغبي؟!

اقترب فادي منه صارخًا:

- اصمت، اصمت! ابتسام حية، شريف حي.

- فلتدعه يحضرهما أيها الغبي.

وبدأ في الضحك بهيستريا أصابت فادي بالجنون، وحانت منه التفاتة إلى مستجير فوجده يهز رأسه في سرية مؤكدًا على كلام العجوز. بدأت الأرض تميد تحت قدمي فادي وبخاصة مع هدوء ريمون الذي أشار إليه قائلًا:

- اقتله يا فادي، تخلص من ذلك المخرف، اقتله، اقتله، أتريد الحقيقة؟ نعم قتلهما، ولكن نحن أحيَيْناهما، لديك الفرصة لتبدأ حياتك من جديد معهما.

بدأ فادي يضع يديه على رأسه دون أن يفهم أي شيء بعد أن انهار آخر أمل في حياتهما وبدأ يتلاشى أمامه، ولم يَعِ كيف أحياهما ريمون، كل ما أراده في هذه اللحظة وسط ضحك وسخرية العجوز هو القضاء عليه دون تردد.

وقتها كأن شياطين الأرض تلبسته، فاقترب من جده قائلًا والسادية تسيطر على عقله تمامًا:

- هل تتوقع أن أقتلك بكل تلك السهولة يا جدي؟! سأقتص منك لعشرات القرابين التي قدمتها لهم.

ابتسم ريمون وجلس على الكرسي الخشبي مستمتعًا بالعرض الذي سيقدم خلال دقائق، إذ شعر أن فادي سينفذ ما وسوسه إليه حرفيًّا، فأشار إلى جانب الحائط موجهًا حديثه إلى فادي:

- أترى هذا السيف يا فادي؟ ليس مصنوعًا في عالمكم، ويستطيع بتر أضخم فرع من أكبر شجرة، بترها، بترها يا فادي، يستطيع، صدقني.

اقترب فادي كالمسحور ناحية الحائط ليسحب منه سيفًا فضيَّ اللون يقترب من خمسين سنتيمترًا طولًا، وزادت لمعته عندما انعكس ضوء النار عليه، ثم لوَّح به في الهواء مقتربًا من فاروق وهو يهمس في أذنه:

- ما رأيك يا جدي لو أحرقتكَ حيًّا؟ ألست من نسل الشياطين وبالطبع لن تهتم بالنيران ولن تخيفك، ولكن ما العمل إن رأيت نفسك تحترق؟ انظر جيدًا إلى يديك يا جدي العزيز، يديك اللتين طالما أمسكت بهما ضحاياك المساكين الذين ليس لهم قوة ليدافعوا عن أنفسهم، انظر جيدًا ولا يُغشَى عليك، اصبر.

فتح فاروق الدهشوري عنيه على اتساعهما وهو يرى فادي وقد تحولت عيناه إلى عيني شيطان ويقترب منه، ثم بضربة واحدة بتر معصمه الأيمن ليقع على الأرض تحت قدميه، فأمسكه فادي في سعادة مُصدِرًا أوامره إلى من يقفون جواره قائلًا بنشوة عارمة:

- اكتموا جرحه، فلا يزال لدينا الكثير والكثير مما سنفعله.

بدا ريمون في منتهى السعادة وبدأ في التصفيق عندما توجه فادي ناحية الصاج الحديدي الموضوع على النار ثم ألقى عليه بالمعصم المبتور، لتتصاعد أصوات الشواء مع تلك الرائحة النفاذة للجلد المحروق، وسط صرخات فاروق الذي كان يصرخ من آلام البتر والدماء التي تنزف قبل أن يُربَط مكان شريانه جيدًا حتى وقف النزيف، في حين كان فادي يستلذ بتلك الصرخات الملتاعة التي تخرج وسط ضحك ريمون الهيستري، فبدا ناسيًا كل شيء حتى زوجته وابنه، أما مستجير فقد قبع في الأرض دافنًا رأسه بين فخذيه خوفًا من المصير المُعلَّق بلسان ريمون.

غرز فادي المعصم المحروق بطرف سيفه، مقتربًا مرة أخرى إلى جده الذي توقف عن الصراخ وبدأ في النحيب والعويل مناديًا أمه، التي كانت راضيةً تمام الرضا عما يفعله الملتزم الجديد. ظلت صرخاته تزيد وتزيد حتى بحَّ صوته، فاقترب منه فادي قائلًا:

- سأعفو عنك يا جدي العزيز إن أكلت هذه اليد حالًا.

لم ينطق فاروق، فهو يعلم جيدًا تلك النظرات الشيطانية التي رآها من قبل، ولكن هذه المرة كانت من حفيده، الذي كان يضع قطعة من لحم معصمه أمام فمه تمامًا، فبدأ يقضم منه قضمةً صغيرةً ولاكها، ولكنه لفظها وهو يكاد يتقيأ ما في بطنه وبدأ في التوسل مرة أخرى، لكن فادي ألقى بالمعصم على الأرض وأشار بطرف السيف ناحية المعصم الأيسر قائلًا:

- حسنًا يا جدي، أنا آسف، يبدو أن طعم لحمك غير مستساغ، فلنجرب المعصم الآخر ربما كان ألذ.

وبالطريقة نفسها هوى بالسيف على رسغ العجوز الذي أطلق صرخةً مفزعةً بعد أن بتر فادي الرسغ والمعصم، لم يتحمل فاروق الألم فسقط مغشيًّا عليه على الأرض بعد أن سقط ما كان يُقيِّده من يديه، أشار إلى التابعين لإفاقته سريعًا فنظروا إلى ريمون فأشار إليهم بتنفيذ كل طلباته، وكما فعل فادي في المرة الأولى توجه ناحية النيران وألقى بالرسغ والمعصم، وعاد مرة أخرى إلى فاروق بعد أن نجحوا في إعادته إلى وعيه.

- جدي هيا، لا تمت الآن، لن نقتلك ولن أسمح لأحدهم بقتلك، سأجعلك تتمنى الموت يا جدي العزيز ولن تناله!

وأنهى كلامه بضربة قوية على فخذ فاروق، لكنها لم تُبتَر، أعاد الضرب مرة فمرة حتى انقطعت تمامًا وسط صراخ فاروق، وكما فعل في الرجل اليمنى

فعل في الأخرى حتى انفصلت بعد خمس ضربات مؤلمة فصلت اللحم عن العظام في مشهد مرعب.

ربط التابعون مكان البتر سريعًا حتى لا ينزف العجوز دمه، وكلما غاب عن الوعي ألمًا ورعبًا، أفاقوه مرة أخرى، وبدأ يلمح ذلك الدخان المتصاعد من لحمه وهو يُحرَق تمامًا حتى أصبح أسود اللون، ولكنه لمح ذلك النصل الحديدي الذي أصبح كجمرة من النيران بعد أن ظل فادي واضعًا إياه فيها، ثم أمسكه مقربًا إياه من جده مشيرًا إلى التابعين أن يمسكوا جيدًا أماكن البتر، ليكويها وسط توسلات فاروق وبكائه ونحيبه، لكن كل ذلك لم يَثنِ فادي عن عزمه، فوضع الجزء المشتعل على مكان بتر المعصم ثم كررها على الرسغ، وأعاد وضعه في النيران حتى اشتعل، وبعد أن أفاق فاروق، بدأ في كي الجرحين الآخرين، وبعد أن انتهى كان العجوز مُلقى على الأرض دون أيدي أو أرجل وهو يصرخ دون مجيب، فاقترب منه فادي هامسًا في أذنه كما يفعل ريمون:

- أخبرتك يا جدي العزيز، لن تموت، بالعكس ستعيش بقية أيام حياتك هكذا.

اقترب ريمون منه مستفسرًا عما يدور في خلده، فأشار إلى مستجير قائلًا:

- هذا هو عقابه الأبدي هو الآخر، فهو ساعده بصورة ما، ولذلك عليه رعاية جدي العزيز جيدًا على هذه الحالة، وسأتكفل بأي مبالغ للحفاظ على حياته بأي شكل حتى يتجنبه الموت. أريده أن يتعفن على سريره ذلك ويتمنى الموت فلا يلاقيه، إن الموت له راحة لا أتمناها، هيا احملا المتبقي منه وألقوه في غرفة أخرى.

هز ريمون كتفيه ببرود قائلًا:

- كما تشاء، ولكن لماذا تبقي على حياة مستجير؟

- لا أعلم، ولكني سأحتاج إليه بصورة ما.

- نحن سننفذ كل طلباتك ولكن...

قاطعه فادي يائسًا هو يجلس الكرسي الخشبي قائلًا:

- ليس هناك لكن، لا أريد معرفة أي شيء، إن كنت فقدت أغلى ما أملك فليس لدي ما أخسره.

- ومن قال لك أنك خسرته؟ معنا لن تخسر أبدًا، معنا ستذوق الخلود النسبي والصحة والقوة، لست أنت فقط، بل ومعك امرأتك وابنك.

وتلا ذلك أن صفق بيديه، فدخل أحدهم ومن خلفه كانت ابتسام وشريف، وبمجرد أن رآهما فادي هرع إليهما ولم يصدق نفسه في بداية الأمر، فظن أن الأمر كله خدعة من ريمون ومن خلفه، تناسى ما قاله

العجوز منذ دقائق وما أكده مستجير، لكن سعادة اللحظة التي يمر بها أزاحت قناع الحقيقة أمام عقله، ليرتدي الزيف، والزيف فقط، مكتفيًا بوجودهما، فكل ما يريده الآن هو وجود ابتسام وشريف في حياته.

لا مرض، لا ألم، لا موت، خلود فقط!

حاول أن يقنع نفسه كثيرًا بين ما تربى عليه وما هو مقدم عليه وسط بكاء ابتسام وشريف واحتضانهما له وإلحاحهما ألا يتركهما مرة أخرى، قام من جوارهما واقترب من ريمون وعلى عينيه بدأت تلمع تلك النظرة الشيطانية، ناظرًا إلى كل من حوله قائلًا:

- والآن أنا جاهز لبدء الطقوس.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بعد ثماني سنوات
في مدينة الإسماعيلية

كان فادي جالسًا بهدوء يحتسي كوبًا من الشاي الدافئ في هذا الجو الماطِر في نهاية شهر ديسمبر، فيما كانت تقف فتاة في الخامسة عشرة من عمرها بجواره صامتة، في حين أجلَسَ طفلًا لم يتعدَّ السابعة على ساقيه وهو يقبله من وجنته، قائلًا للرجل والسيدة الجالسين أمامه في هدوء:

- ياه! عشرون سنة وأنا في الغربة ولم أحظ بمثل هذا الدفء الأسري، شغلتني الدنيا والعمل عن الزواج والأولاد، كل ما فعلته في حياتي كان سيذهب أدراج الرياح، وخصوصًا أنني كنت في بلدٍ ستؤول ثروتي فيه إلى الجمعيات الخيرية. وعلى الرغم من أن صحتي على ما يرام، قررت العودة إلى مصر مرة أخرى، وأن عليَّ أن أصل رحمي، ولذلك أخبرت المحامي الخاص بأعمالي في القاهرة بالبحث عمن تبقى من أسرتي، وللأسف أخبرني بوفاة الجميع إلا أنت يا هاني، لا تعرف مدى سعادتي عندما أخبرني أن لدي ابن عم يقيم في الإسماعيلية! وأخبرني عدة أشياء لم أفهمها عن هروب والدك ووالدي يا هاني، ألا تعلم السبب؟

ازدرد هاني لعابه فرحًا وهو ينظر إلى قريبه المليونير الجالس وسط شقتهم البسيطة:

- الثأر يا فادي، لعنة الله على الثأر! والدي أخبرني بذلك وأخبرني أن لا أعود مرة أخرى إلى البلد أبدًا أو إلى الصعيد كله.

- علمت أنك موظف بالبريد يا هاني، أليس كذلك؟

- بلى، للأسف أحلامي كلها ذهبت أدراج الرياح. هل تعلم أنني وزوجتي سميرة خريجا حقوق ولم نمارس المهنة؟ حاولنا البحث عن أي وظيفة بعد تعبنا في البحث عن مكتب محامي نتدرب معه دون جدوى، حتى وجدنا هذه الوظيفة البسيطة، إن الدنيا يا أخي ليست عادلة.

ابتسم فادي تعقيبًا على حديث هاني وأردف:

- لا لا، هذا في الماضي يا أخي، نحن إخوة وأسرتك هي أسرتي وأولادك هم أولادي، وخصوصًا هذا الصبي، ما اسمه؟

- فاروق.

اندهش فادي وأردف:

- فاروق؟!

- نعم، فبعد هروب والدي كان يوميًّا يتحسر على مصير جدي ويدعو له، وأوصاني إن أنجبت ذكرًا أن أسميه فاروق.

- حسنًا، لو كنت أنجبت أنا الآخر ربما سميته بذاك الاسم.

- ولكن أخبرني، هل بين الإخوة كل هذه الهدايا التي غمرتنا بها يا فادي؟!

- وعلى من أصرف نقودي يا أخي؟ عامة، انسَ كل ذلك، أنا أريدك في موضوع هام، فسوف أنقل نشاطي إلى الإسماعيلية وأريدكم معي، وسوف أُأجِّر شقةً فاخرةً لكم هناك حتى نبدأ العمل في مشروعٍ ضخمٍ جدًّا، وسأجعلك المدير المسؤول، ها ما رأيكما؟ وهذا مبلغ بسيط، اعتبراه مجرد هدية حتى تستقر أوضاعي في مصر لنبدأ العمل.

وأعقب ذلك أن فتح حقيبة كانت بجواره واضعًا بها ربع مليون جنيه أمامهم، فظلَّا واجمين ينظر كل منهما إلى الآخر غير مصدقين أبدًا ما يفعله فادي، الذي وجم هو الآخر عدة ثوان متذكرًا تلك الجلسة في منزله منذ عدة سنوات، متمنيًا أنْ لو استمع وقتها إلى ابتسام، فتنهد بأسى ثم بدأت ابتسامته تتسع أكثر فأكثر وهو يرى الاثنين ينظران إليه كالمجنون، وظلا صامتين كأنهما قد فُتِحَت لهما كنوز الأرض، لكنهما لم يعلما أبدًا أنها بداية النهاية للنسل الملعون.

تمت بحمد الله

عمرو مرزوق

2021

المصادر

1) ما ورد فى تفسير: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} [سورة ص: 34]:

- تفسير الطبرى (21/ 196 - 199).
- تفسير ابن أبى حاتم (10/ 3241 - 3243).
- تفسير السعدى للشيخ الجليل عبد الرحمن بن ناصر السعدى.
- تفسير البغوى للامام الحافظ البغوى.
- دكتور مساعد الطيار.

2) وممن ورد عنه هذا حمل الجسد على الشيطان:

- ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدى وغيرهم.

3) مما ورد فى تفسير {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ} [سورة البقرة: 102]:

- تفسير الطبرى.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير القرطبى.

نبذة عن الكاتب

- عمرو محمد مرزوق.
- كاتب وروائي مصري، من مواليد محافظة الغربية ومقيم بالقاهرة.
- ماجستير في القانون الجنائي جامعة القاهرة، ومُقَيَّد بالدكتوراة بجامعة عين شمس.
- دبلوم في فن السيناريو للمسلسلات، جامعة ميشتجان – أمريكا.

ومن إصداراته المطبوعة:

- أناشيد الموت، إصدار دار اكتب 2014.
- ميدوم، إصدار دار نون 2015.
- شامبالا، إصدار دار نون 2016.
- الكابوس، إصدار دار نون 2017.
- سي أوزير إصدار دار نون 2018.
- نساء في التاريخ، إصدار دار زين 2018.
- ويبقى العشق، إصدار دار السعيد 2018.
- السر المفقود، إصدار دار نون 2019.
- العهد، نوفيلا من سلسلة الأرشيف، إصدار دار نون 2019.
- دقات العاشرة، مجموعة قصصية، إصدار دار أدباء 2000.
- صباحكم بلا وجع، إصدار دار السعيد 2020.
- عفار، إصدار دار نون 2020.
- الندم، نوفيلا من سلسلة الأرشيف، إصدار دار نون 2020.

للتواصل مع الكاتب

Amr Marzouk

https://www.facebook.com/amr.m.marzouk

Amr Marzouk - عمرو مرزوق

https://www.facebook.com/ammmroo/

@amr_marzouk

عمرو مرزوق